

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة الحاج لخضر

- باتنة -

أدب الأطفال في الجزائر

مصطفى محمد الغماري نموذجا

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري

- شعبة الأدب الجزائري الحديث -

إشراف الدكتور:

محمد منصوري

إعداد الطالب:

محمد الطاهر بوشمال

السنة الدراسية

1429هـ - 1430هـ

2009م - 2010م

حَقِّقْ حُلُومَكَ

الكتابة للأطفال أمر ليس باليسير، ولا يكفي الكاتب أن يكون لا معا في مجال الكتابة للكبار حتى يكون كاتب أطفال ناجح، لأن الكتابة للأطفال تحتاج بالإضافة إلى الموهبة الحقيقية الصادقة إلى تخصص و ممارسة و معاناة، و إلى دراسات متعمقة في اللغة من زوايا معينة، و إلى دراسات في الإبداع و أخرى في أصول التربية و علم النفس و إلى معرفة طبيعة مراحل نمو الأطفال و خصائصها المميزة و إلى معرفة بالقواعد السليمة للكتابة الأدبية الفنية في القصيدة و الدراما و الشعر مع خبرات عملية في دنيا الأطفال، و إحساس فني تربوي مرهف بما يمكن أن تتركه الكتابة في نفوسهم من انطباعات دقيقة ربما كانت رغم ما قد يبدوا من ضآلتها، ذات أثر باق فعال في تكوين شخصياتهم و التأثير عليها.

و يبقى هذا النوع من الكتابة في الجزائر متأخرا عن الأقطار المشرقية كما و كيفاً، وبخاصة في الدوائر الرسمية (المؤسسات التعليمية و الثقافية).

غير أن هناك محاولات سعت لإثراء الساحة الأدبية في هذا اللون - على اختلاف في مستوى الكتابة بين الجيلين الماقبلي و المابعدى^{1*} -، فهناك على سبيل المثال لا الحصر، مصطفى محمد الغماري، عبد الحق سعودي، عبد العزيز بوشفيرات و محمد بن صالح ناصر، محمد الأخضر السائحي، محمد سراج، محمد المبارك حجازي..... و غيرهم .

و من هذا المنطلق حاولت أن أسلط الضوء على أعمال الدكتور مصطفى محمد الغماري، الذي يعد بحق واحدا من أبرز الذين أبدعوا في مجال الكتابة للأطفال، شعرا و نثرا.

و لتجلية الرؤية حول هذا الموضوع استعنت ببعض الدراسات التي سبقنتي في هذا المجال منها: "دراسات الدكتور محمد مرتاض" من قضايا أدب الأطفال" و "الموضوعات في شعر الطفولة الجزائري"، و كذلك كتاب: "النص الأدبي للأطفال في الجزائر" للعيد جلولي، و رسالته للدكتوراه المعنونة ب: "النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر"، و كذلك رسالة دكتوراه للدكتور "عبد الرزاق بن السبع" المعنونة ب: "قصص الأطفال في المغرب العربي"، و كتاب "شعر الأطفال في الجزائر -

(*): حتى مستوى الكتابة بين جيل ما بعد الاستقلال تفاوتت كما و كيفاً

ناصر لوحيشي نموذجاً "للأستاذة": "عائدة بو منجل"، و كذلك دراسة الدكتور "محمد قرانيا" و"قصائد الأطفال في سوريا"، إضافة إلى بعض المراجع و الدراسات المتعلقة بأدب الطفل بعامة.

أسباب اختيار الموضوع:

ترجع أسباب اختياري لهذا الموضوع إلى:

1- اقتراح تقدم به أستاذي المشرف الدكتور محمد منصوري لدراسة أدب الأطفال من خلال إبداعات الشاعر مصطفى محمد الغماري أثناء ندوة حاضر فيها في قسم اللغة العربية و آدابها (جامعة باتنة).

2- محاولة تسليط الضوء على أعمال د/مصطفى محمد الغماري في هذا المجال لسد النقص في الدراسات المتخصصة التي تناولت جميع أعماله في حقل الأدب الطفلي .

3- رأيت أن في مثل هذه الدراسة و البحوث تشجع المبدعين لمواصلة إنتاجهم.

4- تأتي مثل هذه الدراسة لتسد فراغا و تقدم للقارئ في الجزائر و البلاد العربية صورة عن واقع هذا الأدب في بلادنا .

تحديد منهجي للدراسة:

لنتبع مراحل نشأة و تطور هذا الأدب في الساحة الأدبية و الثقافية بعامة ، اعتمدنا المنهج التاريخي لرصد الخطوات الأولى و مدى تقدمها من عدمه.

أما ما تعلق بالجانب الموضوعاتي و الفني ، فأني اعتمدت على المنهج التحليلي،لمقاربة الموضوعات (المحاور) من جهة،والوقوف على العناصر الفنية المكونة للعمل الأدبي بشقيه القصصي و الشعري .

و قد قسمت بحثي هذا إلى مدخل و ثلاثة فصول :

ففي المدخل تطرقت إلى تعريف عام لمصطلح أدب الطفل عند المتخصصين و نقطة الاشتراك بينه و بين الأدب الموجه للكبار، كما تحدثت عن المرحلتين اللتين ظهر فيهما أدب الطفل، مرحلة ما قبل الاستقلال - تمثلت في مرحلة الإصلاح- و مرحلة ما بعد الاستقلال التي كانت الأثرى و الأوسع من جانب الكم و الكيف و لكل مرحلة ظروفها و ملامساتها. بعدها تعرضت للسيرة الذاتية للكاتب مصطفى محمد الغماري الأديب .

أما الفصل الأول فكان فيه تعريف للنص القصصي من جانبيه اللغوي و الإصلاحى مع تعريف بسيط للقصة الموجهة للطفل و ذكر أهم السمات و الشروط الواجب توفرها لمخاطبة الطفل و ثم تكلمت فيه عن أبرز الموضوعات التي تطرقت إليها القصص، و قد ركزت على الجانب الأخلاقي في موضوعاتها . لما يمتاز به إبداع أدبنا .

و في لفصل الثاني تحدثت فيه عن تعريف الشعر لغة و اصطلاحا و مدى توافق ذلك مع الشعر الموجه للطفل، أما الجانب الموضوعاتي في الفصل فإني قسمت العمال الشعرية إلى عدة محاور قاربت فيها بين النصوص المندرجة ضمن المحور الواحد، و قد أدرجة محور القصص الشعري و ابتدأته بتعريف عام للقصة الشعرية ثم تعرضت إلى أهم ما تضمنته كل قصة شعرية . أما الفصل الثالث فكان مخصصا للجانب الفني للأعمال المؤلفة حيث أبرزت فيه أهم العناصر المكونة للقصة و مدى توافقها مع الشروط التي وضعها المختصون لذلك، ثم انتقلت إلى الجانب الفني في الشعر و قمت بدراسته من ثلاثة جوانب : الأول الجانب الموسيقي بشقيها الخارجية، و قد تطرقت فيها إلى الوزن و القافية و مدى تلاؤم هذين العنصرين مع الأشعار المؤلفة لذلك، و الداخلية و قد تكلمت فيها عن ظاهرة التكرار التي يعتمدها كتاب أدب الطفل لترسيخ معنى معين أو لغرس قيمة خلقية او فنية .

أما الجانب الثاني فكان للغة الشعرية التي حاولت فيها استقراء المعجم الشعري لكل محور و مدى انسجام ذلك مع المستوى الإدراكي للطفل، و هل نحقق ذلك في أشعار الغماري؟

أما الجانب الثالث فكان للصورة الشعرية، حيث تعرضت فيه بنوع من التفصيل إلى أهم أنماطها: من استعارية و تشبيهية و كنائية و رمزية، و بينت فيه مدى التلاؤم الحاصل بين هذه الأنماط و مستوى الاستيعاب و الفهم و الإدراك عند الطفل و من العقبات التي واجهت طريق هذا البحث كثرة الجانب التنظيري لأدب الطفل و ندرة الدراسات المتعلقة بالجانب التطبيقي (الفني) يضاف إلى هذا صعوبة تصنيف الأعمال الموجهة للطفل و بخاصة ما تعلق بالقصة القصيرة، و هذا راجع كله إلى الفراغ

الرهيب الذي تحياه الساحة الثقافية و الأدبية في الجزائر لمثل هذه التخصصات .
و لا يسعني في الأخير إلا أن أتقدم بوافر الشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف على
النصائح القيمة التي أقام بها أودَ هذا البحث، وثقفه الثقافة الصالحة لن يكون رسالة
للتخرج تكون كالحجر الصغير -"إيليا أبي ماضي" - تسد ثغرا في المكتبة، وتكون
عونا لكل، كما لا أنسى أن أتوجه بجميل الحمد إلى اللجنة الموقرة التي قبلت هذا
البحث، و أعطته إشارة المناقشة و ما هذا إلا تثمين من قبلها لهذا البحث.
كما أتوجه أيضا - بهذا الشكر - إلى كل من ساعدني بكتاب أو دراسة أعانتي في
بحثي و أخص بالذكر "الدكتور عبد الرزاق بن السبع"، او دعا لي بظهر الغيب.
و ختاماً أرجو من الله العلي القدير أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم إنه ولي
ذلك و القادر عليه، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الفصل الأول

المـدخـل

- 1- مفهوم أدب الطفل
- 2- أدب الأطفال في العالم و الوطن العربي
- 3- أدب الأطفال في الجزائر
- جيل ما قبل الاستقلال
- جيل ما بعد الاستقلال
- 4- حياة الشاعر (مصطفى محمد الغماري)

مفهوم أدب الأطفال :

يجمع معظم الدارسين على أن أدب الأطفال القائم اليوم وفق الأطر الفنية والشكلية ومراعاة الحالة الاجتماعية والنفسية وغيرها هو أدب مستحدث . "... وفرع جديد من فروع الأدب الرفيعة يمتلك خصائص تميزه عن أدب "الكبار" رغم أن كلا منهما يمثل أثرا فنية يتحد فيها الشكل والمضمون ... وإذا أريد بأدب الأطفال كل ما يقال إليهم بقصد توجيههم فإنه قديم قدم التاريخ البشري، حيث وجدت الطفولة، أما إذا كان المقصود به ذلك اللون الفني الجديد الذي يلتزم بضوابط نفسية واجتماعية وتربوية ، ويستعين بوسائل الثقافة الحديثة في الوصول إلى الأطفال ، فإنه - في هذه الحالة - ما يزال من أحدث الفنون الأدبية " ¹.

ووفق هذه النظرة ، "... فإن أدب الأطفال في مجموعته ، هو الآثار الفنية التي تصور أفكارا وإحساسات وأخيلة تتفق ومدارك الأطفال وتتخذ أشكال : القصة، والشعر والمسرحية، والمقالة، والأغنية " ².

وغير بعيد عن هذين التعريفين يحدد الدكتور "أحمد زلط" مفهوما لأدب الأطفال إذ يقول بأن: "...أدب الطفولة نوع أدبي متجدد في أدب أي لغة، وفي أدب لغتنا هو ذلك النوع الأدبي المستحدث من جنس أدب الكبار (شعره ونثره وإرثه الشفاهي والكتابي)، فهو نوع أخص من جنس يتوجه لمرحلة الطفولة، بحيث يراعي المبدع المستويات اللغوية والإدراكية للطفل، تأليفا طازجا أو إعادة بالمعالجة من إرث سائر الأنواع الأدبية المقدمة له ومن ثم يرقى بلغتهم وخيالاتهم ومعارفهم واندماجهم مع الحياة، بهدف التعلق بالأدب وفنونه لتحقيق الوظائف التربوية والأخلاقية والفنية والجمالية " ³.

(1): هادي نعمان الهيتي : - أدب الأطفال ، فلسفته ، فنونه ، وسائله - الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، بالاشتراك ، دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد - العراق ، 1977 م ، ص 71 .

(2) : - المرجع نفسه - ص 72 .

(3): أحمد زلط : - أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي - دار المعارف ، مصر ، 1994 م ، ص 30 .

" ولا يختلف أدب الأطفال عن أدب الكبار أو الأدب الرفيع في شيء، فهو فن مادته اللغة، وطبيعته التخيل، يتجسد في أنساق وممارسات فنية منسوخة من الأجناس الأدبية المألوفة، وبالتالي فهو يندرج ضمن مفهوم الأدب عموماً من حيث المادة والطبيعة والأنساق الفنية، غير أن أدب الأطفال يتميز عن أدب الراشدين في مراعاته حاجات الطفل وقدراته، وخضوعه لفلسفة الكبار في تثقيف أطفالهم الأمر الذي يجعل العملية الإبداعية لا تسير وفق البعد أو النظام نفسه الذي تتبعه في أدب الكبار، مما يجعل الكاتب لا يسعى إلى جذب الملتقي إلى منظوره - كما هو الشأن مع الكبار - وإنما يسعى إلى تبسيط منظوره مضمونا وشكلا لكي يتلاءم مع المتلقي - الطفل - ... وعليه، فإن أدب الأطفال يتميز بنوعية جمهوره وطبيعته، الأمر الذي يجعل الفرق بينه وبين أدب الكبار يقوم على خصوصية المتلقي أساساً، وعلى مراعاة أدب الأطفال واهتماماتهم، وقدراتهم العقلية واللغوية والذوقية ... " ¹

ويعرفه الدكتور "إسماعيل عبد الفتاح" بأنه: "... ذلك الجنس الأدبي المتجدد، الذي نشأ ليخاطب عقلية الصغار، ولإدراك شريحة عمرية لها حجمها العددي الهائل في صفوف أي مجتمع ... فهو أدب مرحلة متدرجة من حياة الكائن البشري، لها خصوصيتها، وعقلانيتها، وإدراكها وأساليب تثقيفها أي في ضوء مفهوم التربية المتكاملة التي تستعين بمجالي الشعر والنثر، بما يحقق المتعة والفائدة لهذا اللون الأدبي الموجه للأطفال . ولذلك ... فمصطلح أدب الأطفال يشير إلى ذلك الأدب الموروث، وأدب الحاضر، وأدب المستقبل، لأنه أدب موجه إلى مرحلة عمرية طويلة من عمر الإنسان " ² .

وأدب الأطفال أيضاً يعد أعظم صنعة يقدمها الكبير للصغير في حل قشبية يتزين بها في صغره حتى يألها في كبره، فـ « أدب الأطفال هو إبداع مؤسس على خلق فني، ويعتمد بنيانه اللغوي على ألفاظ سهلة ميسرة فصيحة، تتفق والقاموس اللغوي للطفل بالإضافة إلى خيال شفاف غير مركب، ومضمون هادف متنوع، وتوظيف كل تلك العناصر بحيث تقف أساليب مخاطبتها وتوجيهاتها لخدمة عقلية الطفل وإدراكه، كي

(1): محاضرة الأستاذ "عبد المجيد حنون" - أدب الأطفال و الأدب المقارن - مجلة العلوم الإنسانية ، عدد خاص ، فعاليات ملتقى أدب الطفل ، المركز الجامعي ، سوق أهراس ، أيام 13- 14 - 15 ماي 2003 م ، ص 13 ، 14 .

(2): إسماعيل عبد الفتاح : - أدب الأطفال في العالم المعاصر - مكتبة الدار العربية للكتاب ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، رمضان 1420 هـ ، يناير 2000 من ص 22 ، 23 .

يفهم الطفل النص الأدبي، ويحبه، ويتذوقه، ومن ثم يكتشف بمخيلته آفاقه ونتائجه»¹ . ولا يخفى على أحد أن الدور الرئيس لأدب الأطفال هو التربية والتوجيه والتثقيف، ما يمكن الطفل من مناعة تصد كل غريب وتطرد كل وافد لا يتماشى ومقومات الأمة التي التي يعيش في كنفها، وهو أيضا... دعامة رئيسة في تكوين شخصيات الأطفال عن طريق إسهامه في نموهم العقلي والنفسي والاجتماعي والعاطفي واللغوي وتطوير مداركهم وإغناء حياتهم بالثقافة التي نسميها ثقافة الطفل، وتوسيع نظرتهم إلى الحياة وإرهاق إحساساتهم وإطلاق خيالاتهم المنشئة، وهو ليس أداة - بحد ذاته - لفائدة الطفل بقدر ما هو أداة للنهوض به وبالمجتمع كله.. إنه وسيلة من وسائل حياة الطفل التي هي أساس حياة المجتمع كله، وعليه يقوم البناء النفسي والاجتماعي والعاطفي والعقلي للإنسان الجديد.²

ويركز "نعمان الهيتي" على الجانب الثقافي الذي يقوم به أدب الأطفال إذ يقول: «ولأدب الأطفال دور ثقافي حيث إنه يقود إلى إكساب الأطفال القيم والاتجاهات واللغة وعناصر الثقافة الأخرى، إضافة إلى ماله من دور معرفي من خلال قدرته على تنمية عمليات الطفل المعرفية، المتمثلة بالتفكير والتخيل والتذكر، وبوجه عام، فإن أدب الأطفال - باعتبارها تجسيدا لثقافة الأطفال - يسهم في انتقاء جزء من الثقافة إلى الأطفال بصورة فنية، ويسهم في إقناع الأطفال بالآمال الجديدة... لذا فهو أداة في بناء ثقافة الأطفال»³.

وهذه الثقافة - بطبيعة الحال - الموجهة إلى الطفل العربي المسلم لا بد لها من مقومات وأسس تحكمها وفق الرؤية الإسلامية الواضحة للدين والحياة، بحكم أن الإسلام دين حياة كامل، حقق التوازن بين نفخة الروح وقبضة الطين، ويعرف "نجيب الكيلاني" أدب الطفل وفق هذه الأطروحة بأنه: "...التعبير الأدبي الجميل، المؤثر الصادق في إحياءاته ودلالاته، والذي يستلهم قيم الإسلام ومبادئه وعقيدته، ويجعل منه أساسا لبناء كيان الطفل عقليا ونفسيا ووجدانيا وسلوكيا وبدنيا، ويساهم في تنمية مداركه، وإطلاق مواهبه الفطرية، وقدراته المختلفة، وفق الأصول التربوية الإسلامية، وبذلك ينمو

(1): المرجع نفسه : - أدب الأطفال في العالم المعاصر - نقلا عن أحمد زلط ، ص 23 .

(2): هادي نعمان الهيتي : مرجع سابق ، ص 72 .

(3): هادي نعمان الهيتي : - ثقافة الأطفال - من كتاب : عالم المعرفة ، الكويت ، ص 148 .

ويتدرج الطفل بصورة صحيحة تؤهله لأداء الرسالة المنوطة به في الأرض، فيسعد في حياته ويسعد به ومعه مجتمعه، على أن يراعي ذلك الأدب وضوح الرؤية، وقوة الإقناع والمنطق... ذلك هو المفهوم العام لأدب الأطفال حسبما يعتقد، وهو المفهوم الذي يشمل الاحتياجات الأساسية للطفل حسبما أسفرت عنها دراسات العلماء المختصين في الدين والتربية وعلم النفس والمجتمع والطب وعلم الجمال أيضا..¹

ويعرفه "محمد أديب الجاجي" بقوله: "... هو الأداة التعبيرية التي تراعي خصائص الطفولة وتلبي احتياجاتها وتؤهلها لأداء دور فاعل في صنع المستقبل، ملتزمة بمبادئ التصور الإسلامي وفق أشكال من التعبير الأدبي تناسب العصر وتحقق المتعة الفنية... ومن أهم معايير هذا الأدب أنه يصدر في كل ما يتعلق بالطفولة من حيث كونها هدف العمل الأدبي وكل ما يتعلق بالكلمة التي هي النتاج المقدم لها، وكل ما يتعلق بالأهداف التي يراد الوصول بالطفولة إليها، يصدر الأدب في كل ما يتعلق بذلك وغيره عن الالتزام بمبادئ التصور الإسلامي التي تحدد منطلق وفلسفة هذا الأدب وتصوره عن - الله والكون والإنسان والحياة- ومن خلال مصادره الشرعية - العقلية والعقلية -".²

وخلاصة القول أن أدب الأطفال هو الإبداع الجميل الموجه للأطفال ضمن الأشكال الأدبية المتعارف عليها في أدب الكبار، التي يجب أن يراعى فيها المستوى الإدراكي والانفعالي والعاطفي لهذه الشريحة العريضة في كل مجتمع، والمتماشية مع مراحل نموهم واحترام خصوصية كل مرحلة، ولا بد أيضا أن تأخذ القيم والمبادئ للمجتمع الإسلامي العربي حظ الأسد في التكوين الفكري والعقدي والفني والجمالي المرتبة وفق إطار أدبي جميل، يقوم على التربية و التوجيه الموجه للأطفال .

(1): نجيب الكيلاني : - أدب الأطفال في ضوء الإسلام - مؤسسة الإسراء للنشر و التوزيع ، قسنطينة ، الجزائر ، ط 1 ، 1406 هـ ، 1986م ط 2 ، 1411 هـ ، 1991 م ، ص 14 .
 (2) : محمد أديب الجاجي : - أدب الأطفال في منظور الإسلامى - أدب الأطفال في المنظور الإسلامى دراسة وتقويم دار عمار للنشر والتوزيع عمان _ الأردن، ص 14 ، 15 .

أدب الأطفال في العالم و الوطن العربي :

سنقتصر - بإذن الله - على ذكر البلدان دون الغوص في تفاصيل نشأته في كل بلد وأهم رواده وإنتاجاتهم ، لأن ذلك يخرج البحث عن الإطار الذي حدد له ، وسنكتفي بذكر بعض البلدان ، مع الإحالة على بعض المراجع لمن أراد الزيادة و الاغتراف أكثر من هذا البحر .

فعلى المستوى العالمي هناك : فرنسا ، انكلترا ، اسبانيا ، الدنمارك ، ألمانيا ، هولندا ، أمريكا ، إسرائيل ، اليابان ، الصين ، المجر ، الاتحاد السوفيتي¹ .
أما في البلدان العربية فإن أولى البوادر ظهرت في مصر ، ثم بدأ هذا الفن يلقي رواجه في بقية الأقطار العربية الأخرى مثل : سورية ، العراق ، الأردن ، الكويت ، الامارات المتحدة ، السعودية ، لبنان ، تونس ، ليبيا²..... إلخ .

(1): ينظر كتاب : عبد التواب يوسف : - كتب الأطفال في العالم المعاصر -

(2): ينظر كتاب د/ إيمان النقاوي - المتقن في أدب الأطفال و الشباب -

ينظر كتاب . أحمد حسن حنودة : - أدب الأطفال -

* للاستزادة يمكن للباحث في هذا الحقل الرجوع إلى المراجع التي أثبتناها في الهوامش السابقة أو اللاحقة .

في الجزائر :

سنحاول أن نتحدث عن أدب الأطفال في الجزائر من حيث نوعاه : " الشعر ثم القصة " وما تعلق بهما ، وسنبداً الحديث عن الشعر لأننا رأينا أشد لصوقاً بالنفس البشرية من القصة ، حيث روي في الأثر أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل شاعره " عبد الله بن رواحة " فقال : « أخبرني ما الشعر يا عبد الله » ... فأجابه " عبد الله بن رواحة " : « شيء يختلج في صدري فينطق به لساني »¹ . ودون الغوص في التفاصيل - لأن موضوعنا ليس هذا - فإن الحديث عن البدايات لأدب الأطفال في الجزائر يبقى صعباً ، خصوصاً مرحلة الاحتلال الفرنسي التي شابها كثير من غيوم الظلم و الإجحاف و الاستئصال للقضاء على هذا الشعب المتخلف البدائي - كما كان يقوله منظرو الاستعمار في ذلك الوقت - « و... الحديث عن شعر الأطفال في الجزائر ، حديث صعب المسالك كصعوبة نظم بيت واحد منه و المنتبج لمساره التاريخي ابتداء من ابتداعه نظماً بسيطاً ومروراً بتلك الانعطافات ... يجد بأن شعر الأطفال بدأ في الجزائر بالظهور مع بدايات العقد المنصرم ، وبالتحديد في العقد الثالث منه ، ولعل هذا التأخر كان سببه الظروف التاريخية التي جعلت وجود النشء الجزائري محققاً من الناحية البيولوجية فقط ، ومغيباً من الناحيتين الاجتماعية و التربوية مما جعله عرضة إلى استلاب يستهدف كيانه ويهدف إلى طمس شخصيته ، لأن فرنسا عملت على قطع كل صلة للجزائر بأواصرها المتجذرة في أعماق التاريخ حتى " تنشأ الأجيال الجزائرية الصاعدة في ظل السياسة المرسومة نشأة ممسوخة في كل شيء ... " .

لقد واكب شعر الأطفال الفترات الحاسمة في تاريخ الجزائر ، فكان شاهداً على مرحلة الاستعداد للثورة ، وكان شاهداً على مرحلة التحول و التغيير الذي عرفته جزائر ما بعد الاستقلال . فهو إذاً وليد جيلين . جيل الريادة أو جيل ما قبل الثورة وجيل ما بعد الاستقلال وكل جيل نفخ فيه نفس الحقبة وجوها العام² .

(1): روي الحديث في عدة مصادر منها : شرح شواهد المغني ، لجلال الدين السيوطي ، مكتبة الحياة ، ص 289 ، وتفسير الدر المنثور في التفسير المأثور ، دار الفكر ، ج 6 ، ص 337 ، وهذا دليل استشهد به د/ عبد العزيز السبيل في مقال عنوانه " ثنائية النص " . قراءة في مرثية مالك بن الربيع - مجلة عالم الفكر - مج 27 - ع 1 - يوليو / سبتمبر 1998 ، الكويت ، ص 63 ، 83 .

(2): الأستاذة/ خروفة براك :- معايير انقراية شعر الأطفال (قراءة في الديوان الشعري الجزائري) مجلة العلوم الإنسانية ص39

أ - جيل ما قبل الاستقلال :

في البداية نود أن نورد حقيقة أقرها الدكتور : " العيد جلولي " في بحثه حول النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر ، هو أن الشعر في هذه الفترة ، " ... لم يظهر كجنس أدبي مستقل ، ذلك أن أدب الطفل لم يتبلور وقتئذ كأدب قائم بذاته له خصوصياته الفنية و النفسية و التربوية وإنما كانت هذه القصائد و المنظومات تدور في فلك المدرسة لتحقيق غايات تربوية ودينية ، وتأتي في ثنايا دواوينهم الشعرية وقلما تفرد لها ديوان أو كتاب خاص ، وإن شذت عن القاعدة وأفردت لها ديوانا خاصا فهي لا تخرج عن نطاق المدرسة إلا نادرا . ويتضح ذلك في ديواني : " محمد العابد الجبالي " و " محمد الطاهر التليي " الأول في ديوانه " الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الابتدائية" والثاني في ديوانه "منظومات تربوية للمدارس الابتدائية.."¹ ومن أعلام هذا الجيل إضافة إلى هذين العلمين شاعر جمعية العلماء المسلمين "محمد العيد آل خليفة" (1904 - 1979) « ... الذي نظم ... مجموعة من القصائد الشعرية موجهة إلى أطفال المدارس ، وفتيان الكشافة الإسلامية ، و المتصفح لديوان محمد العيد يلحظ وجود قصائد كثيرة تدور موضوعاتها حول الشباب و الأطفال ، بالإضافة إلى نصوص كثيرة طبعت بمفردها في كتاب مستقل كمسرحية " بلال بن رباح " التي نظمها خصيصا لأطفال المدارس ... سنة 1938 م ، ... و"أنشودة الوليد" ... من السنة نفسها ..."².

ومما قاله مخاطبا به الأطفال :

قُمْ عَلَى صَوْتِ بِلَادٍ	هَتَاكَ الْعَادِي حِمَاهَا
سَدَهُ الدَّهْرُ إِلَيْهَا	كُلُّ سَهْمٍ فَرْمَاهَا
لَا تَلْمَنِي فِي هَوَاهَا	أَنَا لَا أَهْوَى سِوَاهَا
مَالِقَوْمِي ضَيْعُوهَا	فَدَاهَا مَا دَهَاهَا ³

(1): العيد جلولي : - النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر (دراسة تحليلية لاتجاهاته وأنماطه وبنيتة الفنية) - رسالة دكتوراه ، تخصص أدب عربي حديث ، جامعة الجزائر ، السنة الجامعية : 2004 / 2005 م ، ص 33 .

(2): - المرجع نفسه - ص 31 ، 32 .

(3): الديوان .

ومع انتشار التعليم الحر ، وزيادة في عدد المدارس التي لم تكن خاضعة للسلطة الاستعمارية في ذلك الوقت ، ... " نظم محمد الصالح رمضان ديوان " ألحان الفتوة " وهو عبارة عن أناشيد كشفية ذات طابع وطني وتربوي ، وقد طبع ... أول مرة في تلمسان بمطبعة ابن خلدون سنة 1953 وأعيد طبعه ... سنة 1985 " ¹ .
... ومما قاله على لسان الناشئ :

أنا لنفـع ووطنـي وأمتي سأعملُ
اليوم ألهـو وغداً غدا علي العملُ
لا تهملوني فأنـا أنا الرجاَ المؤملُ
بل علموني تحضروا فتى لكم يناضلُ²

إضافة إلى هذه الأسماء هناك " الشيخ أحمد سحنون (1907 – 2003م) ، ... و محمد اللقاني بن السايح ، وأبو بكر بن رحمون ، وعبد الرحمن بالعقون ، ومحمد الهادي السنوسي الزاهري ، وجلول البدوي ، ومحمد الشبوكي ، و الربيع بوشامة ، وعبد الكريم العقون ، وأبو القاسم خمار ، وعمر البرناوي ، ومفدي زكرياء ، وموسى الأحمدى نويوات ³ .

(1): أنظر . العيد جلولي : - النص الشعري الموجه للأطفال - ص 32 .
(2): أنظر . مقال الأستاذة : خروفة براك : - معايير انقرانية شعر الأطفال - ص 41 .
(3): أنظر . العيد جلولي : - المرجع نفسه - ص 33 .

ب - جيل ما بعد الاستقلال :

مرحلة الاستقلال وما جاءت به من تحولات تعويضا عما ورثته من تركة ثقيلة خلفها استعمار* بغيض ، حاول بكل الوسائل التي أتاحت له أن يمسح هذا الشعب عن دينه وعقيدته ووطنه ، إلا أنه لم يستطع مصداقا لقوله تعالى : « ... ويمكرون ويمكر الله و الله خير الماكرين »¹ ، ومن بين هذه التحولات هو إنشاء دور نشر خاصة بطبع الكتاب عموما ، ونشر الكتاب الموجه للطفل خصوصا (المدرسي منه و الأدبي) ، وكانت على رأسها : المؤسسة الوطنية للكتاب ، دار الشروق ، المكتبة الخضراء ، دار الهدى ، دار الشهاب ... وغيرها .

ومن أبرز كتاب شعر الأطفال في تلك الفترة "محمد الأخضر السائحي" صاحب ديوان "همسات وصرخات" الذي ...يحوي مجموعة من القصائد موجهة للأطفال منها :
يا منى ، اسلمي يا جزائر، أغنية التشجير وغيرها ... "بالإضافة إلى محمد الأخضر السائحي هناك ... أمثال أبو القاسم سعد الله وعمر البرناوي وأبو القاسم وغيرهم ..."²
« وفي هذه الفترة أيضا شرعت مجلة " همزة وصل " التي كانت تصدر عن وزارة التعليم الابتدائي و الثانوي في تخصيص ركن من أركانها لأدب الأطفال ، وقد نشر هذا الركن مجموعة من القصائد الشعرية لشعراء جزائريين وعرب ، ففي عددها الثالث الصادر في الموسم الدراسي 1973 - 1974 م نقرأ الموضوعات التالية : " العلم الجزائري " لعبد القادر بن محمد ، و"تشيد الصباح " لعلي عبد الواحد ، و"آداب المرور" لأحمد الصعيدي ... ، وفي عددها السابع الصادر في الموسم الدراسي 1974 - 1975 م نقرأ الموضوعات التالية : " تحية للمؤتمر العاشر لأدباء العرب " لعبد القادر بن محمد ... وفي الثامن الصادر في الموسم الدراسي 1974 - 1975 م نقرأ الموضوعات التالية : " دعوا النعاس وهبوا " لموسى نويوات الأحمدى ، و"وعظ النفس " و " مواقف رجال " ، وغيرها من الموضوعات "³.

* هذه الكلمة كان يجب استعمالها أحد رجالات الجزائر ، وهو "مولود قاسم نايت بلقاسم" - رحمه الله - (1927، 1992).

(1): سورة الأنفال الآية 30

(2): أنظر . العيد جلولي : - النص الشعري الموجه للأطفال - ص 35 .

(3): العيد جلولي : - المرجع نفسه - ص 36 .

في أواخر السبعينيات وبالضبط سنة 1979 م ، التي زامنت السنة الدولية للطفولة "اكتسى التأليف الإبداعي الشعري للأطفال ... طابع الجدية و المسؤولية ، وهذا ما نلمسه عند تصفح مختلف الدواوين ، التي طالعتنا بها دور نشر عديدة ، مما يؤكد أن ناشئة السبعينات و الثمانينات حظيت بأكبر عناية وكانت أوفر حظا من الأجيال التي سبقتها"¹ .

وقامت المؤسسة الوطنية للكتاب بإنشاء قسم خاص بمنشورات الأطفال ، وكان قد أصدر هذا القسم الأعمال الخاصة بالأطفال باسم " سلسلة شموع " ، ومن أسماء الشعراء التي نشرت لهم : **محمد الأخضر السائي** وديوانه " أناشيد النصر " سنة 1983 ، **مصطفى الغماري** ، وديوانه " الفرحة الخضراء " في السنة نفسها ، **سليمان جوادى** ، وديوانه " ويأتي الربيع " سنة 1984 م ، **محمد ناصر** ، وديوانه " البراعم الندية " سنة 1985 م ، **بوزيد حرز الله** ، وديوانه " حديث الفصول " سنة 1986 م ، **يحي مسعودي** ، وديوانه " نسيمات " سنة 1986 م ، و **محمد الأخضر عبد القادر السائي** (السائي الصغير) بديوان " نحن الأطفال " سنة 1989 م"² .

« ومع مطلع التسعينيات اتسعت دائرة النشر ، وفتحت دور النشر أبوابها أمام المبدعين ... ومن هؤلاء ... **محمد الأخضر السائي** وديوانه " ديوان الأطفال " سنة 1983 م ، وقد نشرته "دار الكتب الجزائرية" ، **مصطفى محمد الغماري** وديوانه " حديقة الأشعار " التي قامت بنشره " دار الشهاب " ، **جمال الطاهري** وديوانه " الزهور " الذي نشر في خمسة أجزاء بين سنتي 1991 و 1993 م وقامت بنشره " دار الحضارة " ، **خضر بدور** وديوانه " أنغام الطفولة " ، وقد صدر في جزأين سنة 1992 م ، وقامت بنشره "م.و.ك. ودار الهدى بعين مليلة "³ .

أما لو يممنا وجوهنا شطر فن القصة الموجهة للطفل في الجزائر ، فإننا لن نجد فرقا ... بين قصة الكبار و قصة الصغار إلا في التبسيط و التوضيح و التحليل و الابتعاد

(1): خروفة براك : - معايير انقرائية شعر الأطفال - ص 42 .²

(2) : - المرجع نفسه - ص ن .

(3) : - المرجع نفسه - ص 43 .

عن الغموض المفرط أو التعقيد الممجوج ، ولا بد بالإضافة إلى ذلك أن تشتمل هذه القصة على مغزى أخلاقي يدفع الطفل إلى التفكير و التركيز "1 .
 هذا من حيث مستوى الوعي الذي يجب أن يخاطب به المتلقي (صغير ≠ كبير) .
 أما من حيث ظهورها ضمن الأدب العام في الجزائر - خصوصا مرحلة الاحتلال - فإن " ... القصة المكتوبة للأطفال في هذه المرحلة لم تظهر كجنس أدبي خاص موجه لهذه الشريحة بالذات ، على الرغم من ظهورها في بلدان عربية أخرى كمصر ، وشيء طبيعي أن لا تظهر في الجزائر لسبب بسيط ، وهو أن الأدباء كانوا منشغلين بالقصة المكتوبة للكبار كما كانوا منشغلين بقضايا أخرى ، فالقصة المكتوبة للأطفال لم تظهر وتتطور إلا في المجتمعات التي شهدت تطور وازدهار فن القصة بشكل عام "2 .
 وهذا شيء طبيعي في إطار غياب الحكمة القائلة : " إذا أردت أن تكون كلمتك من رأسك فاجعل لقمته من فأسك " .

وأما مرحلة الاستقلال فقد شهدت تحولات وتغيرات في الحياة العامة ، وبدأ الاهتمام بأدب الطفل وتكوينه وتنشئته ، خصوصا أن استقلال الجزائر كان فتيا في ذلك الوقت مع ما صاحبه من بعثات مشرقية إلى الجزائر ، وانتشار للتعليم المجاني ، وزيادة في نسبة المواليد سنة بعد أخرى ، كل هذا أسهم في دفع عجلة الأدب بعامة وأدب الطفل بخاصة .

إلا أن الشيء الملاحظ في تلك الفترة أن قصص الأطفال ، بدأت شمسها بالشروق مع مطلع السبعينيات ، " ... ففي سنة 1972 م ، نشرت الشركة الوطنية للنشر و التوزيع* سلسلة قصصية بعنوان " سلسلة أب كاسترو " * علما بأن هذه القصص ... أعيد طبعها في منتصف الثمانينيات ضمن سلسلة " رياض الأطفال " دون الإشارة لمؤلفيها "3 .
 ومع بروز دور نشر أخرى - خصوصا في الثمانينيات - بدأت حركة التأليف القصصي للأطفال في التقدم بخطوات ثابتة ، أسهم في هذا حتى غير الجزائريين ، إذ

(1): د/ محمد مرتاض : - من قضايا أدب الأطفال - ص 142 .

(2): أنظر . العيد جلولي : - النص الأدبي للأطفال في الجزائر - ص 54 .

* التي أصبحت تسمى بالمؤسسة الوطنية للكتاب بعد هيكلتها .

* بعض قصص هذه السلسلة : الأصحاب الأخيار ، حيوانات تبحث عن الصيف ، قصة القرد ، ... وغيرها .

(3): العيد جلولي : - المرجع نفسه - ص 59 .

يذكر الأستاذ " العيد جلولي " فيقول : « ... يمكن تصنيف القصص الموجودة في المكتبة الجزائرية من حيث مؤلفيها إلى خمسة أصناف :

أ / قصص لكتاب جزائريين على اختلاف مستوياتهم الفكرية و الأدبية.

ب / قصص لكتاب غير جزائريين غير أنهم أقاموا مدة طويلة في الجزائر وفيها كتبوا ونشروا قصصا للأطفال أمثال " د / محمد علي الرديني " الذي كتب سلسلة قصص الأنبياء للأطفال ، و " د / خالد أبو جندي " الذي كتب سلسلة قصص الطيور و الحيوان للأطفال .

ج / قصص لكتاب غير جزائريي الأصل ثم تحصلوا على جنسية جزائرية ونشروا قصصا كثيرة للأطفال ومن هؤلاء " خضر بدور " المعروف بغزارة إنتاجه ، و " د / عزة عجان " الذي نشرت له المؤسسة الوطنية للكتاب سابقا قصصا ، و " عبد الوهاب حقي " الذي ألف مجموعة قصص للأطفال ، و " حسن رمضان فحلة " الذي كتب قصص الأنبياء للأطفال .

د / قصص لكتاب غير جزائريين نشرت قصصهم في الجزائر وسواء نشرتها المؤسسة الوطنية سابقا مثل : سلسلة قصص القرآن لأحمد بهجت من مصر ، أو نشرتها دور النشر الخاصة مثل / سلسلة الإمامة لصاحبها " د / أحمد مختار البزرة " من مصر و التي نشرتها " دار الشهاب " أو سلسلة أحباب الرحمن و سلسلة المؤمن القوي و التي نشرتها " دار الهدى "

هـ / قصص مجهولة المؤلف وأحيانا مجهولة الناشر أو المؤلف و الناشر معا¹ . ومن أسماء الذين ألفوا قصصا للأطفال في تلك الفترة ، " محمد دحو " بقصته " الفلاح و النهر " ، و الروائي " جيلالي خلاص " الذي ألف كلا من " مرارة الرهان ، سر المشجب ، الديك المغرور ، السلحفاة و البحر " وهناك أيضا " قاسم بن مهني " الذي ألف قصة " عمير و صفوان " ² .

وهناك أيضا أسماء أخرى أسهمت في توسيع دائرة القصة الموجهة للطفل ، فبعضهم كتب القصة التاريخية أو الدينية أو الشعبية ، و البعض الآخر كتب الفكاهية ، ومنهم

(1): أنظر . العيد جلولي : - النص الأدبي للأطفال في الجزائر - ص 61 - 62 .

(2): د / محمد مرتاض : - من قضايا أدب الأطفال - ص 57 .

من كتب القصص المتعلقة بالخيال العلمي ، وأنا سأحاول أن أذكر اسم القصة ومؤلفها دون الإشارة إلى نوعها للاختصار « فهذا " عباس كبير بن يوسف " بقصة " رايس حميدو " التي صدرت عن م.و.ك سنة 1990 م ، " جذاب محمد الصالح " في مجموعته " عميروش وقصص ثورية " ، منشورات دحلب الجزائر ، ط 2 ، سنة 1989م ، وكتب " واسيني لعرج " " نورا ... السمكة الصغيرة " سنة 1992م ، و " كيكي غاضب " لـ " مليكة قريفو " و " الكنز المفقود " لـ " لخضر بدور " سنة 1991م . وهناك أيضا قصة " ملك الحيوانات " لـ " عزة عجان " وقصة " الحمار الأنيق " الصادرة عن المؤسسة الوطنية للكتاب ، وقصة " الكرة العجيبة " لـ " خضر بدور " الصادرة عن دار الهدى بعين مليلة سنة 1997م ، وهناك سلسلة " تأمل وضحك مع حديدوان " لـ " محمد مبارك حجازي " الصادرة عن شركة ترانسباب لتحويل الورق الجزائر وغيرها " ¹ .

ومن المجالات التي اهتمت بأدب الطفل : مجلة "أمقيدش" وهي مجلة مصورة عامة تصدر عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع بالجزائر ، وللمجلة مجموعاتها الدائمة لمؤلفي القصص ورسامين ومخرجين ... وقد لاقت رواجا كبيرا وشهرة واسعة من لدن الصغار ، إلى جانب بعض العناوين الأخرى كمجلة " طارق " ، مجلة "ابتسم" ، مجلة "الشبل" ، مجلة "جريدتي" ، ومجلة "رياض" ² .

(1): للاستزادة ينظر . العيد جلولي : - المرجع السابق - ص 71-72-93-110 - 116 - 130 .
(2): ينظر . عبد الرزاق بن السبع : - قصص الأطفال في المغرب العربي - ص 92 - 93 .

السيرة الذاتية للشاعر والكاتب مصطفى محمد الغماري :

"مصطفى محمد الغماري" من مواليد تاريخ 16 / 11 / 1948 بسور الغزلان "الجزائر" درس دراسته الثانوية في ليبيا أواخر الستينات ونال شهادة عالية البعوث حصل على شهادة الليسانس من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الجزائر سنة 1972 ،عمل في قسم الآداب معيدا إلى سنة 1984 نال شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث بدرجة مشرف جدا في أطروحة "الصورة الشعرية في شعر أحمد شوقي " سنة 1984 ورفقي إلى أستاذ مكلف بالدروس في الأدب العربي .

حصل على شهادة دكتوراه في أطروحته "المحاكمات بين أبي حيان والزمخشري وابن عطية فيما اختلفوا فيه من إعراب القرآن" للإمام العلامة أبي "زكريا يحي الشاوي المغربي"، دراسة وتحقيقا سنة 2000 . أستاذ بجامعة الجزائر منذ سنة 1977 . للباحث جانب إبداعي وجانب علمي أكاديمي .

الجانب الإبداعي :

- 1 - "أسرار الغربة " سنة 1978 .
- 2 - نقش على ذاكرة الزمن 1978 .
- 3 - أغنيات الورد والنار 1979 .
- 4 - قصائد مجاهدة 1983 .
- 5 - خضراء تشرق من طهران 1980 .
- 6 - قراءة في زمن الجهاد 1980 .
- 7 - عرس في مآتم الحجاج 1983 .
- 8 - قراءة في أية السيف 1984 .
- 9 - مقاطع من ديوان الرفض 1985 .
- 10 - بوح في موسم الأسرار 1985 .

- 11 - ألم وثورة 1986 .
- 12 - حديث الشمس والذاكرة 1985 .
- 13 - الفرحة الخضراء (من شعر الأطفال) 1983 .
- 14 - حديقة الأشعار (من شعر الأطفال) 1986 .
- 15 - العيد والقدس والمقام (الإبراهيمي) 1994 .
- 16 - والإسلاماه - من مسلمي البوسنة 1994 .
- 17 - براءة 1995 .
- 18- الهجرتان مطولة 1995 .
- 19 - مولد النور 1995 .
- 20 - بين يدي الإمام الحسين مطولة 1995 .
- 21 - أيها الألم (نشر إتحاد الكتاب العرب دمشق) 2000 .
- 22 - قصائد منتقضة - إلى انتفاضة الأقصى 2001 .
- وله دواوين لم تصدر منها :
- 1 - أشباح وأرواح .
- 2 - ثمار الأفاعي .
- 3 - ولك المجد يا مآذن (وهي ملحمة تتجاوز ألف بيت) .
- 4 - ديوان العروض .
- 5 - مجمع الفرائد (في الأمثال والحكم) .
- أما الجانب الأكاديمي فللباحث أعمال في التحقيق منها :
- تحقيق شرح أم البراهين في العقيدة للأمام "أبي عبد الله السنوني" (مطبوع) .
- تحقيق تفسير الإمام "الثعالبي" (جواهر الحسان) طبع بيروت 1996 .
- تحقيق المقدمات في علم الكلام للإمام "السنوني" (مطبوع) .
- سلسلة أوهام المحققين :
- 1 - ملاحظات على المعجم العربي الأساسي (مطبوع) .
- 2 - في النقد والتحقيق (مطبوع) .
- 3 - أشباه مختلفات (مطبوع) .

- تحقيق نسيم الرياض شرح "شفاء القاضي عياض".
- تحقيق كتاب طراز المجالس للإمام "الخفاجي".
- الإمام علي وحروب التأويل.
- نوقشت في أعماله الأدبية عشر رسائل ماجستير وقدمت فيها أيضا عشرات المذكرات الجامعية.¹

(1): هذه السيرة الذاتية مأخوذة من رسالة بعثها الدكتور: "مصطفى محمد الغماري" عن طريق الفاكس في 28 أوت 2008 م.

الفصل الأول

الفصل الأول : موضوعات النص القصصي في أدب الأطفال عند الغماري

1- مفهوم النص القصصي

- لغة

- اصطلاحا

2- الموضوعات

- المكر و الخديعة (جسدته قصة عاقبة البغي)
- الغرور (جسدته قصة السلحفاة الحمقاء).
- الحكم بالعدل (جسدته قصة العجوز و القاضي العادل)
- الندم على ما فات (جسدته قصة حين لا ينفخ الندم)
- الغيرة و الحسد (جسدته قصة العصفور الأسود)

مفهوم النص القصصي الموجه للأطفال :

بداية لا بد من تعريف عام للقصة من الجانب اللغوي، ثم الجانب الاصطلاحي، هذا كله كتمهيد مبسط نلج به التعريف الخاص الموجه للطفل .

لغة :

يعرف اللسان مادة قصص ب".."القص فعل القاص إذا قص القصص، والقصة معروفة، ويقال : في رأسه قصة يعني الجملة من الكلام، ونحوه قوله تعالى : نحن نقص عليك أحسن القصص، أي نبين لك أحسن البيان ..ويقال : قصصت الشيء إذا تتبعت أثره ..."¹

اصطلاحا :

مع كثرة التعاريف سأكتفي ببعضها حتى لا تنتשב بنا السبل كثيرا ، فمصطلح "القصة" يطلق ...عادة في اللغة العربية على النمط الروائي Le roman لكنه يستعمل كذلك للتعبير عن تسلسل الأحداث في مختلف الأنماط الأدبية أو حتى الفنية بصفة عامة كأن نسمع مثلا هذه الجملة " أعجبتني قصة هذا الشريط " بينما يكاد النعت " قصصي " يكون مختصا بالمعنى الثاني أي المعنى العام "² وتعرفها د."عزيزة مريدن" بأنها "..."شكل من أشكال التعبير تتبلور فيه أذكي نفاتح المشاعر، وتتجلى فيه شتى النوازع والعواطف، من إنسانية وقومية وتاريخية واجتماعية ووجدانية، من خلال سرد حادثة معينة، بأسلوب يستحوذ على القارئ أو يثير انتباهه، فيتابعها بشغف ولذة، ويسير معها حتى تتأزم المواقف فيها فتصل أحيانا إلى ذروة التعقد، فيتطلع عندئذ بلهفة إلى حلها ونهايتها ..."³ وينوه يوسف نجم بعنصر الخيال ويجعله ركيزة أساسية في تكون العمل القصصي

(1): ابن منظور الإفريقي : - لسان العرب - دار صادر ، بيروت، لبنان، المجلد 7 ، ص 73 - 74 .

(2): سمير المرزوقي ، جميل شاكور : مدخل إلى نظرية القصة - ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الدار التونسية للنشر، ص 16 .

(3): د/ عزيزة مريدن : - القصة الشعرية في العصر الحديث - ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ص 13 .

الفصل الأول ————— موضوعات النص القصصي في أدب الأطفال عند الغماري

وإخراجه في أبهى حلة فنية قشبية حيث يقول : " القصة حوادث يخرعها الخيال، وهي بهذا لا تعرض لنا الواقع كما تعرضه لنا كتب التاريخ والسير، وإنما تبسط أمامنا صورة عنه. " ¹

وبهذا التعريف يتفق د. " يوسف نجم" مع الكاتب الأمريكي " هنري جيمس " (H. JAMES) (1843 – 1916) في تحديد الهدف من القصة حيث يفضي " إلى أن هدف القاص من عمله القصصي هو الوقوف في وسط فضاء الحياة الواسع لينتخب منه ما يمكن أن يفسر به الحياة ويهدي به السبيل " ² وبذلك تعد " .. مرآة متعددة السطوح، وكل قارئ يلقي بناظره على السطح الذي يعكس صورته بأمانة ودقة. " ³

من خلال هذه التعريفات تبين لي بأن القصة أداة فعالة من أدوات ترجمة الواقع ضمن أحداث متتالية تصاغ بطريقة فنية تجذب إليها القارئ، على أن تهدف إلى غرس قيم، ونشر أفكار، وتشكيل وجدان .

وفيما يتعلق بالقصة المكتوبة للأطفال، فإن الدارسين يرون أنها فرع أصيل من دوحة الأدب وافرّة الظلال، حيث يقول "محمد مرتاض" : " فلا فرق بين قصة للكبار، وقصة للصغار إلا في التبسيط والتوضيح والتحليل والابتعاد عن الغموض المفرط أو التعقيد المموج، ولا بد بالإضافة إلى ذلك أن تشمل القصة على مغزى أخلاقي يدفع الطفل إلى التفكير والتركيز " ⁴.

ويذهب د/ " عبد الرزاق جعفر" إلى أن " ... الموضوعات التي يجب أن يتضمنها كتاب الأطفال وما يجب توافره فيها من خصائص حتى يستسيغها الصغار ويستمتعوا بها فإننا نجد أن القصة تحتل المقام الأول لما تتضمنه من أفكار وأخيلة وحوادث، فإذا أضيف إلى هذا كله لغة سليمة محدودة وأسلوب بسيط غير معقد وسرد جميل أخاذ وجو مرح يثير في نفوس الصغار السعادة والفرح كانت القصة قطعة فنية أحبها الأطفال الصغار ⁵

(1): محمد يوسف نجم : فن القصة - دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ص 10.

(2) : - المرجع نفسه - ص 11.

(3) : - المرجع نفسه - ص 30 .

(4): محمد مرتاض :- المرجع نفسه - ص 142 .

(5): د/ عبد الرزاق جعفر : - في أدب الأطفال - منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سورية ، 1979 ، ص 449 .

والراشدون والكبار على حد سواء.¹

وتعرفها د/ "إيمان البقاعي" في المتقن بأن " قصة الأطفال فن نثري شائق، مروى أو مكتوب، يقوم على سرد حادثة أو مجموعة من الحوادث مختلفة الموضوعات والأشكال، مستمدة من الخيال أو الواقع أو من كليهما معاً، لها شروطها التربوية والسيكولوجية المتعلقة بنمو الطفل، وشروطها الفنية المتعلقة كذلك بهذا النمو، ويشترط فيها أن تكون واضحة، سهلة، ومشوقة، وأن تحمل قيماً ضمنية تساهم في نشر الثقافة والمعرفة بين الأطفال، كذلك في تنمية لغتهم وخيالهم وذوقهم، فتجمع بين متعتي المعرفة والفن.¹

من خلال هذه التعريفات يمكنني استخلاص ما يلي :

- القصة الموجهة للطفل شكل من أشكال النثرية الأدبية لا تختلف عما يوجه للكبار .
- من حيث اللغة والأسلوب لا بد من مراعاة التبسيط التوضيح، والابتعاد عن الغموض والإبهام .

- مراعاة الجانب البسيكولوجي عند الكتابة إلى مختلف مراحل نمو الطفل .
- مراعاة الجانب الفني في القصة الموجهة للطفل وفي مراحل النمو المتعارف عليها .
- احتواء القصة على الجانب التربوي والقيمي الذي يعد ضرورة من ضرورات أدب الطفل .

ذلك ما سنحاول أن نرصده في قصص مصطفى الغماري .

(1): د/ إيمان البقاعي : - المتقن في أدب الأطفال و الشباب لطلاب التربية ودور المعلمين - دار الراتب الجامعية ، بيروت ، لبنان ، ص 117 .

يذهب أحد الدارسين إلى أن حكايات الحيوان " تنشأ ... قبل أن ترتقي إلى المستوى الفني فطرية في أدب الشعب (الفولكلور) ثم تتطور وتنتقل من صورتها البدائية الساذجة إلى المكانة الأدبية لتصبح بطابعها الفني الخاص ذات رسالة اجتماعية و أخلاقية وسياسية ..."¹، وهذا ما ينطبق على قصة " عاقبة البغي" التي تروي حياة ثعلب كان يعيش في أمن وسلام وطمأنينة ، إلى أن جاء اليوم الذي استعمرت فيه حية جحره (رجع إلى الجحر منهوك القوى، ولكنه فوجئ بما لم يكن في حسابه، فقد وجد فيه حية واضعة رأسها في فم الجحر فاغرة فاها ، متلهية بلسانها يمينا وشمالا كأنها تتحدى من تسول له نفسه بالاقتراب)² فاضطر إلى التخلي عنه - مؤقتا - عله يجد حيلة يخرجها من ذلك الجحر الجميل .

ذات مرة وهو يتجول في أرجاء الغابة أبصر أحد الجحور فسأل عن صاحبه فأخبر بأنه لثعلب وجيه اسمه "أبو الهناء" ، فلما عرف ذلك نادى عليه فخرج إليه هذا الثعلب وسأله عن حاجته، فأخذ الثعلب المغلوب يروي قصته للثعلب الوجيه (...قص عليه خبره مع الحية، وكيف استوطنت جحره، فتركته شريدا طريدا، عرضة لغارات الذئاب، وطعمة سائغة لطوائف الكلاب، فقد حرم النوم ولذته و الفراش ومتعته، منذ أن استعمرت جحره ذات الناب المعقوف...) ³، فرق لحاله ونصحه بأن يتروى في الأمر عله يجد حيلة ينسجها لإيقاع الحية الظلوم، وخصوصا أن أبا الهناء رأى الإصرار من الثعلب المظلوم على الرجوع إلى بيته ووطنه (... هذا غير ممكن فإن محبة الأوطان من فطرة الإنسان و الحيوان، وحتى النبات، ألا ترى أن النبات ينكمش ويذبل وقد يموت موتا بطيئا إذا زرع في غير وطنه، وحمل على غير طبعه... إن لي يا صديقي نفسا يسرع إليها الهلاك إذا بعدت عن الوطن ...) ⁴ .

وفي خضم الأحداث كان الثعلب يخطط لأبي الهناء كيف يوقع به ويحتل جحره لما رأى فيه من طيب الهواء وسعة المكان وكثرة القوات (... كان أبو الهناء يتكلم، وكان ضيفه يريه أنه شديد الاستماع إليه، ولكن عينيه كانتا تنتقلان في الجحر من مكان إلى

(1): محمد غفراني الخرساني، عبد الله بن المقفع. الدار القومية للطباعة و النشر. القاهرة - مصر. ص 467.

(2): د/ مصطفى الغماري . عاقبة البغي. سلسلة "حكاية وعبرة" ، دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع. 2004. ص 04.

(3): د/ مصطفى الغماري . عاقبة البغي . ص 08 .

(4): د/ مصطفى الغماري . عاقبة البغي . ص 11 .

مكان فرأى فيه من السعة وطيب الهواء و المتعة ما اشتد عليه حرصه، وجعل يقرب فكره في العثور على أسهل الوسائل لاغتصابه و التخلص من أبي الهناء ، بالقتل أو بالنفي¹، وبعد تفتن أبي الهناء لحيلة يمكنها أن توقع الحية في الفخ ويخرجها من الجحر، نفذ الثعلب الماكر خطته التي أوردته في نهاية الأمر الموت الزؤام "... انطلق أبو الهناء إلى ظاهر القرية، وفيما كان يحاول من أحد أكواخها أن يأخذ قبسا كان ضيفه يعمل المكر و الخديعة فعمد إلى إحدى الحزمتين فأزالها إلى موضع غير بعيد فخبأها فيه، ثم جر الحزمة الثانية إلى باب جحر أبي الهناء فسده سدا محكما بعد أن دخله ... ثم إن أبا الهناء جاء بالقبس، فلم يجد الثعلب، ولا وجد الحطب، فوضع القبس في الأرض ، قريبا من الحطب، ولم يشعر أن الباب مسدود به لشدة الظلام، فما بعد عن الباب إلا و ضوء النار وألسنة اللهب وشدة الدخان قد علت في الجو، فرجع بسرعة ليعرف ما وقع، وتأمل الباب فرأى الحطب قد صار نارا، فعلم أن الثعلب قد احترق داخل الجحر ووقع في مكره ..."²

القصة تصور لنا عاقبة المكر و الخديعة ونهايتهما المشؤومة حيث "... يجد الأطفال في هذا اللون من القصص عالما غريبا وجديدا، لذا يحبونه ويربطون بين صفات وسلوك أبطاله وبين صفات وسلوك أصدقائهم"³ وهي تصور لنا أيضا حياة الغابة، وأي النظم تحكمها، ومن خلالها تعرفنا على طبائع بعض حيواناتها من خلال شخصياتها المتمثلة في الثعلبين و الحية، وهي بهذا تنتمي إلى قصص الحيوان الشارحة أو التعليلية : "وهي القصص التي يحاول الكاتب أن يعلل ويفسر بعض طباع الحيوان وأشكاله"⁴

و الهدف الأساس من القصة هو إسقاط ما تضمنته على واقع الناس الأليم الذي ملئ جورا وعتوا في الأرض بعدما كانت شمس العدالة ساطعة في الأفق، فكل هذا بسبب بعدهم عن المصدر الأساس وهو دين الله، واحتوائهم لقيم أخرى خارجة عن الإطار السماوي، سيرهم ذلك إلى وحوش ضارية يحكمها قانون الغاب الذي لا يرحم الضعيف.

(1): د/ مصطفى الغماري . عاقبة البغي . ص 10.

(2): د/ مصطفى الغماري . عاقبة البغي . ص 13- 14.

(3): د/ نعمان الهيتي . أدب الأطفال، فنونه، فلسفته، وسنانه. الهيئة المصرية العامة للكتاب، بالاشتراك مع دار الشؤون الثقافية. بغداد. العراق. 1977. ص 148 / 149.

(4): العيد جلوي. القصص المكتوب للأطفال . ماجيستير . 1999 – 2000 . ص 73.

(الغرور) قصة السلحفاة الحمقاء:

القصة تروي حكاية سلحفاة تنكرت لطبيعتها وأخذت بنصائح صديقها الأرنب الذي لم يكن ينظر إلى الأمور بعين العاقل الحصيف، حيث قال لها ذات مرة: "... إنني لا أفشي سرا إذا قلت: إن المشي معك ممل، وإن السباق معك عبث، وكان كلامه يحز في خاطر السلحفاة ويحزنها كثيرا..."

وذات مرة قال لها: يا صديقتي العزيزة، هل تريدين أن تعرفي ما سر بطئك؟ وثقل حركتك، وقلة نشاطك؟ قالت: أكون لك ممتنة شاكرة، قال: بصراحة إن درعك هي السبب وسكت قليلا ثم أضاف، إنها درع ثقيلة جدا، كما أنك تزدادين بشاعة فيها وإن أسهل حل، أن تنزعها وأن ترمي بها إلى حيث لا يمكنك أن تعودي إليها فتخلصين بذلك من قبح الدرع وثقله.¹

بقيت هذه النصيحة - التي في ظاهرها خير وفي باطنها شر - ترن في أذن السلحفاة، وعندما ذهبت إلى منزلها، نفذت ما نصحها به الأرنب وازدادت نفسها قناعة عندما قابلت المرأة، حيث داخلها الغرور واعتلى عرش النفس، ومنذ تلك اللحظة و السلحفاة في زهو وحبور " قررت السلحفاة عند عودتها إلى البيت نزع الدرع من فوق ظهرها، فوقفت أمام المرأة، ونزعت درعها، ووضعتها جانبا، وأعدت النظر في المرأة فأعجبتها نفسها، وبدأت ترقص في غرور وفخر، وبرشاقة، غير أنها لحماقتها لم تصبر حتى يطلع الصباح بل ذهبت إلى الأرنب مبدية ما هي عليه من جمال، وهي تمشي متبخترة مزهوة برشاققتها...²، فرح بذلك الأرنب وتسابقت معه، وفازت عليه، كل هذا حدث في أيام الصيف الزاهية حيث قضت أيامه " ... تنتزه وتلعب مع صديقها الأرنب، وهي لا تفكر في أي شيء سوى المرح و اللعب، ومرة الأيام ... و... حل فصل الشتاء ببرودته القاسية وأمطاره الغزيرة وتلوجه المتركمة، وزمهيره الشديد...³ حيث قضت هذا الفصل بين الحياة و الموت لولا معونة صديقها الأرنب

(1): د/ مصطفى الغماري . السلحفاة الحمقاء. " سلسلة حكاية وعبرة " - دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع. ص 03 - 05.

(2): د/ مصطفى الغماري . السلحفاة الحمقاء. ص 06

(3): د/ مصطفى الغماري . السلحفاة الحمقاء. ص 12- 15.

"... قضت فصل الشتاء بين الموت و الحياة في سريرها تحت الغطاء ومع ذلك لم تحس بالدفع بينما كانت ترى الأرنب يخرج ويتنزّه ويبحث عن قوته، وكان يزورها من حين إلى حين ويقدم لها يد المساعدة ويأتيها بالأكل، ويمن عليها..."¹، وندمت ندما شديدا على ما أقدمت عليه في أيام الصيف و "قالت: هذا درس لن أنساه وهذا جزاء من لا يحمد الله على النعم التي أنعم بها عليه، فقد كانت الدرع نعمة من نعم الله التي لم أشعر بقيمتها إلا عند فقدانها"².

العبرة من هذه القصة أن لا بد للإنسان بأن يرضى بما خلق الله له، ولا يغير من شكله أو مشيته أو طبعه بل يجب أن يحسن من أخلاقه، وأن يهذب من عاداته، وفقا لما يأمره ربه به وينهاه عنه .

يجمع الدارسون لقصص الأطفال على أن العنصر الحيواني الموظف في القصة الموجهة له يحتل الصدارة، والسبب في ذلك هو تلك العلاقة الحميمة الموجودة بين الطفل و الحيوان خصوصا و "... أن بعض الحيوانات أصغر حجما من الراشدين من بني الإنسان وثمة شواهد كثيرة تدل على قرب الحيوان من نفس الطفل ويبدو ذلك من ظهور الحيوانات في أحلام الأطفال و في مخاوفهم، كما تعتبر الحيوانات على المستوى الشعوري أصدقاء للأطفال..."³

(1): د/ مصطفى الغماري . السلحفاة الحمقاء. ص 14.

(2): د/ مصطفى الغماري . السلحفاة الحمقاء. ص 14-16.

(3): د/ نعمان الهيتي . أدب الأطفال . ص 148.

(الحكم بالعدل) قصة العجوز و القاضي العادل :

هي قصة تروي حياة عجوز عربية، تعيش في البادية تفتت مما تدره عليها شويهااتها من اللبن و الصوف "كانت... الخيمة لعجوز عربية مسنة لم يبق لها الزمن إلا أربع نعاج، تفتت من لبنها ... لتشتري بثمنه بعض ما تحتاجه في حياتها اليومية ... كانت كل يوم تسوق شويهااتها إلى المراعي القريبة، حيث تقضي نهارها في جني بعض البقول البرية و النباتات التي يعرفها أهل البادية ويفرقون بين ضارها و نافعها ... هكذا كانت حياة هذه العجوز تمر كل يوم في هدوء، لا يعكر صفوها شيء، إلا ما يعرض لها من ذكرى زوجها وولديها اللذين فقدتهم منذ زمن ..."¹

وذات مرة في أيام الربيع الزاهية، درت تلك الشويهاات لبنا زائدا على حاجتها، فأخذت ما زاد عن حاجتها وذهبت به إلى السوق لتبيعه " وفي أحد الأيام الربيعية الضاحكة درت شويهااتها الأربع لبنا غزيرا ملاً وعاءها وفاض، وزاد عن الحد الذي كانت تحلبه منها، فأخذت منه ما وسعها ربا وشبعا، وبقي ما يمكن أن يباع، فيدر عليها ربحا ماديا تشتري به ما يسد حاجتها الدنيا من ضروريات المنزل ..."² ، وعند ذهابها إلى سوق القرية، وهي في الطريق سقطت قطرات من سم الأفعى في الوعاء الذي كانت تحمله فوق رأسها، ولم تتفطن لذلك، بعد مدة دخلت السوق وباعت لبنا لتاجر القرية الذي قدمه بدوره في وليمة أقامها في بيته، لكن ما حدث لم يكن متوقعا "... ما أن رجعت العجوز إلى خيمتها، ولم تلبث إلا قليلا حتى جاءت الشرطة وأخذت العجوز إلى دار القضاء، وذاع في القرية أن العجوز وضعت السم في الحليب الذي اشتراه التاجر الطيب، وقدمه لضيوفه الأربعة فقتلوا في مكانهم وأصبحت العجوز و اللبن المسموم حديث الناس الذين لا هم لهم إلا حمل الشائعات ونشرها في مجالسهم وقلما يتحققون مما يذيعون من أخبار "³ ، وكان من حسن حظ العجوز أن برأها القضاء لانعدام الأدلة

(1): د/ مصطفى الغماري . العجوز و القاضي العادل . "سلسلة حكاية وعبرة " دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع . ص 03 .04

(2): د/ مصطفى الغماري . العجوز و القاضي العادل . ص 06.

(3): د/ مصطفى الغماري . العجوز و القاضي العادل . ص 10.

الكافية لإدانتها " أفرج القاضي عن العجوز إفراجاً مؤقتاً ، لانعدام الدليل القوي الذي تدان به"¹، ولكن القاضي العادل بقي يدرس القضية مع طلابه إلى أن وصل إلى القناعة التي تبرئ ساحة العجوز .

القصة انكأت على التراث الشعبي العربي " ومن سمات القصة الشعبية: الأصالة و العراقة ... أما العراقة و الأصالة فقد تتمثل في أن كل فريق في المجتمع له قصص تعبر عن أفكاره و عواطفه وهي مرتبطة بأفكار و عواطف المجتمع بعامه ..."² وما يستشف من القصة هي أنه على الإنسان أن يتحرى الحقيقة في الحكم على الأشخاص و الأشياء، و القصة تعلم الطفل أيضاً كيف ينظر إلى الأمور من عدة زوايا لا من زاوية واحدة، وبذلك يصيب الحق ولو بعد حين، وبمثل هذا تتحقق العدالة الاجتماعية التي تنشدها كل المجتمعات.

(1): د/ مصطفى الغماري . العجوز و القاضي العادل . ص 10.

(2): د/ عبد الفتاح أبو معال . أدب الأطفال . ص 151.

(الندم على ما فات) قصة حين لا ينفع الندم :

يحكى أن أعرابيا يدعى "الكسعي" كان يهوى صيد الطباء، حيث رغب في التفوق على منافسيه في الصيد، فقد خطط لاقتناء قوس ما عرفت العرب مثل قوته ومرونته، " كان الكسعي راضيا في حياته، في مسرح طرفه ومسعى خطواته في ذلك الوادي الخصب الجميل، نظر ذات يوم إلى نبعة تشقق عنها صخرة صماء، ورأى بعين الحازم العاقل أن شجرا تتجسس عنه الصخور، وينبت من أعماقها دليل أصالة ونجابة وقوة، وفراصة العربي لا تخيب، وبصره بالأمر لا يريب، فقال في نفسه، ينبغي أن تكون في هذه النبعة قوسا عربيا نجبية، وسهاما إن أطلقت إلى هدفها مصيبة..."¹

أخذ ينقل إليها الماء براحتيه كل يوم ليرويهها ويمضي ساعات النهار بجانبها لحراستها من الحيوانات السائبة أو عبث العابرين، وبعد شهور من الحراسة و الرعاية و الاهتمام المتواصل شب العود وبات جاهزا للقطع و التحضير ليصبح اسمه بعد اليوم "قوس الكسعي" (... وجعل يقول:

هـن وربي أسهم حسان يلذ للرامي بها المران
كأنها قومها الميزان فأبشروا بالخصب يا صبيان
إن لم يعقني الشؤم و الحرمان

ثم خرج حتى أتى موارد الحمر، فكمن لها من وراء شجيرات قريبة من المورد في الهزيع الأخير من الليل قبل انفجار الفجر..."²، فرمى القطيع المرة تلوى الأخرى إلى أن نفذت السهام الخمسة، وكان في كل مرة يظن أن سهامه لا تصيب الهدف، لسرعة مروقها من جسد الضحية، وهذا ما جعل اليأس يتسلل إلى نفسه وتعلوه بعد ذلك غشاوة التشاؤم و الإحباط، ومن نتائجه أنه كسر قوسه العذراء و (... قعد على أسوأ حال، لا يدري ما يفعل، فلما أطل الصباح وانجلى النهار، وانهمز الليل في ذلة وانكسار، رأى الحمر الوحشية مصرعة حوله، وأسهمه مضرجة بالدم المسفوح، فندم ندما أخذ منه

(1): د/ مصطفى الغماري . حين لا ينفع الندم . "سلسلة حكاية وعبرة" دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع . ص 05- 06.

(2): د/ مصطفى الغماري . حين لا ينفع الندم . ص 08- 10.

مجامع فؤاده، و غرق بياض أمله في سواد حداده، واشتد به الندم حتى عض على إبهامه فقطعها وأنشأ يقول :

ندمت ندامة لو أن نفسي تطاوعني إذا لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني لعمر أببك حين كسرت قوسي"¹

ما يستشف من القصة أن التسرع في الحكم على الأمور و الإقبال عليها دون تعقل وتمحيص ودراسة يورث الحسرة و الندامة وصدق الشاعر حين قال :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

(الغيرة و الحسد) قصة العصفور الأسود :

قصة تحكي حكاية أميرة جميلة ابتليت بزوجة أب جديدة - بعد وفاة أمها بشكل مفاجئ- تغار من جمالها الفائق وحسن أخلاقها التي رشحتها لأن تكون من نصيب أمير مملكة أخرى "ذات يوم سمعت ريحانة، أمام القصر أصواتا كثيرة، فأطلت من نافذة غرفتها فرأت موكبا كبيرا يتقدم إلى قصر أبيها، وسألت مربيتها فعلمت أن الأمير "حسين" جاء يخطبها من أبيها وكان الأمير الحسين مثالا في الجمال، و الأخلاق و الشجاعة... فوافق الأمير وطلب أن يكلمها، ولما رآها أعجب بجمالها الفائق وكلامها الساحر، وتفكيرها العميق ، ولطفها وحيائها ، وأصر الأمير على خطبتها، و الزواج منها، ووعدا بأنه سيرجع قريبا ليعد نفسه، ثم ودعها، وذهب إلى إمارته"² إلا أن زوجة الأب - و التي كانت ساحرة - أرادت من هذا الأمير من أن يتزوج ابنتها رغم قبح أخلاقها ووجهها، وعند رفضه لذلك، صيرته بكرتها السحرية إلى عصفور أسود جميل، ولم كم حزنت الأميرة الجميلة لفراق الأمير الذي جاء ليخطبها من أبيها ولم تعلم بأنه صار عصفورا أسودا إلا بعد أن أخبرتها الخادمة، فقررت الأميرة أن تأخذ العصفور إلى أحد كبار السحرة في المدينة كي تعيده إلى حاله البشرية بعد أن صار إلى الحال الحيوانية " تنكرت ريحانة في زي فتاة قروية وخرجت من القصر و

(1): د/ مصطفى الغماري . حين لا ينفع الندم . ص 16- 17.

(2): د/ مصطفى الغماري . العصفور الأسود . "سلسلة حكاية وعبرة" دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع . ص 07 - 08.

هي تحمل العصفور بين يديها، حتى وصلت إلى كوخ صغير، وجدت فيه عجوزا فطلبت منها أن تساعدنا على عودة الأمير إلى شكله الإنساني، وذهبت برفقة العجوز إلى رجل يسكن خارج المدينة، في مكان مهجور، وقصت عليه القصة، فرق لحالها وأخرج كرة سحرية لماعة وأطلق البخور و الدخان وصرخ: "كن أيها الأمير كما كنت بشرا سويا" وفجأة انقلب العصفور إلى أمير رائع الجمال¹، تزوج بعد هذه الحادثة وعادت الأميرة إلى شعبها، وشاع العدل على يدها، بعد أن ملئت بلادها جورا. القصة اعتمدت على عنصر الخرافة الذي يحوي عالم السحرة و الجن و العفاريت لصياغة العمل الأدبي .

و القصة في عمومها تهدف إلى نبذ التحاسد و التباغض و الغيرة المذمومة بين أفراد المجتمع وإبدال هذه القيم السالبة بقيم موجبة توطد العلاقات بين الناس وتحفظ لهم أمنهم وسلامتهم و رقيهم، وقد طرحت في قالب فني يفهمه الطفل ويتسلى بمضمونه.

(1): د/ مصطفى الغماري . العصفور الأسود . ص 16- 17.

الفصل

الثاني

الفصل الثاني : موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

1- مفهوم النص الشعري

- لغة

- اصطلاحا

2- الموضوعات (المحاور) التي تضمنها شعر مصطفى محمد

الغماري الموجه للطفل

- المحور الديني

- المحور الاجتماعي

- المحور المتعلق بالعربية و الدعوة إلى التمسك بها

- محور المتعلق بالطبيعة

- المحور الوطني

- المحور الثورة و الشهداء

- محور القصص الشعري

- تعريف اصطلاحى للقصة الشعرية

- حكاية الأسد

- القبرة

- الشاة و الراعي

- الحمامة و الحرية

- القرد الفيلسوف

مفهوم النص الشعري الموجه للأطفال :

يعرفه ابن منظور في اللسان فيقول : " والشعر : منظور القول، غلب عليه لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كل علم شعرا من حيث غلب الفقه على علم الشرع، والعود على المندل، والنجم على الثريا، ومثل ذلك كثير، وربما سموا البيت الواحد شعرا... وقال الأزهري : الشعر القريض المحدود بعلامات لا يجاوزها ... " ¹

هذا التعريف المعجمي سنجده يتفق مع تعاريف النقاد القدامى الذين كانوا يرون الوزن والقافية من الحدود الضرورية التي يجب أن يحكم بها القريض القاصد إلى معنى معين، وفي هذا يعرف ابن طباطبا العلوي الشعر بقوله : " كلام منظور بان على المنثور الذي يستعمله الناس في مخاطباتهم بما خص به من النظم الذي إذ عدل به جهته مجته الأسماع، وفسد على الذوق، ونظمه معلوم محدود .. " ²

وللباحث في مفهوم الشعرية في الفكر النقدي العربي سيجد تباينا بين التعريفات، كل حسب الأدوات التي نظربها إلى الشعر، لكن انطلاقا - دائما - من مفهوم أنه " كلام موزون مقفى " .

أما الولوج إلى عالم الشعر منذ عصر النهضة إلى يومنا هذا فإننا سنجد تعريف الشعر قد تعدد بتعدد المذاهب التي نظم من خلال رؤيتها الإيديولوجية والفلسفية، وسأكتفي بتعريف واحد ذكره البارودي في مقدمة ديوانه حيث يقول : " الشعر لمعة خيالة يتألق وميضها في سماوة الفكر، فتنبعث أشعتها إلى صفيحة القلب، فيفيض بلألئها نورا يتصل خيطه بأسلة اللسان، فينفث بألوان من الحكمة. " ³

من خلال هذين التعريفين وغيرهما يرى الدكتور محمد مرتاض " أن يضع شاعر الأطفال في حسابه كثيرا من التقنيات ويرصد إزاء ذهنه كثيرا من الحقائق التي لا تقبل

(1): ابن منظور الإفريقي :- لسان العرب- دار صادر ، بيروت، لبنان، المجلد 4، حرف الراء (ر) مادة شعر، ص 410 .
(2): أ. د . عبد المالك مرتاض:- مفهوم الشعرية في الفكر النقدي العربي - مجلة بونة للبحوث و الدراسات العددان (7-8) محرم 1428هـ /يناير (جانفي) 2007م ،ذو الحجة 1428هـ / كانون الأول (ديسمبر) 2007م ، عنابة ، الجزائر ، ص 26 .
(3): د. عبد العزيز السبيل :- ثانية النص قراءة في رثانية مالك بن الربيع - مجلة عالم الفكر، م و ث ف آ ، دولة الكويت، المجلد 27، 1ع، يوليو/ سبتمبر 1998، ص 63 .

الفصل الثاني _____ موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

الجدل، ومن هذه الحقائق والتقنيات مراعاة المستوى العمري والفكري واللغوي والنفسي وغير ذلك.¹

هذا فيما يخص المبدأ العام الذي يجب أن يلتزم به شاعر الأطفال حتى لا تحيد به الطريق نحو التعالي والإسفاف، لأن اللطف جوهره نفيسة طيبة لا تقبل إلا طيبا .
ضف إلى كل الشروط التي وضعها د.محمد مرتاض وغيره. الإيقاع الموسيقي الذي يعد ركيزة أساسية في نظم شعر الطفولة " فالأطفال إيقاعيون بالفطرة، فهم ينامون على صوت أغاني أمهاتهم ويحبون العبث بما يصدر من أصوات مختلفة ويترنمون بما يحفظون من كلمات فيها نغمات غنائية.²

(1): محمد مرتاض : - من قضايا أدب الأطفال - ص 62 .
(2): عبد الفتاح أبو معال : - أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتنقيحهم - دار الشروق ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2005م ، ص

الموضوعات التي تضمنها شعر مصطفى محمد الغماري الموجه للطفل :

متصفح الدواوين الثلاثة التي ألفها الشاعر (حديقة الأشعار، الفرحة الخضراء، أناشيد) يجد تنوعا في الموضوعات المتناولة، وهذا من الأشياء الجوهرية التي يجب على الكاتب المتخصص في أدب الطفل أن يراعيه عند مخاطبة الأطفال فعالمهم عالم " متحرك مشحون بالعواطف المتغيرة باستمرار، لأن من سمات الطفولة التغير المستمر، وعدم الثبات على رأي واحد، والميل إلى المثير والمدهش والمرفه والمسلي والمغذي في نفس الوقت"¹.

لكن مع كل هذا التنوع وهذا الثراء فإن الباب " ليس مفتوحا على مصراعيه بل هو دقيق يحتاج إلى دراسات تربوية تعنى بمعرفة ميول الأطفال، وتتعرف دوافعهم واهتماماتهم وخبراتهم "².

وسأحاول في هذه الدراسة أن أجمع شتات الموضوعات التي تضمنتها الدواوين الثلاثة في محاور محددة :

أ - المحور الديني وما تعلق به :

وأهم قصائده (يا الهي، أذان الفجر، النبي المعلم صلى الله عليه وسلم، حديث المسجد).

ب - المحور الوطني :

وأهم قصائده (أنشودة الوطن، أنشودة الوحدة، جزائر يا أمنا، المجد للجزائر، محبة الأوطان، بلادي) .

ج - المحور الثوري وما تعلق به :

ومن أهم قصائده (زيتونة تتكلم، باسم الجزائر، نثور نثور، عشاق البيضاء، يا أم الثورة، بني الأحرار، أغنية للشهداء، الأمير المجاهد) .

(1): د/ العيد جلولي - : النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر - دراسة تحليلية لاتجاهاته وأنماطه وبنيتة الفنية ، رسالة دكتوراه ، تخصص أدب عربي حديث ، السنة الجامعية : 2004 - 2005م، ص 113 . مأخوذ عن مقال لـ : مصطفى رضاني "خصائص مسرح الطفل ومكوناته " ، مجلة المشكاة، المغرب، العدد 18، سنة 1994 ، ص 48 .

(2): - المرجع نفسه - ص 113، مأخوذ من كتاب لـ : سمر روجي الفيصل "مشكلات قصص الأطفال في سورية" منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1981 ، ص 41 .

د - المحور الاجتماعي :

تتصوي تحت هذا اللواء قصيدتان من ديوان حديقة الأشعار الأولى بعنوان (بائع الأزهار) والثانية (أنشودة الفلاح) .

هـ - محور الطبيعة وما تعلق بها من جماد ومتحرك :

من أبرز قصائده (الطبيعة في بلادي، وهي مأخوذة من ديوان "حديقة الأشعار"، والقصيدة الثانية بالعنوان نفسه لكن من ديوان "الفرحة الخضراء" ، إضافة إلى قصيدة "مرحبا بالربيع")، ومن بين العناصر البارزة في الطبيعة الحيوانات، حيث إن القارئ لديواني "الفرحة الخضراء" و "أناشيد" يلفي أن الشاعر استعمل الحيوان ليرمز به إلى رأيه تجاه قضية سياسية أو دينية أو ظاهرة اجتماعية، وقد استخدم في ذلك فن القصة الشعرية ومن أبرز قصائده (حكاية الأسد، القبرة، القرد الفيلسوف، الشاة والراعي، الحمامة والحرية) .

و - المحور المتعلق بالعربية والدعوة إلى التمسك بها :

نجد الكاتب في هذا الشأن كتب قصيدة واحدة عنوانها (يا خير اللغات) . وقد تتعدد الموضوعات في قصيدة واحدة، لذا آثرت أن أقارب بين القصائد بجمعها في محور واحد .

أ - المحور الديني وما تعلق به :

يستهل الشاعر (مصطفى محمد الغماري) في إحدى نماذجه " قصيدة إلهي " بابتهاج يتوجه به إلى الله جل شأنه، بذكر آلاء ونعم الله على البشر حيث يقول :

إلهي

إلهي إلهي

خلقت لنا كل شيء جميل * نسيم عليل وظل ظليل
وماء يفور بعذب الشراب * وطير يغني بلحن أصيل
وسهل يموج نباتا بهيجا * وروض يتيه بورد خضيل
وشمس تضيء لنا كل درب * وتهدي الأنام سواء السبيل
وبدر ينير يشق الظلام * حبيب إلى كل قلب جليل¹

مثل هذا الأسلوب الذي استعمله الشاعر في هذه القصيدة نجده في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: " فلينظر الانسان إلى طعامه(24) إنا صببنا الماء صبا(25) ثم شققنا الارض شقا(26) فأنبثنا فيها حبا(27) وعنبا وقضبا(28) وزيتونا ونخلا (29) وحدائق غلبا (30) وفاكهة وأبا(31) متاعا لكم ولأنعامكم(32) ".*

والقرآن الكريم ينبوع ثر بمثل هذه الآيات الكريمة، إذ كثيرا ما وردت هذه الآيات للرد على شبهات الكفار وأباطيلهم، ولترسيخ العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس الذين آمنوا، ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم .

بعد أن عرض الشاعر كل هذه النعم والآلاء ختم قصيدته ببعض صفات وأسماء الله، ومثل هذه القيمة الدينية، ترسخ في الطفل العقيدة الإسلامية، التي تجعله مستقيم السلوك والأخلاق وتعلمه كيف يتوجه إلى الله دون سواه من المخلوقات، وهذا يعد من أبرز أهداف أدب الطفل :

(1): د/ مصطفى محمد الغماري - حديقة الأشعار - دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع، ص 3 .

(*) : القرآن الكريم - سورة عبس - الآيات من 24 إلى 32 .

إلهي إلهي ومالي سواك * أنت العظيم القدير الجليل
وأنت الغفور وأنت الرحيم * وأنت المجيب نداء العليل¹

ومن المواضيع التي تضمنها المحور الديني : ذكر المصطفى صلى الله عليه وسلم وبيان فضله على العالمين "...والذي قال عن نفسه بأنه الرحمة المهداة، والذي وصفه الله سبحانه وتعالى بصفيتين من صفاته لم يصف بهما نبيا ولا رسولا قبله، فقال عنه : " لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ". * فقد وصفه بالرأفة والرحمة. هذا الرسول الذي عانى الأمرين في سبيل نشر هذا النور الذي يملأ ملايين قلوب المؤمنين في العالم ".²
وذكر "الغماري" لهاتين القصيدتين (إلهي والنبى المعلم صلى الله عليه وسلم) قد يفسر بأنه أراد شرح معنى " لا إله إلا الله محمد رسول الله " بطريقة مبسطة يفهمها الطفل بأسلوب شعري يمكنه من الترنم والإنشاد يقول :

معلمي يا خير من * جاء فجاد الموسم
وأغدقت بذكره * هيم وضاء المظلم
وانحسرت عن طلعة * تحبو إليها الأنجم³

ويعمن الشاعر في تعلقه بالنبى صلى الله عليه وسلم ردا منه على كل أفاك أثيم، لا يريد لرؤية الحق أن تلو فوق كل راية، وذلك لا يكون إلا بتحقيق العبودية لله وحده والتمسك بسنة نبيه :

وإنني بأحمد * أغنى ولست أعدم
وإن تبوءوا رهنا ما * يصنعه التوهم
هل ضر إلا نفسه * وليس يدري المجرم
كم مغنم يكون فيه للجناة المغرم
محمد معلم وذكره لي معلم⁴

(1): د/ مصطفى محمد الغماري : - المصدر نفسه - ص 3 .
(*): سورة - يونس - الآية 128 .
(2): د/ محمد مرتاض : - الموضوعيات في شعر الطفولة الجزائري - (عند الغماري- ناصر- حرز الله- مسعودي) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ص 7 .
(3): د/ مصطفى محمد الغماري : - المصدر نفسه - ص 8 .
(4): - المصدر نفسه - ص 09 .

الفصل الثاني ————— موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

والشيء الملاحظ في قصائد المحور الديني أن كل قصيدة تسلمنا إلى أختها، فبعد الحديث عن الله وآلائه ونعمه على الخلق، ثم الحديث عن الشطر الثاني من عقيدة المسلم، وهو توقيير وتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر مناقبه وفضائله على الناس، انتقل بعدها إلى الركن الثاني من أركان الإسلام وهو الصلاة، التي تعد عمود الإسلام "فمن أقامها أقام الدين ومن تركها ترك الدين" *، لكن الشاعر هنا نلحظه يركز على صلاة الفجر التي تعد من الصلوات الثقيلة على المنافق كما ثبت في الأثر يقول :

أخي قم إلى الفجر لب نداءه * فإن الأذان نداء الإله
توضاً فليس يفيد رقاد * وصل فما عمل كالصلاه
إلى مسجد النور سر في نشاط * فإن سبيل الهدى في هداه
وصل صلاة الجماعة واخشع * إلى ذي الجلال بذل الجباه¹

والناظر في مساجدنا اليوم يرى هذه الحقيقة ماثلة أمام عينه حيث أن قلب المؤمن ينفطر عندما يرى صفا أو صفين لا يكتملان، مما جعل رئيسة وزراء إسرائيل السابقة "غولدا مائير" تقول بكل عزة وافتخار " اذهبوا إلى مساجد المسلمين في صلاة الصبح، سترون بأن الخطر على دولتنا مازال بعيدا " *
لهذا يصدح "الغماري" حاثا الطفل على المضي إلى الصلاة، مذكرا إياه بالفوائد التي يجنيها من ذلك :

أخي لا يغرك شيطان رجس * يريك سبيل الهدى في خطاه
تمتع بنسمة فجر عليل * ببسم ورود ودفق مياه
بزقزقة الطير بين الغصون * وهسهسة الريح عبر الفلاه
وسبح بحمد الإله وقل * تعاليت يا خالقي يا إله
تعاليت يا خالقي يا إله²

(*) : حديث شريف .

(2) : د/ مصطفى محمد الغماري : م ن ، ص 06 .

(*) : للإشارة هنا فإني قد تصرفت في مقولتها الأصلية لأنها لم تحضرني بنصها الأصلي لكن المعنى بقي راسخا في العقل .

(3) : د/ مصطفى محمد الغماري : م ن ، ص 06 - 07 .

الفصل الثاني ————— موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

وما دامت الصلاة تعد ركنا ركينا في الدين وجزءا مهما من أجزاء التعبد لله والتقرب إليه، ومما ترك لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم "...ما تمسكنا به لن نضل بعده أبدا: كتاب الله وسنته " ومما لا نضل به أبدا ارتباطنا بالمساجد في غلس الظلام والناس نيام : " إنما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلى الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين " * ففي المسجد تخرج القادة، والعلماء الأجلء والفقهاء، ورجال الثقافة والفكر، لأن رسالته لا تتكر في هذا المجال، وذلك ما يعبر عنه الشاعر " الغماري " في قصيدته على لسان المسجد ¹:

أنا مصنع الفكر مهد الأدب
وأسرار من يصنعون العجب
بمنبري الحر كم من خطيب
أنار الظلام وجلي الكرب
يؤلف بين القلوب وبينني
العقول .. ويبلغ أعلى سبب²

ولا ينسى " الغماري " أن يذكر الناس بالفضائل - إضافة إلى دوره الحضاري - التي سبغ بها واقع الناس، حيث كان الملجأ والملاذ الآمن لطالب الطمأنينة، وكان الشوكة المنغصة لحياة المستبدين، وكان المنبر الحر المتحرر من كل قيد يفك انطلاقته، والدليل على هذا كله هو التاريخ حيث يقول :

إذا لاذ بي لاجئ مستجير
أدود وأمنع عنه العطب
وإن طالني حاكم مستبد
يذل.. وتهتك عنه الحجب
أنا المسجد الحر.. تعرفني

(*) :سورة - التوبة - الآية 18 .

(1): د/ محمد مرتاض : - الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري - ص 08 .

(2): مصطفى محمد الغماري : - الفرحة الخضراء - (سلسلة شموع) قصيدة " حديث المسجد " ، سلسلة شموع ، أناشيد وقصائد للشباب ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ص 39

القرون.. تحدث عني الحقب¹

" ورسالة المسجد - كما أشرنا إليها- تتجلى في رفع منارة العلم والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، لذلك ليس بناؤه من أجل الظلم وإعلاء شأن الظالمين، كما يحصن الطغاة والقاسطون أنفسهم :

بناني الرسول..وكم من بناء

بناء الطغاة لنييل الرتب²

وفي آخر القصيدة يبث المسجد شكواه إلى الله، راويا ما آل إليه حاله في يوم الناس هذا، حيث أصبح مفزعا للتيارات المتتاحرة والمذاهب المختلفة، وصار الناس يتباهون بأشكال ومنمنمات المساجد لا بجوهرها الحقيقي في التخلية ثم التحلية وهذا للأسف الشديد هو واقعنا الذي نراه بأم أعيننا اليوم :

وها صرت للسائحين ارتيادا

فأغضب لو كان يجدي الغضب

يصنونني بالمنمنم حيناً

وحينا أزان بماء الذهب

فيا جيل ضم الكتاب..فإنني

لأحيا بآياته .. لا القبب³

(1): مصطفى محمد الغماري : - الفرحة الخضراء - ص 401 - 41 .

(2) : - المصدر نفسه - ص 41 .

(3) : - المصدر نفسه - ص 41 - 42 .

الفصل الثاني ————— موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

ومن المحاور التي تضمنها شعر "مصطفى الغماري" - الموجه للطفل - المحور الاجتماعي بما يحمله من موضوعات مختلفة تبرز فيه تركيبة المجتمع ومختلف شرائحه، كالمعلمين والأطباء ورجال الأمن والحماية المدنية وسعاة البريد والحرفيين والصناع وغيرهم .

ففي قصيدة "بائع الأزهار نجد "الغماري" يتغنى ويترنم ببائع الأزهار حيث يقول :

مني إليك تحيه * يا بائع الأزهار

ألوانها عبقرية * تستوقف الأنظار¹

في ثنايا القصيدة نلقي "الغماري" يصور لنا- بكلمات جميلة رشيقة مصبوبة في قالب موسيقي خفيف يسهل على الطفل إنشاده وتكراره متى شاء- العطر الفواح والألوان الزاهية التي تكتنف الأزهار، والتي تكسب الطبيعة رونقا قشيبا وحلا سندسية رائعة تسر الناظرين :

يا إخوتي أنا أهوى * أهوى الورود الملاح

أهوى رؤاها السخية * وعطرها الفواح

أهوى غناء الجداول * وزقزقات الطيور

أهوى ظلال الخمائل * أهوى أريج الزهور²

والزهور كما هو متعاور عليه في الثقافة العربية وحتى الثقافات العالمية، هي رمز الحياة في أبهى محاسنها، وهي عربون المودة والمحبة، وهي عنوان استمرار الحياة دون تشنج أو قلق، وهي رسالة الصفاء والطهر :

تلك الورود الزكية * في الباقة المعطار

عنوان كل صفاء * وطهر كل فؤاد

ألمها في وفاء * لأنها من بلادي³

(1): د/ مصطفى الغماري : - حديقة الأشعار - ص 04 .

(2): // // // //

(3): // // // //

نجد "الغماري" قد ركز في المحور الاجتماعي على الرفع من قيمة العمل، مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: "من أمسى كالا من عمله أمسى مغفورا له" * .
ولا أحسب الغماري إلا أنه انطلق من هذه النظرة التي عرف بها، وعاش من أجلها، وبخاصة في شعره الذي برز إلى الوجود في مرحلة كانت فيها الجزائر تعيش عهدا الأحمر، وهو الذي أراد الحياة للزمن الأخضر، ففي قصيدة "أنشودة الفلاح" يحكي لنا على لسان الفلاح، ما يكابده ويعانيه من أجل أن يصلنا ذلك النتاج الناضج الطيب يقول:

لو تعلمون عنائي * لو تدركون نزيفي
ورجفتي في الشتاء * وحرقتي في المصيف
ليلي لكم ونهاري * وأنتم تلعبوننا¹

ولكم يبتهج حين يرى ثمار تعبته وكده، كيف لا والطبيعة البشرية فطرت على ذلك، بل إن الله تعالى يثيب المؤمن برحمته الجنة، ويجازي الكافر بعدله النار، والقرآن الكريم فيه آيات كثيرة تبرز هذه المقابلة -يقول تعالى في محكم التنزيل :

"وسيق الذي كفروا إلى جهنم زمرا..(71)وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا (73)
أعز يوم إلي * يوم تنته زروعي
في الحقل أسعد لما * أرى جهودي تكبر
أرى السنابل تنمو * أرى الفواكه تنثر²

مثل هاتين القصيدتين وغيرهما تدعمان الجانب القيمي عند الطفل، بحيث تحببان إليه الحرف اليدوية، والصناعات التي تنتجها أنامل الرجال، ومن جانب آخر تغرس فيه قيمة العمل مهما كان شأنه، كما تزرع حب واحترام أهل المهن، ولا أحسب الشاعر قد ابتعد عن ذهنية الطفل ومستوى إدراكه لهذه القيم، فالغماري - كما قيل قديما - شاعر مفلق خنذيذ³.

(1): د/ مصطفى محمد الغماري : - حديقة الأشعار - ص 05 .
(*) : أخرجه الحاكم الميسبوري في المستدرک على الصحيحين . محمد بن عبد الله (321هـ- 405هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان . 1411هـ - 1990م . ط1. 4 أجزاء .
(*) : سورة الزمر ، الآية 71 - 73 .
(2): د/ مصطفى محمد الغماري - المصدر نفسه - ص 05 .
(3): الخنذيذ : الشاعر المجيد - الشاعر الفحل .

المحور المتعلق بالعربية والدعوة إلى التمسك بها :

" ... قيل: إن اللغة هي عبقرية الشعوب وهي فعلا بالنسبة للشعوب بمثابة الأم للإنسان والنسغ للنبات والأكسجين للكائن الحي، وليس هناك مقارنة أصح من هذه: فلو لقحت رجلا دما مخالفا لفصيلته فإنه من السهل التنبؤ بالعواقب الوخيمة، وكذلك الأمر بالنسبة للشعوب من الناحية اللغوية."¹

وبمثل هذا افتتح شاعرنا -مصطفى محمد الغماري- قصيدته "يا خير اللغات"، "...حيث تجد الشاعر يعلن عن حبه واعتزازه بلغته ويسميها خير اللغات لأنها كذلك ما دام قد ورد في الأثر : أحبوا العرب لثلاث :لأنني عربي ولغة القرآن عربية، ولسان أهل الجنة عربي ".²

وفي القصيدة تعشق للغة، وحب عارم متدفق نحوها، يدل على اعتزاز المرسل وتقديره لها، وهو ما يروم أن يزرعه في نفوس النشء أو المرسل إليه حيث يقول:"²
أهواك يا خير اللغا * ت وأعشق الضاد المبين³

ويبين الشاعر سبب هذا العشق، المتمثل في التآمر الممقوت الخبيث على اللغة العربية سواء من الخارج أو من أذناهم الداخليين حيث إن "...الطفل في هذه المرحلة يواجه ازدواجية الخطاب اللغوي بين الفصحى والعامية من جهة ومنافسة اللغة الفرنسية للغة العربية من جهة ثانية ..."⁴ ... وأنصار التبرير أو التقرنس أو التجلزل بصورة عامة."⁵

أهواك..لا التغريب يمنعي..ولا الحرف الهجين
لا للتآمر في حماك يريد قتل الياسمين

(1): أحمد قايد :- اللغة و الثورة الثقافية - محاضرات الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامي . وهران .من 27 جمادى 1 إلى 10 جمادى 2 1391، الموافق لـ : 20 يوليو إلى فاتح أغسطس 1971 . مجلة الأصالة ، ص 153 .
(2): د/ محمد مرتاض : - المرجع نفسه - ص 21 .
(3): مصطفى محمد الغماري : - الفرحة الخضراء - ص 53
(4): العيد جلولي : - المرجع نفسه - ص 166 .
(5): د/ محمد مرتاض : - المرجع نفسه - ص 22.

لا للذين يببتون الغدر، والحدق الدفين¹

ثم تواصل القصيدة في بيان السبب التقابلي (الضدي) الذي جعل اللغة العربية لغة يشغف بها قلب الشاعر، وتهفو إليها جوانحه في كل كبيرة وصغيرة، وهذا السبب راجع إلى الدين الإسلامي الذي شرف اللغة العربية وأعطاهها ميزة فوق كل اللغات، إذ هي لغة كلام الله، يقول تعالى: "إنا أنزلناه قرءانا عربيا لعلمك تعقلون (7)"*

لغة الرسالة.. ما أجل اسم الرسالة والأمين

نفدي الرسالة والرسول بما نسر وما نبين

ما غيرها حفظت شريعة ربنا طول السنين²

" ويشجب الشاعر ويشهر بالأفكار المستوردة، والتي تزعم بأن العربية لا تصلح لغة للعلم والتكنولوجيا، ويعيرهم بأنهم أولى أن ينعتوا هم بهذه الصفة التي نسبوها ظلما للغتنا.

قالوا التأخر.. قلت أنتم رمزها يا مترفين

إن الحضارة هاهنا.. الضاد منطقتها المبين³

ما أروعها خاتمة!.. هي بمثابة (مغرى) يحفظه الأطفال ولا ينسونه أبدا:

" الحضارة.. المبين وهي خلاصة جميلة لما فصله الشاعر وشرحه من أفكار على مدى الأبيات السابقة."⁴

وخاتمة هذا المحور، رأي للدكتور "علي عبد الواحد وافي" يبين فيه الدور المهم الذي تلعبه اللغة في تمثين وتوثيق الروابط بين الجماعات، وصهرها في قالب واحد يقول: " ولا يخفى ما لوحدة اللغة في ميدان التخاطب والكتابة من أثر خطير في توثيق الروابط بين الجماعات وصهرها في قومية واحدة، فاللغة هي أداة التفكير، وهي الوسيلة التي

(1): مصطفى محمد الغماري: - المصدر نفسه - ص 53 .

(*) : سورة يوسف ، الآية 02 .

(2): مصطفى محمد الغماري: - الفرحة الخضراء - ص 53

(3): // // // ص 54 .

• التاريخ يدعم ما يذهب إليه الشاعر ، ولمن أراد التأكد فعليه أن يقرأ الكتب المتخصصة في ذلك ، وخصوصا للكتاب الغربيين من أمثال : " حضارة العرب " لـ غوستاف لوبون ، وكتاب " قصة الحضارة " لـ ول ديورانت ، وكتاب " شمس العرب تسطع على الغرب " للمستشرقة الألمانية " زيغريد هونكه " .

(4): د/ محمد مرتاض : - المرجع السابق - ص 22 .

الفصل الثاني ————— موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

تسجل بها منتجات القرائح، ويحفظ بها التراث العلمي والأدبي، وتستخدم في مختلف شؤون التعليم والتنقيف، ويعبر بها عن المدركات والعواطف وخلجان النفوس، فالإتفاق في اللغة يؤدي لا محالة إلى وحدة في اتجاهات التفكير والمعرفة والوجدان وسائر مظاهر الشعور الإنساني، حتى أن المتكلمين باللغة الواحدة ليصبحون من النواحي النفسية والعقلية العامة - وهي أسمى نواحي الإنسان وأهم خصائصه - أشبه شيء بصورة متكررة متشابهة قد خرجت من قالب واحد، وهذا هو أقصى ما يمكن أن تحققه عوامل المزج والتقريب بين الجماعات.¹

(1): د/ علي عبد الواحد وافي : - اللغة العربية في الوطن العربي أهميتها وتاريخها - مجلة الأصالة ، العدد نفسه ، ص 170 .

المحور المتعلق بالطبيعة :

"شعر الطبيعة هو الشعر الذي يتخذ من عناصر الطبيعة الحية والطبيعة الصامتة مادته وموضوعاته وقلما خلا أدب أي أمة من شعراء أحبوا طبيعة بلادهم، وتغنوا بها في أشعارهم تعبيراً عن انفعالهم بمشاهدها، أو تمجيدياً لها، أو إظهاراً لمدى قدرتهم على التصوير".¹

والمتمصفح لشعر الغماري يجده ولج هذا الموضوع بثلاث قصائد صور فيها -للطفل- جمال الطبيعة ورونقها ومظاهرها، و"بين الطفل والطبيعة وشائج قربي، وصلة روحية عميقة..."² وبخاصة أن "الجزائر وطن الطبيعة الساحرة، والسهول الخضراء، والشمس المشرقة، والجبال الشاهقة، والأودية السحيقة، والمنابع المتفجرة، والسيول المتدفقة، الجزائر الأرض الخصيبة، ثماراً، وكنوزاً، والسماء الكريمة، دفناً وأمطاراً .

الجزائر جامعة الحسنيين، السواحل المتموجة والقفار المترامية، ومعانقة الحضارتين الصحراء بلامحها العربية العريقة، والسواحل بحضارتها الأوروبية الحديثة".³

عرج تر الطبيعة * في موطني بديعه
تر الجبال الشاهقه * تر السهول الشائقه
والشاطئ الدفاقا * والجدول الرقراقا
والروض والبستانا * مزدهرا ألوانا
والتين والزيتونا * والكرم والليمونا

(1): د/ عبد العزيز عتيق : - الأدب العربي في الأندلس - دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1396هـ / 1976م ص 284 .

(2): العيد جلولي : - النص الأدبي للأطفال في الجزائر - ص 161 .

(3): د/ صالح خرفي : - الشعر الجزائري الحديث - ش و ن ت ، الجزائر ، ص 251 - 252 .

والنخلة السمراء * تزهى بها الصحراء¹

"...والطبيعة...هي الحياة التي حلت في هذا الكون منذ الأزل، واستعلنت في حرارة الشمس، وحركة الأحياء، وسكون الجمادات، وتلألؤ النور، وتكاثف الظلمة، وأحسها الناس في نضارة المروج، كما أحسوها في جفاف الصحراء، ولمسوها في الولادة، كما لمسوها في الممات"².

وهذا الإحساس وهذا الانتشاء بالطبيعة يحسه الإنسان أكثر ما يحسه في فصل الربيع، الذي يعد إيدانا بميلاد جديد للحياة، تكتسي فيه الأرض أبهى حللها، وترتسم البسمة والحبور على ملامح الكون الجميل*، يقول الغماري :

مرحبا مرحبا * مرحبا بالربيع

إيه ما أعذبا * في النفوس الربيع

إيه..يا موسم * أنت فصل الشباب

يزدهي المبسم * في المروج العذاب³

وما دام الربيع يرمز إلى الفتوة والقوة والانطلاق، فإن الشاعر في قصيدة "مرحبا بالربيع"، يصوغ أبياتها الأخيرة وفق معجم شعري يزوج فيه بين الربيع وانطلاقة الإنسان في الأرض، يعمرها بالعمل والبناء، لتسطع شمس الغد المشرق ضاحكة مستبشرة:

نبتتي في الحمى * ألف صرح منيع

في ابتسام الحياه * ضحكات الأمل

في صمود الجباه * وثبات العمل

ففي يدينا النهار * و الغد المشرق

فانهضوا يا صغار * سابقوا و اسبقوا 4

(1): د/ مصطفى محمد الغماري : - حديقة الأشعار - ص 10 .
(2): عبد الرحمن جبير ابن حفاة الأندلسي : منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان / ط 2 ، 1401 هـ 1981م ، ص 103 .
(*) : أحسن من صور الطبيعة وهي في أبهى حلة الشاعر الروماني التونسي : أبو القاسم الشابي في قصيدته : " من أغاني الرعاة " .
(3): مصطفى محمد الغماري : - الفرحة الخضراء - ص 22 .
(4): // // // ص 23 - 24 .

ولا بد لكل هذه النعم - التي حباي الله بها بلادنا - من دعاء يرفع عنها البلاء والحسد والعين، لأن كل ذي نعمة محسود - كما ثبت في الأثر - وهذا كله من تمام شكر الله وحمده على آلائه التي لا تتقضي حيث يقول تعالى في محكم التنزيل : "لئن شكرتم لأزيدنكم... (7)*"

يا خالق الإنسان * إحفظ لنا الجزائر

من خائن وماكر * وغاصب وكافر

من معتد وجائر * من كل سهم غادر¹

ويورد الشابي في الفصل الثالث من كتابه : "الخيال الشعري عند العرب" -وصفا رائعا للطبيعة أيام الربيع يقول : "أما ذهبتم في يوم من أيام الربيع الحاملة إلى بعض ضواحي المدينة حيث البرية المهتزة الناضرة، والغاب المونق الجميل؟ أما رأيتم ذلك البلبل الأنيق المتنقل بين الغصون المورقة، يترنم بأغاريده الرقيقة الشجية؟ أما أبصرتم تلك القبرة الرشيقة المتخطرة بين مخاوف الأشجار وحول مسارب الحقول، تتغنى بتلك الأناشيد العذبة الطاهرة؟ أما شهدتم في صحوة النهار تلك الفراشة الجميلة ترفرف بين الأعشاب البليلة، وتلك النحلة الهاجزة تحوم بين الزهور السكري بأنوار النهار؟ أما ساقطت إليكم، ذات يوم، نسيمات المساء الوداعة ذلك الصوت الفضي الجميل المتجاوب في ظلام الغاب؟"²

(*) : سورة - إبراهيم - الآية 07 .
• قيل قديما : " إذا نزل القضاء ضاق القضاء " ، للأسف الشديد داخلت الجزائر كل السهام المسمومة التي مازلنا نتجرع مرارة الجروح التي أحدثتها .

(1) :- المرجع السابق - ص 20 - 21 .
(2) : من كتاب الخيال الشعري عند العرب (أبو القاسم الشابي) - الأعمال الكاملة - ديوان أبي القاسم الشابي ، المجلد 2 ، النشر مداخلة وتحقيق د / إميل أ . كبا . دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1418 هـ - 1997 م ، ص 115 .

المحور الوطني :

أجمل ما نفتح به هذا المحور قصيدة "محنة الأوطان" لشاعرنا : "مصطفى الغماري" التي جعل فيها حب الوطن فرضا من الفروض التي أوجبها نبينا صلى الله عليه وسلم، ناعيا على الذين يرتمون في أحضان الأم الرؤوم تذلم بدوفيزها، جاعلين كعبتهم في بلد الحرام "باريس" :

محنة الأوطان * فرض على الإنسان
أوجب به النبي * محمد الزكي
وجاء في الأخبار * لا خير في الأشرار
شر النفوس نفس * على الأوطان تقسو
تباعد الأقاربا * وتعشق الأجانب
يذلها الدوفيز * وحجها "باريس"¹

والقصيدة التي تحوي بين طياتها الروح الوطنية، يستعملها الشاعر كوسيلة يخرس بها في نفسية الطفل، حب الوطن واحترامه والاعتزاز به، وذلك من خلال إظهار أمجاده ومحاسنه وتاريخه والبطولات التي رسمها على لوحة التاريخ التليد :

تلكم رياض الوطن * يا إخوة العمر
هذي ربوع الآل * هذي مجالها
طابت مرابعها * طابت مشاتها
نهوى حمى السمرا * نهوى دواليها
والراية الخضرا * بيض أيديها
والرملة الصفرا * بالروح نسقيها
يا صيحة الثائر * بالنور والنار
يا حبنا الغامر * بالنصر والغار²

(1): م م غ :- الفرحة الخضراء - ص 36 .

(2): // :- حديقة الأشعار - ص 12 .

والمتتبع لشعر الغماري الموجه للأطفال، يستشف أن القصائد الوطنية الموجهة للطفل قد كتبها في سياق زمني، نسجت خيوطه من الخيانة والمكر والتتكر للمبادئ التي رسمت في بيان أول نوفمبر، وعليه نلحظ الشاعر يصدح بقوة وبكل جرأة، كاسرا كل الحدود والعقبات التي وضعوها في وجه الحق، وقد انطلق في هذا من منصة الدين تعلوه راية "لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أدين لرب البرايا * وأهوى الرسول الأميناً
وأعلم أن طريقي * يضيق على المجرمين
فيهون "لاتا" و"عزى" * ويهون كفرا مبينا
يجيدون عزف الشعار * وكم باسمه يربحونا
يقولون: إن التحرر * صعب على المسلمين
يريدون باسم الجياع * هواني على الظالمين¹

والمعاني نفسها نجدها في قصيدة "بلادي" حيث يوظف الرموز التاريخية الإسلامية ليدعم الطرح الذي ذهب إليه، يقول :

سليلة "عقبة" أنت وإن
تآمر من بالصغار يدين!
سليلة "طارق" لا "ماسينيسا"
وبنت الفتوحات والفتاحين
إذا غربوا كنت مشرق عز
وإن ركبوا الظن كنت اليقين
وإن حاربوا كنت سيف "علي"
يذيق "أمية" مر المننون²

ولم ينس الغماري أن يذكر الطفل بمحاسن بلاده وروعة طبيعتها المتنوعة حيث السهول الخضراء، والمروج الغناء، والصحراء المجسدة لبعد العراقة والأصالة، كل

(1): م م غ : - المصدر نفسه - ص 14 .

(2): - المصدر نفسه - ص 48 - 49 .

الفصل الثاني ————— موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

هذا يسلم الطفل إلى أن يتعلق بوطنه بعد أن تشبع من مياهه الرقراقة، وغنى تباريحه مع طيوره بديعة الألوان :

الورد في البستان * عطر على عطر
والنخل في الكنبان * سحر على سحر
والطير في الأغصان * غناك يا جزائر¹

ولا أحسب أن شاعرنا الغماري قد تحرر من غلالة حب الجزائر وصدق هيامه بها، وهذا ما يستشف من خلال المعجم الشعري الذي نظم بها هذه الأبيات، ليزرعها في نفوس الناشئة :

في القلب نجواها * ما عشت أهواها
أرعى سجاياها * عيناها عيناها
أحيا .. وأحياها * أهواك يا جزائر
أهواك يا بهجة * يا حبها العذري
يخضر كالموج * في مقلة الفجر
ما أروع البهجة * ما أروع الجزائر²

ولا يبرح الشاعر يعبر عن هذا الحب ويبعث بشعاعه إلى جميع الأقطار الإسلامية مطبقا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم القائل: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى...".³ لأن "...المستعمر بأسلوب أو بآخر استطاع أن يحفر أخايد من المنازعات يذكي نارها، واستطاع أن يخلق لها أفنعة متعددة الأشكال، ويضرب لها جذورا في الأعماق، فجلس على الربوة جلسة الشامت المتفرج على النار تأكل بعضها حين لم يجد طريقها إليه.."³ وللأسف الشديد هذا هو واقع المسلمين اليوم - لكن هذه الوحدة التي رسمها الشاعر للأطفال لا تلتئم أخايدها إلا إذا عدنا إلى كتاب الله وسنة

(1): م م غ :- الفرحة الخضراء - ص 14 .

(2): - المصدر السابق - ص 15 - 16 .

(*) : صحيح مسلم . مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري (206هـ - 261هـ). تحقيق محمد فواد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي . بيروت- لبنان. 5 أجزاء.

(3): د/ صالح خرفي :- في رحاب المغرب العربي - ص 152 .

رسوله، مسقطين كل الفوارق العرقية واللغوية، وكل ما من شأنه أن يفرقنا، بل على الأصح أن نجعل مثل هذه الفوارق عامل ثراء في جسد الأمة الإسلامية :

بلاد المسلمين لنا * جميعا كلها وطن
توحد بيننا الآمال والآلام والمحــــن
سنبني دولة القرآن نبنينا ونتحــــد
كتاب الله في يدنا * خلود كل ما فيه
نبي الله قائدنا * وحكم الله هادينا
فلا الطغيان يبعدنا * ولا الشيطان يثنينا
برغم البعد يا أطفال * غنوا "كلنا جسد".¹

وأجمل ما نختم به هذا المحور، ما قاله الدكتور : "عبد الرزاق قسوم"، في مقال كتبه في جريدة الشروق اليومية : "إن الوطن كيان مقدس لا يدخله إلا المطهرون نفسيا، وعقليا، وأخلاقيا، واجتماعيا... ولا يتقلد المسؤولية فيه إلا مؤمنون بقضاياها، والعاملون بوصاياها، فإذا اختلت هذه المعادلة، وسادت بدلها المقايضة، والمساومة والمبادلة، فبشر الوطن بالانهيار، وأهله بالاندثار، ومن علامات ذلك، تفشي آفات الإحباط واليأس، والحرقة والاعتصاب والانتحار .

أشهد الله أنني آمنت ولا زلت مؤمنا بالجزائر جليلة، نبيلة، أنجبت العلماء، والعظماء، والشهداء، واثقا بقدرتها على النهوض من كبوتها، بعد الوقوف على عثرتها، رغم ما فعله ويفعله المفسدون بعثرتها وصفوتها".²

محور الثورة والشهداء

إن الثورة في الشعر ليست موضوعا بقدر ما هي موقف يقفه الشاعر من مختلف القضايا وطابع خاص يطبع به شعره ...³ و "...الشعر لا يضفي... التصعيد على الثورة، وإنما يستمد منها، ولا يخلعه عليها وإنما يستر له من عليائها وقممها، الخيال لا

(1) : - حديقة الأشعار - ص 13 - 14 .
(2) : د/ عبد الرزاق قسوم : - الذات المتعالية عن واقعنا - جريدة الشروق ، الثلاثاء 18 ذي الحجة 1429 هـ ، الموافق : 16 ديسمبر 2008 م ، العدد 2481 .
(3) : يحي الشيخ صالح : - شعر الثورة عند مفدي زكريا - دراسة فنية تحليلية - دار البعث للطباعة و النشر ، قسنطينة ، الجزائر ، ط 1 ، 1407 هـ - 1987 م ، ص 64 .

يكون أبدا بجانب الشعر، فقد يكون بجانب الواقع أيضا، وقد كان كافيا للشعر إزاء الثورة أن يستلهم الواقع، ويكفيه رضى أن يرقى إلى روعة هذا الواقع، فإذا نصب نفسه (شاشة تلفزيون) للثورة، فهو لا يرمي إلى اللقطة الفوتوغرافية من جانبه، بقدر ما يجسم العبقورية في الصورة التي أمامه.¹

هذه هي حقيقة الثورة الجزائرية، فقد ألهمت كثيرا من العقول، وفتقت كثيرا من القرائح، وأبدعت صنع الحياة في أسمى معانيها، واعترف لها العدو قبل الصديق وأصبحت إيقونة للحرية و الانطلاق، وظلت مشعلا للتححرر من ربقة الاستعمار في ذلك الوقت، وصدحت حناجر الشعراء في المشرق و المغرب تغنيها بأجمل لحن " فالثورة التي تقوم على عقيدة ذات مبدأ صارم، لا يرضى إلا بالموت استشهادا أو بحياة العزة والكرامة، ولا منزلة عنده بين المنزلتين والتي تقوم على عوامل كثيرة وخطيرة تدعو كلها إلى التفاني والاستماتة في سبيلها ثم تختار لبلوغ هدفها طريق القوة والسلاح، وتقديم الفداء من الدماء والأرواح ثم لا ترضى - فوق ذلك - بأنصاف الحلول، وتأبى إلا أن تبلغ هدفها كاملا غير منقوص، حتى تصل إلى غايتها الأخيرة... أقول: إن الثورة تلك حقيقتها، وهذه منطلقاتها وأسسها، لا يشك أحد في أنها سنقطع رحلة طويلة وشاقة، رحلة مليئة بالآلام تنتظرها في كل خطوة تخطوها وأتعاب تعترضها في كل نفس من أنفاسها، مما يجعل الآلام دليلها الذي لا يفارقها إلا عند نهاية رحلتها " ²

و " ... الثورة المسلحة بصراعها الدامي، ومسيرتها الطويلة، وتعدد الجبهات فيها، وتجدد الوقائع على مدى سنواتها السبع بأيامها ولياليها، بساعاتها ودقائقها وثوانيتها، وعبر الجزائر بسهولها وجبالها، بمدنها وقراها، عبر الجزائر بأرضها وسمائها وخارجها عبر امتداد عالمي لا نهائي. هذا التشابك والامتداد لن يساعد القصيدة على وحدة موضوعية بل ستجد نفسها أمام مناقشات لا تقاوم لا تلبث أن تستسلم لها، لتلجىء آخر الأمر، صورة للثورة، تتزاحم المواضيع فيها بالمناكب وتتناثر الأبيات تناثر

(1): د/ صالح خرفي: - الشعر الجزائري الحديث - ص 233 .

(2): يحي الشيخ صالح: - المرجع نفسه - ص 103 .

الفصل الثاني ————— موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

المواقف البطولية على سفوح الأطلس" ¹ . وهذا ما فعلته قريحة شاعرنا الغماري في قصيدته "عشاق البيضاء"، إذ يذكر بمآثر هذه الأرض النجيبة وكيف حفزت آيات الله الشعب وصيرت كلمة "الله أكبر" زلزالا يدك صياصي المستعمر دكا، فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا :

لهذه الأرض تاريخ وأحرار
ثاروا ولولا كتاب الله ما ثاروا
الله أكبر تغلوا في معاركهم
فيهزم الجمع.. والرشاش هدار
الله أكبر في أعماقهم أمل
زاه.. وفي أذن الكفار إعصار²

ويتواصل المد الثوري في قصائد الشاعر، زاحفا على الظلم والطغيان، مؤسسا للفجر الجديد إذ في أبيات "يا أم الثورة" يحول الشاعر كلمات القصيدة إلى قنابل ورساصات، يصوبها نحو المغتصب الحقير، وكأنني به قد الكلمات من زبر الحديد:

وستزهر في الدرب النار * وجدار الغربية ينهار
وشفاه الثورة أحرار * أحرار نحن.. وثوار
أحرار.. يا جبل النار * يا سيف الثورة والنار
كم جاب القهر.. تحداه * فحملنا رايات الغار³

ولا نحسب الغماري قد نظم هذا الديوان "الفرحة الخضراء" للتسلية واللهو مع الأطفال، بل نجده ألف هذه القصائد ليغرس في الروح البريئة الصورة الحقيقية التي قامت عليها الثورة الجزائرية، وهذا ما يلاحظه الدارس لديوانه، بدءا بالإهداء إذ يقول فيه: "إلى الشباب الجزائري الملتزم بخط الشهداء الخالدين أهدي هذه المجموعة من الأشعار"^{*}

(1): د/ صالح خرفي : - المرجع السابق - ص 231 .

(2): د/ مصطفى محمد الغماري : - الفرحة الخضراء - ص 17 .

(3): // // // ص 26 .

(*) : - المصدر نفسه - ص 03 .

الفصل الثاني ————— موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

وليرد أيضا على النغايات الشريفة، التي أرادت للخيانة الحمراء السير - وللأسف الشديد كان لها ما أرادت - والدوس على البساط الأخضر، ومن هذه الأصوات النشاز من يحلو له " ... أن يردد أن الثورة الجزائرية ليست ثورة بالمعنى الصحيح لكلمة الثورة، باعتبار الثورة حركة عامة تستهدف التغيير الجذري الشامل لواقع وأوضاع متعفنة تنسفها من الأساس عن طريق صراع طبقي، ويرون أنها - أي الثورة الجزائرية - مجرد حرب قامت بين مواطنين أصلاء في الأرض وبين عدو غازي، وذلك لهدف تحرير الأرض والاستقلال لا غير، ويركزون على أن الثورة الحقيقية تقوم على أساس الصراع الطبقي، الشيء الذي ينعدم - في نظرهم - في ثورة الجزائر" *¹.
يقول الغماري في هذا الشأن ردا على هؤلاء الأذئاب :

نثور نثور على من غدر * بسيف "علي" وحزم "عمر"
ونعرف أن الطليق طليق * وإن حج مروانهم واعتمر
نثور.. نثور كأجدادنا * وتشرق في شفقتنا السور
ونهى العلى إن حب العلى * سجايا بأعماقنا تزدهر²

هنا إحالة رائعة من الشاعر إلى التاريخ الإسلامي المشحون بالرمز إذ ربط خلفاء اليوم بخلفاء الأمس، وجعل الفعل الصادر عن الطباق الموجود بين اليوم والأمس، في أخذ السلطة ومقاليد الحكم من أيدي مستحقيها، وتحويلها إلى حكم عضوض يقهر المخالفين ويبطش المعارضين وما أشبه اليوم بالبارحة، بالرغم من ذلك تبقى مروءة الأوائل أعلى من مروءة الأواخر.

يقول الشاعر في آخر بيت من قصيدة "نثور نثور"

فدون الربيع رياح السموم * ودون جنى الشهد وخز الإبر

هذا المعنى المتضمن في البيت، ينطبق على ثورتنا المجيدة، إذ لم تأت هذه الثمار إلا

(1): يحي الشيخ صالح : - المرجع السابق - ص 82 .
(*): وهل يخفى على القارئ الكريم و الدارس الحصيف ، ما فعلته فرنسا بالشعب الجزائري ، إذ من بين دوافع استعمارها لبلدنا هو أن المواطن الجزائري ، إنسان متخلف ومتوحش ومن طبقة سفلى ، لا بد أن نمدنه ونحضره ، وكان لها ما أرادت بالطريقة السادية المتوحشة .

(2): د/ م م غ : - من - ص 08 .

(*): هنا اقتباس من بيت أبي تمام القائل : بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها * تنال إلا على جسر من التعب .

(*): سورة : - آل عمران - الآية 169 .

الفصل الثاني ————— موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

على جسر من التعب* عبره الأبطال بكل عز وفخر، عفروا وجه الاستدمار البغيض في تربة الجزائر الطاهرة المسقية بأزكى الدماء، حيث نالت الجزائر بعد ذلك كلتا الحسينين، سعادة الاستقلال، وصعود أرواح هؤلاء المغاوير إلى حيث شاء الله أن تكون بإذنه، يقول في محكم التنزيل: "ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون..*" ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : " من مات دون عرضه فهو شهيد ، ومن مات دون ماله فهو شهيد ...*"

وأعظم شيء يقدمه المسلم في حياته ، أن يبيع روحه لله رخيصة ، ينال بها الدرجات العلى ، بئاعا حطام الدنيا بنعيم مقيم في الآخرة ، يقول الغماري في "أغنية الشهيد " .

وهبتم وجودكم الأكرما
فله لله .. ما أعظما !
وأسلمتم للجهاد خطاكم
وكنتم لداعي الجهاد الفما
وكنتم على الكافرين سعيرا
ولحتم بأفاننا أنجما
هزمت جيوش النصارى الغزاة
ولن يهزم الكافر المسلما
وإن يقتلوا الجسم أو يرموه
فلن تقتل الروح أو ترجمما¹

ويخاطب الشاعر الطفل ، رافعا من معنوياته ، ومحفزا لعزائمه أن لا يني ولا يعود القهقري ، وأن يجعل قواه من وهنه ، ومنتهى بدايته في بدء منتهاه ، وأن يرد القدر الذي فيه تعاسته وشقاؤه ، بقدر أحب إلى الله :

بني الأحرار لا تهنوا .. وضموا
إلى أمجادهم مجدا ومجدا
فإن دم الشهيد بكل درب

(*) : حديث شريف

(1) : د/ م غ : - المصدر نفسه - ص 04 - 05 .

يمد لكم من العزمات مدا

وإن جزائر الثوار تبقى

لروح الخالدين هوى وعهدا¹

ومن أبرز الرموز التاريخية في كفاح الجزائر الطويل ضد الاستعمار الفرنسي ،
الأمير عبد القادر الذي أسس دولة بكل المقومات التي تقوم عليها الدول الحديثة من
تنظيم للجيش وإنشاء الإدارات العامة ، وصنع راية لهذا البلد ترفرف رغم كبرياء أبناء
الظلام الذين قتلوا السلام في أرضنا ، وذبحوا الطير الغريد ، ولم يكتف الأمير بما فعل
من أجل التمتع و الإغراق في الشهوات ، بل جعلها منطلقا يدك بها حصن الظالمين ،
ويرسم الفجر الجميل في صفحة الكون الفسيح ، ضاربا بذلك أعلى درجات التضحية و
الإباء ، لولا الأمر الذي دبر بليل :

وطن الأمير .. السهل يفخر بالبطولة و النجود

وطن الأمير .. وكم تننيه به وتختال البنود

لا القهر يثني من خطاه وليس يرهبه الوعيد

كان الأمير مجاهدا * يستقبل الفجر الجديد

من بعد ما لف الظلام * مواسم الدرب السعيد

جفت جداول أرضنا * لا درب يزهر لا ورود

لم يرحموا شيئا ولا * رحموا فتاة أو وليد

وقضى الأمير مجاهدا * بين التآمر والجحود²

"...هكذا تحمل هذه القصائد - وغيرها في ديوان الشاعر - شعاعا يفجر القرائح
ويبعث في نفوس الأطفال الاعتزاز والزهو بالآباء ، ويمنحهم سلاحا وقوة يصارعان
بهما المارقين عن الوطنية أو التصدي للخونة الذين يعقون وطنهم ويتمنون لنعمائه
الزوال".³

(1): د/ م م غ : - المصدر نفسه - ص 44 .

(2): // // ص 51 - 52 .

(3): د/ محمد مرتاض : - الموضوعات في شعر الطفولة الجزائرية - ص 13 .

محور القصص الشعري :

آثرنا أن نخصص محورا خاصا ، للتكلم عن ديوان الشاعر الذي ألفه ضمن المجموعة الموجهة للأطفال ، وهو بعنوان : " أناشيد " ، إذ بعد الاطلاع عليه ، تبين أنه يحوي لونا من ألوان الشعر الذي يطلق عليه اسم الشعر القصصي، "فكل قصيدة تقص قصة يكون الغرض منها حكاية، هذه القصة تسمى شعرا قصصيا، فإذا كانت القصيدة أو القصائد القصصية تتناول الرجال المشهورين والأعمال المشهورة في التاريخ فتلك ملحمة"¹.

ويقسم " (هـ .ب تشارلتون): الشعر ضربين فالقصيدة إما أن تحكي حوادث وأشخاصا وأقطارا وبلادا، وإما أن تعرب عن الحالة النفسية الداخلية التي تسود الشاعر وهو ينشئها..

فأما النوع الأول فنسميه شعرا قصصيا، وأما الآخر فهو الشعر الغنائي أو الوجداني، وواضح من هذا التقسيم أنه مبني على أساس المضمون الذي يحدد نوع العمل الأدبي، وأن معظم الذين قسموا الشعر على هذا النحو كانوا يرجعون بأذهانهم إلى التراث الشعري اليوناني القديم - وبخاصة الملحمة - الذي كان أساسا مهما من أسس الآداب الغربية، وتعد (إلياذة هوميروس) أجل عمل فني يوناني، فهي عدا أهمية موضوعها البطولي الذي يحكي لنا قصة حروب طروادة، تمتاز بأسلوبها القصصي الذي أفرغ في قالب شعري جميل"².

والعنصر الشعري في القصة له طابع خاص يطبع بها القصة "... لما يمتاز به من رنة موسيقية ونبرات حلوة متناسقة، وعبارات مشحونة بالصور والخيال مما يساعد على هز المشاعر، وشحن العواطف والأفكار، والتحليق بالقارئ والسامع والسمو بهما إلى آفاق بعيدة، والشاعر القصصي يصور من شؤون النفس البشرية، ونزعاتها المتمردة وميولها الصاخبة ما لا يصوره (الرسام، وموهبة الموسيقي) شاعر آخر من صاغة الكلام، لأنه يضم إلى إحساسه الفطري وعبقريته المبدعة، سليقة الرسام، وموهبة

(1): د/ عزيزة مريدن. القصة الشعرية في العصر الحديث. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. ص29. نقلا عن

كتاب النقد الأدبي لأحمد أمين. ص 80.

(2): المرجع نفسه . ص 51.

الموسيقي وشجو المغني، وزخرف الطبيعة المبدعة.¹ لكن الشيء الملاحظ في القصص الشعرية الواردة في الديوان (أناشيد)، إضافة إلى قصيدة "حكاية الأسد" من ديوان (الفرحة الخضراء)، هو توظيف الشاعر للرمز الاستعاري، الذي كثيرا ما وظف في "... القصائد القصصية ذات الأهداف التعليمية التي اتخذت... قالبا لها ما جاء في الحكايات الشعرية والخرافية على لسان الحيوانات والطيور، وتهدف إلى تثقيف الأطفال وتعليمهم وغرس القيم الأخلاقية فيهم..."² ".... وقد عدها الدكتور "محمد فتوح أحمد" من مظاهر رمزية التعبير، وقد أشار إلى مفهومها وأغراضها في قوله: "وهي في الغالب قصص تشير فيه الشخصيات والأشياء إلى أفكار معينة، يريد الشاعر أو الكاتب تقريرها، وهي في الغالب ذات غرض خلقي أو تعليمي يمكن استخلاصه بمجرد قراءتها..."

ويمكن أن نضيف إلى تلك الأغراض الخلقية والتعليمية التي أشار إليها الدكتور "فتوح" أغراضا أخرى تتصل بقضايا العصر وهمومه كالقضايا القومية والوطنية التي تعبر عن ارتباط الشاعر بوطنه والعمل لمصلحته، كالقصص الشعرية التي تمثل وعي الشاعر بقضايا وطنه ومعاناته من مظالم المستعمر..."³

ففي قصيدة "حكاية الأسد" يروي الشاعر قصة الأسد الهصور الذي حكم بلاده بالقانون وساس أموره بالعدل إلى درجة أصبح فيها الأمير يصطحب الأجير، فضلا عن أن الغني لا يتكبر عن الفقير!

يروون أن أسدا هصورا * كم دانت الغاب له عصورا
فنظم الأقبوام والبلادا * وحارب التبذير والفسادا
حتى أشاع العدل في الأوطان * والعدل، فاعلم، زينة السلطان
حتى التقى الغني والفقير * واصطحب الأمير والأجير⁴

لكن الأمور ما لبثت أن ارتج أساسها وانقلبت الموازين، وهذا ما حدث فعلا في

(1): المرجع نفسه ص 51- 52 . نقلا عن المقال ل: يوسف البعيني الشعر القصصي وحاجة الأدب إليه . مجلة العصبية . عدد ممتاز . كانون الأول سنة 1939 . ص 751 .

(2): د/ صالح بن عبد الله الخضير . الرمز في القص الشعري العربي في العصر الحديث . نشرت هذه الدراسة في الموقع الإلكتروني . ص 3

(3): المرجع نفسه . ص 01- 02 .

(4): د م م غ . الفرحة الخضراء . ص 31 .

دولة الأسد الهصور، حيث أصبحت جماعة الدببة، هي التي تسيّر الأمور، وبلغ سدة الحكم كل من الذئب والخنزير والفأر، وكلنا يعرف طباع هذه الحيوانات إذا دخلت حمى الإنسان، فالذئب يقتل الماشية بلا رحمة، والخنزير يرغم أنفه في الأرض فلا يترك صالحا فيها، والفأر والخراب صنوان لا يفترقان، فمتى صلح زاد منزل إذا الفأر سكن في أحشائه :

وساعت الأوضاع في دنيا الأسد * ما أضيع الملك إذا الحكم استبد
وأقـبلت جماعة الدباب * ولمعت عصابة الذئـباب
وأصبح الخنزير في القصور * يدير جهرا دفة الأمور
وساءت الأخلاق في الرعيه * كأن من يسوسها أميه¹

والأدهى والأمر، أن كل ما صار يسير من فساد، أصبح يدار باسم الأسد الهصور:
وباسمه تنتهب الأرزاق * وباسمه تدمر الأخلاق
كل له شعاره البراق * تغرى به النفوس والأحداق²

لكن من كل هذا الفساد ستجد شعاع النور ينبعث من تلك الظلمة، فهذا الكركدن ملتزم بما تركه له سلفه الصالح، وهذا القرد يبكي بحرقة وأسف على الشرف الضائع، وهذا مما نحسبه من ألوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "...فمن لم يستطع فبقليه وذلك أضعف الإيمان "

والكركدن عاكف على السلف * والقرد يبكي أسفا على الشرف
كل له في أمره شؤون * وكل شيء دونه يهـون³

وأصبحت صيحات الأسد وتحذيراته لا تسمن ولا تغني من جوع، بعد أن استشرى الفساد في البلاد، وصار أصلا من أصول الحكم، وهذه الحال يترجمه البيت القائل:
لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي

وانتفض الأسد.. يا للعار * من في جـودي فاقد الوقار
ما ذا دهـى معالم البلاد * فباعـت الرشاد بالفساد⁴

(1): المصدر نفسه. ص 32- 33.

(2): المصدر نفسه . ص 33.

(3): المصدر نفسه . ص 34.

(4): م م غ . المرجع السابق . ص 34.

الفصل الثاني ————— موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

هذه الرموز الاستعارية التي وظفها الشاعر في حكاية الأسد، ما هي إلا عناصر ترجمت لنا واقع الناس، إذ إن الأسد هو الحاكم، وكل من الدب والخنزير والفأر، يمثلون بطانة الشر والسوء، والكركدن والقرد يمثلان البقية الصالحة في المجتمع. ولا نشك في أن الغماري قد نظم هذه القصيدة الشعرية، انطلاقاً من واقع اكتوى بناره، والذي مازلنا نتجرع مرارته إلى اليوم، وهذه الطريقة التي استخدمها الشاعر قديمة جديدة.

و الشاعر هنا لا يتحدث عن غابة حقيقية بقدر ما يحكي عن واقع الناس اليوم ، الواقع السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي ، ونرى أن مثل هذه الأمور كان من الأولى ألا توجه لطفل لم تكبر مداركه بعد بالحياة ، فمشاغل الكبار تبقى للكبار ، ولماذا نوقظ حسه لمثل هذه الأمور ، وهو لم يشبع بعد من معين الطفولة الصافي فيجب أن نهينه ليكون عامل ثراء وإيجاب في المجتمع ينفع أمته ، وربما يحكمها في المستقبل بالعدل .

القصة الشعرية " القبرة " :

قبل الولوج إلى ثنايا القصيدة ، لا بد من تعريف بسيط لهذا النوع من الطير ، يقول " الدميري " في كتابه " حياة الحيوان الكبرى " ، " القبرة : بضم القاف وتشديد الباء الموحدة . واحدة القبر ، و القبرة غبراء كبيرة المنقار ، كأنما على رأسها قبرة . وهذا الضرب من العصفور قاسي القلب ، وفي طبعه أنه لا يهوله صوت صائح ، وربما رمى فاستخف بالرامي ، ولطىء بالأرض حتى يتجاوزه الحجر ، و بهذا السبب لا يزال مأخوذاً أو مقتولاً ، لأن الرامي يحمله الحنق على مداومة ضربه حتى يصيبه وهو يضع وكره على الجادة حبا للأنس ¹ .

القصة الأولى التي تناولها الشاعر في ديوانه " أناشيد " تحكي حياة قبرة بسيطة صغيرة ، داخلها الغرور و الكبر ، وصارت ترى نفسها في أعلى مرتبة هي في غنى عنها .

يبدأ الشاعر في وصف الحال لهذه القبرة الميسورة ، إذ كانت تعيش هانئة مطمئنة ، يأتيها رزقها رغدا ، من طيب الثمار و الشعير ، تتمتع بالحرية حيث لا قيد و لا قفص و لا سجن يكبل انطلاقتها وزهوها على الأغصان :

قبرة كانت تعيش حرة * تحط حيناً أو تطير مرة
نتيه بالريش و بالمنقار * بصوتها المحبب المعطار
ليس لها من أمرها أتعاب * إذ لا تسد دونها الأبواب
تعيش بالثمار و الشعير * وتكتفي بقوتها اليسير ²

إلى أن تحركت نوازع نفسها ، ووسوس إليها الشيطان ، وزين لها سوء عملها ، وصدها عن السبيل ، فأصبحت لا ترى إلا نفسها في هذه الحياة يعلوها تاج الكبر المزيف ، فعلى الرغم من جسمها الصغير إلا أنها تفوق النسور قوة ، وعلى الرغم من صغر حنجرتها فهي أعذب لحن من القيثارة ، وإذا بطشت بطشت كالجبارين ، فإن في دنياها يهزم الأسد ويساق النمر بالوتد :

(1): كمال الدين بن موسى الدميري. حياة الحيوان الكبرى. دار التحرير للطبع و النشر. دار الكتاب اللبناني . بيروت. لبنان. ج2. ص 421-423.

(2): مصطفى محمد الغماري. أناشيد. دار الشهاب للطباعة و النشر . باتنة. الجزائر. ص 05-06.

وساكن القبرة الغرور * إن الغرور ملؤه الشرور
قالت : ومن يفضلني مواها * صوتا جميلا .. وفتاة كاعبا
وأين من مخلبي النسور؟ * وأين من قوتي النمور ؟
إذا شدوت يخجل القيثار * حبيبت يالهة .. يا منقار
وإن بطشت بالعدى فعنتره * كأني عند اللقاء حيدرته !
كم أسد عرفته ولا أسد * ونمر يساق حتى بالوتد¹
و ما قاله المثل : " صار فرعون واعظا " ² ، كذلك فعلت القبرة مع جماعتها
حيث نصحتها بالثبات على الغرور ، وأي نصيحة ؟!

إلاك يا جماعة القنابـر * فرابطي وصابري و ثابري
مدي إلى الخروف ألف مخلب * حتى تفوزي بالمذاق الطيب³
ولكن هيهات لمثل هذه النفوس أن تصل إلى مبتغاها ، فكل ذي معصية مأخوذ
بمعصيته ولو بعد حين ، وإن الله لبالمرصاد لمثل هؤلاء ، فبمجرد أن انقضت القبرة
بمخالبتها الضعيفة ، ومنقارها الصغير ، حتى استقرت في قبضة الصياد ، نادبة حظها
متحسرة على ما فعلت ، ولات حين مندم :

فغرزت مخلبها النحيفا * وسددت منقارها الضعيفا
فعلقت أظافرها بالصوف * يا لخراب مكرها المكشوف
ووقعت في قبضة الصياد * فعلمت جزاء كل عاد
وأيقنت أن الغرور شر * ما أتفه النفس إذا تغتر⁴ .

القصة جميلة ، وقد أحسن الشاعر صياغة أحداثها مبرزاً خطورة الغرور على الإنسان
وهي طريقة مثلى في تعزيز القيم الإيجابية في نفسية الطفل ، وتنفيره من القيم السلبية
مع أن النبذة الخطابية التقريرية ، قد تخللت القصيدة في مثل قوله:

وساكن القبرة الغرور * إن الغرور ملؤه الشرور⁵

(1): مصطفى محمد الغماري . ص 07-08.
(2): محمد علي الصابري. صفوة التفاسير. قصر الكتاب .البلدية . شركة الشهاب .باتنة. الجزائر . الجزء الثالث . 5ط .
1411هـ . 1990م . ص 100.
(3): د/ مصطفى الغماري. المصدر نفسه. ص 09 .
(4): د / مصطفى الغماري. المصدر نفسه. ص 10.
(5): م م غ . م ن . ص 06.

الفصل الثاني ————— موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

وعندما ختم قصيدته بقوله : وأيقنت أن الغرور شر * ما أنفه النفس إذا تغتر¹
وهذا ما يذهب الجانب الأيحيائي في الأبيات ، ويفوت الفرصة على الطفل، في
استكناه الرمز الكامن في القصة .

(1): م م غ . م ن . ص 10.

القصة الشعرية "الشاة و الراعي" :

هذه القصيدة تحكي مصير شاة وقعت ضحية بين أنياب الذئب بعد أن كانت تعيش في حمى القطيع عيشة هنية، ترعى مما أنعم الله عليها من الرزق الوفير، لا يكدر صفوها أي مكر، لأنها كانت محمية ترد عوادي الزمان وخطوب الحدثان، حيث صارت الذئاب تهاب الاقتراب من حماها المنيع، وقذف في قلوبها الرعب من هذا الاتحاد:

كان لراع في الفلاة غنم * بصوفها وبالحليب ينعم
يغدو بها إلى مراعي الخصب * تخطر بين مائها والعشب
سعيدة في يومها والأمس * هائلة في دربها الدمقسي
توحدت على الذئاب صفا * لم تبد خلفا بينها وضعفا
فأصبح الذئب خطاه الفزع * يقعه اليأس، ويجري الطمع¹

لكن دوام الحال من المحال، فإن الركون إلى الدنيا والشهوات يذهب الهيبة والخوف من قلب العدو، وهذه حال القطيع، لأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، فبعد أن عبدت الخراف بطونها، تمكنت الدنيا من قلوبها، وأثمرت شجرتها، ثمار الأنانية والفردية، فانفرط عقد وحدتها، ولم تعد يههما أمر الجماعة، وهذه كلها ترجمة لواقع المجتمع الإنساني الذي تسود فيه مثل هذه القيم، وأفضل مثال على ذلك واقعنا الإسلامي العربي اليوم (احتلال فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وغيرها...) كل هذا سببه فرقة الكلمة، وعبادة الشهوات، واللجوء إلى الأعداء وطلب عونهم:

وذات يوم هجمت ذئب * واستسلمت لغدرها الرقاب
تفرقت ونسيت قرونها * لأنها عبدت بطونها²

وكان من نتائج فرقة القطيع، تمكن جماعة الذئاب منها، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: "فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية"^{*}. حيث وقعت إحدى النعاج في قبضة الذئب، فجرها منكسرة ذليلة خارج القطيع، لكنها بقيت تتن بين الحياة والموت، إلى أن سمع الراعي ثغاءها فهب مسرعا نحوها، وعندما رآها في تلك الحال

(1): د/ مصطفى محمد الغماري. أناشيد. ص 18- 19.

(2): د/ مصطفى محمد الغماري. أناشيد. ص 20 - 21.

(*) : سنن ابن ماجة. محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (207هـ - 275هـ). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار الفكر. بيروت - لبنان. جزءان.

الفصل الثاني ————— موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

توجه بها مباشرة إلى القصاب ليذبحها، وهنا علمت علم اليقين، أنه لا فرق بين حيوان، وبين إنسان ميت الضمير، فاقد للدين، لا تحركه إلا غرائزه الحيوانية، متحررا من نفخة الروح، عالقا بذؤابته في قبضة الطين، ظالما لنفسه وغيره :

ودس ذئب نابـه الحديدـا * في نعـجة.. وجرها بعيدا
تئن بين الموت والحياة * تـرجو قدوم سيد الرعاة
سمع الراعي ثغاء النعجة * فهب يجري خلفها في المرجه
ينقذها من مخلب وناب * ووقعت في خنجر القصاب
تقول في ثغائها الحزين * هل أنا غير عبرة السنين
لا فرق بين الذئب والإنسان * كلاهما في طبعه عدواني¹

الأقصوصة جميلة، صيغت في قالب شعري منفعل ببعض الأحداث، التي تضمنت قيما إيجابية وأخرى سلبية، ومن بين هذه القيم الإيجابية: قيمة الإتحاد بين أفراد القطيع، ومثل هذه القيمة تغرس في الطفل حب الخير للأفراد المحيطين به (من أسرة وأصدقاء) والسعي من أجل الحفاظ على الرابطة التي توثق بينهم .
ومن بين القيم السلبية، انعدام الضمير، وخلو القلب من الدين، الشيء الذي يؤدي بالإنسان إلى النزول من علياء الإنسانية إلى الدرك الأسفل من الحيوانية، وقد أبدع الغماري في قولبة هذه القيمة في بوتقة شعرية محكمة .

والمتمعن في هذه القصيدة الشعرية، يلمح أن الشاعر قد اقتبس معناها العام (المغزى) من القرآن الكريم*، ففي آخر القصيدة، وضح الشاعر مغزى القصيدة من خلال أبيات تلفها اللغة التقريرية الخطابية، التي أذهبت نوعا ما البهاء الإيحائي في القصيدة من مثل قوله:

يصبح ثعبانا ويسمي حملا * لأنه لم يحتمل ما حملا²
ففي الشطر الثاني نرى تقاطعا بينه وبين الآية الكريمة التي نقول: "إنا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقنا منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا (71)".*

(1): د/ مصطفى محمد الغماري. المصدر السابق، ص 21 - 22.

(*) :كلنا يعرف مورد الغماري .

(2): د: مصطفى محمد الغماري . المصدر نفسه . ص 23

(*) :سورة الأحزاب الآية 72.

وهناك أيضا تداخل بين البيتين الأخيرين :

لو حفظ المرء كلام الله * ومن سواه أمر وناهي

لعرفت دروبه الأمانا * وأصبحت قفاره جنانا¹

وبين الآية القائلة :

"ولو آمن أهل القرى لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض..."*

(1): د/ مصطفى محمد الغماري . المصدر السابق . ص 23.

(*): سورة الأعراف . الآية 96.

القصيدة الشعرية " الحمامة و الحرية " :

تبدأ القصيدة بوصف حال الحمامة المدللة ، حيث الشكل اللطيف ، و الريش الناعم و الهديل ذو النغم العذب الجميل ، و العش الذي يشبه في حسنه الأريكة ، و الحديقة الغناء الفيحاء ، إضافة إلى هذا كله خير وفير وزاد عميم ، تشتاقه حواصل الطيور ، ما يجعلها موضع غبطة من الآخرين .

ومثل هذا الوصف ، يهيء عقل المتلقي (الطفل) ، لاستخلاص العبرة من القصة، وكشف حجب الرمز الكامن في القصيدة :

حمامة في أيكها لطيفه * جميلة في شكلها ظريفه

توقظنا في الفجر بالهديل * يا حسنه من نغم جميل

تظل بين وارف الظلال * مزهوة بالحسن و الدلال

كأنها في أيكها مليكه * وعشها، يا حسنه، أريكه

تغبطها الطيور من كل وطن * بالمنظر البديع و العيش الحسن

و الحب من قمح ومن شعير * تشتاقه حواصل الطيور¹

لكن كل هذه النعم التي أسبغها الله عليها، لم ترض قلبها و عقلها، بل طمحت إلى التحرر من ربقة كل قيد يكبل انطلاقتها ، "ولا مريّة في أن الحرية أثنى من الحياة وأغلى، لأن الحياة في ظل العبودية نوع من الموت البطيء، يفرغ على صاحبه ذلة و هوانا ، فيفقد بذلك القدرة على الحياة الفاعلة و يصبح دوره انهزاميا متخاذلا، لأن مقومات الوجود الحقيقي قد سلبت منه ، وتبددت على أعتاب النفاق و الخوف ، فهو لا يحس بالحياة ، ولا يدرك المغزى ... " ²

وذات يوم سبقت أطوارها * فهاجرت وخلفت أوكارها

تحلم بالحرية المسروقه * فأصبحت في غابة محروقه³

ماذا حدث لحمامتنا المسكينة، فرياح التغيير التي كانت تحلم بها قد أوصلتها إلى غابة

(1): د/ مصطفى محمد الغماري . المصدر نفسه . ص 24 - 25 - 26 .

(2): د/ عبد الفتاح محمد سلامة . حرية الكلمة من المنظور الإسلامي . مجلة (الوعي الاسلامي) . صفر 1407هـ - أكتوبر .

1986م . ع 266 . ص 27 .

(3): د/ م غ . المصدر نفسه . ص 26 - 27 .

مهجورة ، تسكنها شلة الضباع و الذئاب و البوم ، وصار مسكنها في المقابر وزادها الجيفة ، بعد أن كانت بحسنها ترقص مفاتن الحديقة، وذهبت عنها كل النعم من ظل ظليل ، وماء نمير ، وطعام وفير :

واستسلمت في الغابة المهجوره * لنزوات طيشها المغروره

لا شيء غير البوم و الخراب * وشلة الضباع و الذئاب

تستوطن المقابر المخيفة * وزادها على الزمان الجيفة

أين الظلال السمر؟ أين الثمر * أين المياه الكثر؟ أين الشجر¹

ووصلت حبكة القصة إلى ذروتها ، بوقوع الحمامة لقمة سائغة بين أنياب ذئب غائر

العينين و الأهداب، تحركه الغرائز المسعورة، لا يرقب إلا ولا ذمة في ضحاياه،

وهناك أسقط في أيدي الحمامة وأيقنت أن نهايتها المشؤومة ، حتمية لا مفر منها ، كل

هذا بفعل إرادتها و اختيارها الخاطيء، حيث باعت حياة السعادة بحرية شقية تعيسة ،

أوردتها مصرع السوء ، وجعلتها تعض على أنامل الندم، ولات حين مندم :

واصطدمت بصخرة ثقيلة * فسقطت مهيضة ذليلة

وجاء ذئب بارز الأنياب * وغائر العينين و الأهداب

يبحث عن فريسة شهيه * يزردها برغبة عتية

وأصبحت ثقيلة الأنفاس * أسيرة الأنياب و الأضراس

تقول في نواحها الحزين * جريحة ، مقطوعة الوتين

تلك التي يدعونها حريه * غريزة مجنونة غبيه

لو عرفت قيمتها المنحوسه * ما فارقت أيكته المحروسه²

القصيدية ترمز بشخصياتها إلى واقع كثير من أفراد المجتمع، الذين يحلمون بحرية

خارجة عن الإطار الموضوع لها ، و الضوابط التي تحكمها_ دون كبت للإرادات_،

حرية تكسر المقدس، وتتجاوز واقعها وعرفها. وظني بالشاعر قد رمز إلى الفتاة

بالحمامة - وهذا أقرب الترميز - المنبهرة بما رماه إلينا الغرب من قشور حضارته ،

فتجدها تتبع خطى المرأة الغربية - المتحللة من كل قيمة - حذو النعل

(1): د/ م م غ . م س . ص 27 . 28 .

(2): المصدر نفسه . ص 29 - 30 .

الفصل الثاني ————— موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

بالنعل ، وقد رمز الشاعر لهذا بالغابة المهجورة، التي لا تسكنها إلا الذئاب و الضباع، و التي ترمز بدورها إلى الرجال الذين تتحكم فيهم شهواتهم ولا يعرفون لنزواتهم الحدود .

القصة طرحت قيمة الحرية ومعناها في قالب شعري جميل ، يرسخ في الطفل هذه القيمة الايجابية، لكننا نرى أن مثل هذه القيمة المجردة قد لا يستوعبها الطفل ، لأنه مازال في مرحلة لا يميز هذه القيم ، بحكم الضوابط التي يستعملها الوالدان معه ، لكن يمكن أن تكون أرضية تفتق بها ذهن الطفل ونفسيته على مثل هذه القيم.

القصة الشعرية " القرد الفيلسوف " :

القصيدة تحكي فلسفة قرد متبرم من عالم الإنسان الظلوم الجهول، الذي ادعى جملة من الأفكار و المبادئ التي ذهبت بالدين، وقوضت هرم الأخلاق المتين:
تفلسف القرد على الإنسان * وقال : إني سيد الأكوان
مالي أرى الإنسان في تمادي * يعيث في البلاد بالفساد¹
وأولى الانحرافات التي انزاحت بالفكر الإنساني الحديث، هي فكرة أن الإنسان أصله قرد، ومع نظرية التطور و الانتخاب الطبيعي، تحول تدريجيا إلى إنسان يفكر و يبني الحضارات، وصاحب هذه الأفكار " داروين " (عالم الطبيعة الاسترالي) * :
قد زين انتسابه إلينا * مغفلٌ يدعونه "دروينا"²

ولم يتوقف هذا

الانحراف في حدود علم الطبيعة فقط، بل امتد إلى الفكر الاقتصادي المتعلق، بوسائل الإنتاج وطريقة العمل ، فقد وضع صاحب كتاب " رأس المال " - كارل ماركس - أسس نظام اقتصادي يقوم على الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، و التي بدورها تتحكم في نظام العلاقات التي تربط أفراد المجتمع .
يقول شاعرنا في ذلك :

وهو كمثل ماركس يهودي * و الكفر في اليهود من عهود³
ويواصل القرد الفيلسوف استهجانه لأفكار أعلام الفكر الغربي (اليهود بخاصة)، فهذا " إميل دوركايم " -1858م - 1917م - الذي أخذ " ... فكرة التطور الدائم من الداروينية، و الذي يلغي فكرة الثبات، وأخذ عنه فكرة (القهر الخارجي) الذي يقهر الفرد على غير رغبة ذاتية منه ، فيطوره .
وأخذ عنه التفسير الحيواني للإنسان، فهو لا يفتأ يستشهد في كل حالة بما يحدث في

(1): المصدر نفسه . ص 01 .
(*): داروين (تشارلز) له كتاب عنوانه (أصل الأنواع) يحوي آراء في تفسير الطبيعة تدعو إلى الضحك و التهكم عليه، ومن بين الأمور التي لم يجد لها تفسيراً ، هي ألوان ريش الطاووس .
(2): المصدر نفسه . ص 11.
• من العجب العجاب أن الفكر الدارويني ما زال يسير بنعليه في ساحة الفكر الغربي، برغم الردود المفعمة لعلماء الطبيعة الغربيين المتخصصين .
(3): مصطفى محمد الغماري . المصدر السابق . ص 11.

عالم الحيوان...حتى شملت الحياة كلها، تحت غطاء البحث العلمي في علم الاجتماع قام "دوركايم" بالجمع بين حيوانية الإنسان وماديته بنظريته في (العقل الجمعي) التي تقول : " إن الإنسان حيوان خاضع إلى الجبرية الاجتماعية، أو قهر اجتماعي يفرضه عليه العقل الجمعي للقطيع البشري ، ويستمد شواهد من عالم الحيوان ومجتمع الحيوان "1.

وللتدليل على ما طرحه "دوركايم" - حتى نفهم سبب استهجان قردنا الفيلسوف لهذا العالم - حول فكرة خضوع الإنسان إلى العقل الجمعي ، يضرب مثالا بالدين و الزواج و الأسرة ، فهو " ... ينفي أن يكون الدين و الزواج و الأسرة فطرية في الإنسان، إنما هي عمل (العقل الجمعي) ذي السطوة القاهرة على الأفراد ، وهذا العقل دائم التغير و التطور و التشكل ، فإذا قال العقل الجمعي في طور من أطواره : ليكن دين أو زواج أو أسرة فليكن ذلك، أما إذا قال حسب هواه : ليكن لا دين ولا زواج ولا أسرة، فسرعان ما يخضع الأفراد لقهره فينسلخون من دينهم وأخلاقهم وتقاليدهم .

كما أن العواطف المتعلقة بها ليس مصدرها الله أو الدين كما يتصور الناس، يقول "دوركايم" : " لا تمتاز العواطف التي تتعلق بالظواهر الاجتماعية في شيء عن الظواهر الأخرى على مر العصور، وهي وليدة التجارب الإنسانية ... "2.

وهذا "فرويد" الباحث في أغوار النفس، لا يبتعد عن صنويه السابقين - فكلهم من ملة واحدة - إذ " ... يشرح التكوين النفسي للإنسان بأنه ثلاث درجات بعضها فوق بعض، أولها وأدناها الطاقة الشهوانية وموطنها الذات السفلى « id » وهي طاقة جنسية في أساسها ، وإن كانت الذات السفلى تشتمل كذلك على طاقة "محايدة" ليس لها عنوان محدد، ولكنها تحت تصرف السيد الذي يستخدمها، وبعد ذلك توجد الذات « ego » وهي النفس الواعية التي تواجه المجتمع وتحتك به ، وتحاول التوفيق بين الرغبات المتناقضة في داخل النفس، وبين الحقيقة المادية الخارجية، و العنصر الثالث في النفس هو الذات العليا « super ego » وهو ينشأ من تلبس الطفل بشخصية و الده

(1): علم الاجتماع مستمدا من نظرية التطور.... دوركايم، مأخوذ من موقع " مفكرة الإسلام"

(2): المرجع نفسه . الموقع نفسه .

• : أين نحن من هذا الطرح، وقوله تعالى في سورة البلد (وهديناہ النجدين) .

الفصل الثاني ————— موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

وحينئذ تتشأ عقدة أوديب كنتيجة طبيعية لحب الولد لأمه حبا جنسيا ، يحول وجود الأب دون تحقيقه، فيتكون في نفس الطفل نحو أبيه شعور مزدوج طرفاه الحب و الكراهية في آن واحد، ثم يتخلص الطفل من هذا الصراع - إذا قدر له أن يسير في الخط الطبيعي - بأن يزيد تلبسه بشخصية والده (هذا في الولد، أما في البنت فإنها تتخذ الموقف المقابل، وتتخلص من العقدة بزيادة تلبسها بشخصية أمها)•
وعند ذلك ينشأ الضمير، وتكون مهمة الكبت والقمع للشهوات الجنسية غير المرغوب فيها ، وذلك لحماية الذات عن عسف ذوي السلطان في الخارج (الأب أو المجتمع أو الدين أو التقاليد)"¹ .

ويجعل هذا الكبت وهذا القمع - في نظره - سببا للاضطرابات النفسية و العصبية :
إذ يقول الشاعر :

دوركاييمٌ عندهم اجتماعي * وفروُدٌ مستخرج الطباع

فكل طفل عنده متيمٌ * بأمه، وإن تناسى، مغرم

بالخراب العقل و الوجدان * حين يدين الفكر للشيطان²

كما هو معروف أن هؤلاء الثلاثة ينحدرون من صلب واحد، وهو اليهودية الحاقدة على العالم، فقد سخرتهم -كل في مجال تخصصه-، واستغلت بذلك عسف الكنيسة طوال قرون مديدة، قمعت كل مخالف لمبادئها ، وبخاصة اليهود ، بتهمة قتل المسيح .
ولنا في قرآنا التفصيل عن تاريخهم الفظيع في نقض عهود الله، وقتل أنبيائه، وتحريف كتابه . قال تعالى : " وإذ اخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله و بالوالدين إحسانا وذي القربى و اليتامى و المساكين و قولوا للناس حسنا وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة ثم توليتهم، إلا قليلا منكم وأنتم معرضون " *.

هذا ميثاق من المواثيق التي أخذها الله تعالى على بني إسرائيل، ومع ذلك لم ينفذ الميثاق إلا قليل منهم، وهذا الميثاق بالذات يعني أن الله تعالى قد منح اليهود في القديم

• سبحان الله، كيف نجعل أسطورة - تقوم على الخيال الممنح - نظرية علمية
(1): محمد قطب. الإنسان بين المادية و الإسلام. دار الشروق . بيروت- لبنان . ط6. 1400هـ - 1980م . ص 31.
القاهرة - مصر . ط7 . 1402 هـ - 1982 م .
ط8. 1403هـ - 1983 م .

(2): د/ مصطفى محمد الغماري . ديوان أناشيد . ص 26 .
(*): سورة البقرة . الآية 83 .

المقومات لكي يكونوا (أمة) ولكن اليهود هم اليهود رفضوا المقومات الشرعية وتحولوا إلى كيان إجرامي مخالف لكل القواعد و الأصول، ولم يلتزم اليهود بالميثاق مع الله تعالى " ¹

" ... نحن نعلم أن قيمة وسائل هداية الناس هم الأنبياء و الرسل عليهم السلام، فماذا فعل اليهود مع الرسل و الأنبياء؟ ماذا فعل اليهود مع ميثاق الله الذي أخذه الله عليهم بشأن الأنبياء و الرسل الكرام عليهم من الله السلام؟ قال تعالى في كتابه الكريم : " لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون " * .

حتى الرسل و الأنبياء عندما أرسلهم المولى تبارك وتعالى إلى اليهود لم يجد القطيع الهائج المائج وسيلة إلا أن يكذب فريقا منهم ويقتل الفريق الثاني، بل وصلت جرائم اليهود إلى أنهم كادوا يقتلون السيد المسيح رسول الله عليه السلام لولا أن الله تعالى أنقذ نبيه ورفع إليه ... " ² .

" ويثبت القرآن الكريم أن اليهود لم ينفذوا أي ميثاق أخذه الله تعالى عليهم، ويقرر القرآن الكريم أن اليهود عندما كفروا وفسقوا وسلكوا سلوك العصابات الإجرامية وفجروا وغدروا بكل شيء واستهانوا بأوامر الله وموآثيقه، كان لازما أن تنطبق عليهم سنة الله تعالى، قال جل وعلا في كتابه الكريم : " فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به " * .

نقض اليهود الموآثيق مع الله تعالى الخالق الأوحد سبحانه، ورفضوا الإيمان بالله تعالى، ورفضوا الانتماء إلى البشرية، ورفضوا أن يكون الخلق الكريم قوام حياتهم وفسقوا وفجروا وزنوا وأفسدوا في الأرض، ولم يكن هناك بد من أن تحل عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة فتلك هي سنة الله تعالى ولن تجد لسنة سبحانه تبديلا ولا تحويلا " ³ .

(1): أ/ معالي عبد الحميد حمودة. ماذا فعل اليهود مع موآثيق الله. مجلة الوعي الإسلامي . محرم 1407 هـ / سبتمبر 1986م

. ع 265 . ص 107- 108 .

(*) :سورة المائدة . الآية 70.

(2): المرجع نفسه . ص 108.

(*) :سورة المائدة . الآية 13.

(3): المرجع السابق . ص 103 .

كـم قتلوا نبيا أو رسولا * ومزقوا أتباعه فُلولا
وحرّفوا التوراة و الإنجيلا * وحاولوا في السُور التبديلا
ومسخوا في شكلنا قرودا * وملئت قلوبهم جحودا
كم قتلوا الكليم بالعصيان * وأحدوا في مريم الحصان
وفي المسيح ركبوا الضلالا * وجمعوا السيوف و الرجالا¹

و اليهود كما هو شائع عنهم قوم يحبون المال حبا جما - إلى درجة العبودية - ولا
يتوانون لحظة واحدة في اكتسابه بثتى الطرق وسيطرتهم على مراكز المال الكبرى
في العالم خير دليل :

إن من يقدر الدينارا * أضل ممن يعبدون النارا²

" إن موضوع جشع اليهود وحبهم المال وسعيهم لجمعه بثتى الوسائل و الأساليب،
مسألة لا تحتاج إلى شواهد كثيرة، فإن لعنة الرب حلت بهم بسبب خلقهم هذا، وإن
فسادهم حصل بسبب تعلقهم بالمادة و الشهوة

ويدخل في جملة ألوان الجشع وحب المال عند يهود أنهم، من أجل ذلك، كانوا يبيحون
لأنفسهم مخالفة شريعتهم خاصة إذا كان الأمر يتعلق بمعاملات مالية مع غير يهود، من
الأدلة على ذلك موقفهم من الربا الذي جعلوه محرما في التعامل بينهم، مباحا إذا كان
إقراض المال لغير يهودي : " ولا تقرض أخاك بربا في فضة أو طعام أو شيء آخر
مما يقرض بالربا، بل الأجنبي إياه تقرض بالربا وأخاك لا تقرضه بالربا لكي يبارك
الرب إلهك جميع أعمال يديك في الأرض التي أنت داخل لتمتلكها " ³ .

من خلال ما أطلعنا عليه القرد الفيلسوف عن اليهود و جرائمهم ومخططاتهم، لا
يرضى أي إنسان حصيف العقل و الرأي أن يعيش عيشتهم أو يحذو خطواتهم فالأفضل
أن يحيا فيلا أو نمسا، على أن يكون إنسا كهؤلاء :

أكون فيلا أو أصير نمسا * ولست أرضى أن أكون إنسا
فإنني بعترتي قمين * قـرديتي أنا لها أمين

(1): المصدر السابق . ص 12 - 13 .

(2): المصدر نفسه . ص 12.

(3): د/ أسعد السمراني . من اليهودية إلى الصهيونية . الفكر الديني اليهودي في خدمة المشروع السياسي الصهيوني . دار
النفائس . بيروت - لبنان . ط1 . 1413 هـ - 1993 م . ص 185 - 187 .

الفصل الثاني ————— موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

أرفض دعوى نسب الإنسان * لأنه بطبعه .. أناني

فكلنا بأصله .. يعتز * الدُّب، و الكلاب و الإوزُ

لو عرف الإنسان حق نفسه * ما قال يوماً باقتراد جنسه¹

القصيدة فيها زخم من الأفكار و الحقائق التي تستعصي على عقل الطفل، رغم أسلوبها الجميل القريب من نفسية المتلقي (الطفل) .

(1): المصدر نفسه . ص 16- 17.

الفصل

الثالث

الفصل الثالث : الخصائص الفنية لأدب الأطفال عند الغماري

1- الخصائص الفنية لعناصر القصة الموجهة للطفل

- الشخصية

- الأسلوب

- الحوار

- البيئة الزمانية و المكانية

- الحدث

- الرسم و الصورة

2- الخصائص الفنية في دواوين الغماري الموجهة للطفل

- الصورة الشعرية

- الصورة الاستعارية

- الصورة التشبيهية

- الصورة الكنائية

- الصورة الرمزية

- الرمزية المفردة

- الرمزية التمثيلية

2- الموسيقى

- الموسيقى الخارجية

- الوزن

- القافية

- الموسيقى الداخلية

- اللغة الشعرية

1- الشخصية :

"هذا العنصر مهم جدا في القصة وهو بعد مهم من أبعاد أية قصة بل ربما يكون المحور الأساسي في معظم قصص الأطفال ولذا لا بد من بذل الجهد المبدع لرسم شخصيات القصة بعناية بحيث تحقق أهداف القصة وتتناسب مع الأحداث وتتصرف وتتحرك وفق ما تقتضيه طبيعة الحياة الواقعية والطفل بحاجة لرؤية الشخصية أمامه في القصة حية مجسمة وأن يسمعها تتكلم بصدق وحرارة وإخلاص حتى يرى فيها النموذج الذي يحتذيه فتترك أثرها فيه سلبا و إيجابا .."¹

والملاحظ على القصص التي كتبها (مصطفى الغماري) للأطفال نجد أن شخصياتها تتأرجح بين المسطحة ". التي لا تتأثر بالأحداث وهي في الغالب تحمل فكرة أو صفة واحدة طوال سير الأحداث وهذه الشخصية يسهل على القارئ أن يتذكرها، كما يقدر على فهم طبيعة عملها الثابتة بنفس السهولة التي أتاحت للكاتب لبنائها قصد خدمة فكرته على مدى القصة.."² ، وبين النامية، ونجدها أيضا تتنوع بين الشخصيات الإنسانية والشخصيات الحيوانية المؤنسة*، ففي قصة "العجوز والقاضي العادل" يجد القارئ شخصيات هذه القصة تسير مع الأحداث بنمط واحد، دون إحداث للمفاجأة في العمل السردي، لأن القصة اعتمدت على الفكرة أكثر من اهتمامها بالشخصيات واتكأت على عصا الحوار لدفع عجلة الأحداث .

وكذلك في قصة "حين لا ينفع الندم" حيث أن شخصية الكسعي لم تتغير خلال أحداث القصة، وبقيت محافظة على القصة نفسها "وهي صورة الشخصية الرئيسية ويكون السرد فيها معتمدا على شخصية البطل الذي يمثل العمود الفقري الذي يربط بين أجزاء القصة وينظر إلى الواقع والأحداث كأشياء مكملة، وهذا يحدث في قصص البطولات أو المغامرات الفردية."³

(1):محمد حسن بريغيش. أدب الأطفال أهدافه وسماته. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت- لبنان ط3. 1998 ص219-220

(2):أحمد طالب. الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة في الفترة ما بين 1931-1976.ديوان المطبوعات الجامعية.الجزائر 1989. ص207

(3):محمد أديب الجاجي. أدب الأطفال في المنظور الإسلامي.ص122

* (والأنسنة تعني بها إعطاء الظواهر الطبيعية أو الأدوات أو الآلات المادية صبغة إنسانية، والنظر إليها ليس كوقائع مادية تخضع لقوانين الفيزياء الطبيعية بل اعتبارها قريبة أو شبيهة بالذات الإنسانية من الناحية الوجدانية، كما يشيع هذا التعريف ليشمل الحيوان إلى جانب الظواهر الطبيعية والآلات المادية وقد دخلت هذه المؤنسات عالم القصة جنبا إلى جنب مع الإنسان وتقوم بأدوارها الفنية في القصص بشكل مستقل أي بوصفها حيوانات وأشياء أو بمشاركة الإنسان لها بعد أن تأخذ صفات الإنسان كالنطق والتفكير =

وأصبح مثلاً تلوكه الألسنة "أندم من كسعي"، حتى أن الكاتب أتى بنتيجة الأحداث في بداية القصة حيث قال: "نذكروا أن رجلاً عربياً اسمه الكسعي.. ضربوا به المثل في شدة الندم على فعل صدر عنه لا يوصف بالرشد والسداد، وحسن التقدير، الندم الذي يبلغ صاحبه مبلغاً يجعله ينتقم من نفسه بفعل غير محسوب العواقب، كأنما يريد أن يعاقب نفسه تأديباً لها، وتقرّيعاً، ولا يصل إلى ذلك إلا بإلحاق الأذى بجسده...¹" أما في قصة "العصفور الأسود"، فإننا نجد شخصية الأميرة ريحانة شخصية نامية، تركز حولها محور السرد، وهذه طبيعة الشخصية النامية حيث تختلف عن المسطحة في أنها "...تفاجئنا دائماً بحدث جديد مقنع أو بصفات مختلفة عن الصفات التي سبقتها...²"، إذ تحركت مع الأحداث وفق سيرورتها إلى الغاية المنشودة، بدءاً بموت أمها إلى اعتلاء العرش في الأخير مع الأمير حسين، "في قديم الزمان، كان لأحد الملوك بنت رائعة الجمال قوية الإيمان، تحب الفقراء، وتساعد المحرومين،... كانت عندما تخرج مع والديها للنزهة في حدائق المدينة وفي البساتين الجميلة يسرع الناس إلى الموكب وهم يحيون أميرتهم الصغيرة...³" استيقظت ذات يوم لتصلي صلاة الفجر في وقتها فأخبرتها مربيتها أن أمها قد ماتت في ساعة متأخرة من الليل،... تزوج أبوها امرأة أخرى بعد موت أمها بقليل...⁴"، "أخذت الغيرة والحسد يأكلان قلب المرأة الجديدة من ريحانة الفتاة الوديعه الجميلة،... وصارت كلما رأتها، تصيح في وجهها وتشتتمها، حتى أجبرتها على الانطواء على نفسها في بيتها الصغير... ذات يوم سمعت ريحانة، أمام القصر أصواتاً كثيرة، فأطلت من نافذة غرفتها، فرأت موكباً كبيراً يتقدم إلى قصر أبيها، وسألت مربيتها فعلمت أن الأمير "حسين" جاء يخطبها...⁵" علمت امرأة الأب بما قرره الأمير حسين، فقررت أن تمنع هذا الزواج،... اقتربت منه امرأة الأب، وأرادت منه أن يتزوج ابنتها... لما تبين لزوجة الأب رفض الأمير حسين،... أخرجت كرتها السحرية، وأدارتها سبع مرات... وفجأة انقلب الأمير إلى عصفور صغير...⁶"

= والفرح والتعاون وغيرها...، ناصر يوسف أحمد، القصص الفلسطينية المكتوب للأطفال م.ت.ف. دائرة الثقافة ط1. 1989. ص264

(1): د/ مصطفى الغماري. حين لا ينفع الندم. ص03

(2): احمد طالب. الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة. ص207.

(3): د/ مصطفى الغماري. العصفور الأسود. ص03

(4): د/ مصطفى الغماري. العصفور الأسود. ص03-04

(5): د/ مصطفى الغماري. العصفور الأسود. ص06

(6): د/ مصطفى الغماري. العصفور الأسود. ص08-09-11

"ظلت ريحانة واقفة عند نافذتها تنتظر عودة الأمير حسين... ولم تتم تلك الليلة وهي حزينه، لغيابه الطويل، حتى ضعف جسمها... متألماً لما قد لحقه من سوء... ولم تكن تعلم ما صنعت به زوجة أبيها... استيقظت ريحانة في الفجر كعادتها... وفتت انتباهها ضربات خفيفة على النافذة... وكانت دهشتها عظيمة حين رأت عصفورا جميلاً..."¹ قصت ريحانة على مربيها قصة العصفور الجميل... فقالت لها المربية: لقد سمعت أن الملكة الشريرة الساحرة قد سحرت الأمير... وأظن أن ذلك العصفور الذي جاءك هو الأمير حسين".²

"تكرت ريحانة في زي فتاة قروية وخرجت وهي تحمل العصفور بين يديها، حتى وصلت إلى كوخ صغير، وجدت فيه عجوزاً... ذهبت برفقة العجوز إلى رجل يسكن خارج المدينة... وقصت عليه القصة. فرق لحالها وأخرج كرة سحرية لماعة... وصرخ: كن أيها الأمير كما كنت بشرا سوياً" وفجأة انقلب العصفور إلى أمير شاب رائع الجمال أخذ الأمير حسين الأميرة ريحانة إلى بلاده وتزوجها... وبعد مدة علمت الأميرة أن أباه قد مات، وأن الشعب ثار على الملكة الفاسدة القبيحة، مطالباً بعودة أميرته الشابة.

عادت الأميرة إلى شعبها ووطنها، معززة مكرمة... وحكمت البلاد بالعدل..."³ وقد ساعدت الشخصيات الثانوية التي وظفها الكاتب في القصة على حركية الشخصية الرئيسية، وأدت كل شخصية دوراً سطحياً بحيث لم تتغير عن الدور الذي وظفت له، من ذلك شخصية زوجة الأب، التي كانت تكن الكره والخيرة للأميرة ريحانة منذ أن وطئت قدمها أرض القصر، وقد ساعدت شخصية زوجة الأب - في تأزيم الحكمة، بتحويلها الأمير حسين إلى عصفور أسود، وهذا الحدث في قصة "العصفور الأسود" هو عنصر يرد كثيراً في القصص الشعبي الخرافي إذ يسمى "التحول" بنوعيه الارتقائي و الانحداري:

الأمير "حسين" يتحول إلى عصفور أسود ← تحول انحداري .
العصفور الأسود يتحول إلى شاب وسيم ← تحول ارتقائي .

(1): د/ مصطفى الغماري . العصفور الأسود .ص11-12

(2): د/ مصطفى الغماري. العصفور الأسود .ص14

(3): د/ مصطفى الغماري. العصفور الأسود . ص15-17

وفي قصة " عاقبة البغي " نجد الثعلب - وهو الشخصية الرئيسية في القصة - قد تحكم في تطور أحداث القصة ، وانتهت بمكره وخداعه ، و القصة اتبعت أسلوب التعليل - لشرح طباع الثعلب - وقد وفق الكاتب في رسم طباع الشخصية .

"... كان أبو الهناء يتكلم ، وكان ضيفه يريه أنه شديد الاستماع إليه ، ولكن عينيه كانتا تنتقلان في الجحر من مكان إلى مكان، فرأى فيه من السعة، وطيب الهواء و المتعة ما اشتد عليه حرصه، وجعل يقلب فكره في العثور على أسهل الوسائل لاغتصابه، و التخلص من أبي الهناء، بالقتل أو النفي"¹ .

وقد استعان الكاتب بشخصية الحية، والثعلب "أبي الهناء"، ووظفهما بشكل مسطح مساعدا بطل القصة في دفع عملية السرد .

وقصة "السحفاة الحمقاء" ترجمت لنا طبيعة الشخصية التي تأخذ بآراء الغير حتى وإن كانت خاطئة، وهذا ما وقع للسحفاة المسكينة -الشخصية الرئيسية- حيث لم تقدر عواقب تتكرها لطبيعتها، التي آلت بها في الأخير إلى الموت البطيء، وقد ساعدت شخصية الأرنب في تفعيل عملية السرد بأداء دور الناصح الأمين "فقال: هذا درس لن أنساه وهذا جزاء من لا يحمد الله على النعم التي أنعم بها عليه، فقد كانت الدرع نعمة من نعم الله التي لم أشعر بقيمتها إلا عند فقدانها"² .

(1): د/ مصطفى الغماري . عاقبة البغي ص 10
(2): د/ مصطفى الغماري . السحفاة الحمقاء. ص16

2- الأسلوب:

للمبدع في قصص الكبار الحرية في صياغة عمله الأدبي بالكيفية التي يراها مناسبة لرؤاه في الحياة، والأسلوب "هو الرداء الذي تبدو به أمام القارئ... والألفاظ هي النسيج الذي يصنع منه الرداء..."¹

أما الكتابة للطفل فهي من أصعب الأشياء، والتكلم معه بخطاب يوائم عقله من أعسر المهام، فالمعايير الأسلوبية في مملكة الطفل تتغير، لحساسية المرحلة من جهة وللاعتبارات السيكولوجية والتربوية التي تحتم على كاتب قصة الطفل الالتزام بها من جهة ثانية، "و تظهر مشكلة الأسلوب وأهميته وعلاقته بالمضمون في قصص الأطفال جلية واضحة وإذا كانت هذه الأهمية له ترتبط في أدب الكبار بارتباط الشكل بالمضمون فإنها في أدب الأطفال تزداد أهمية لخصوصية الفئة التي تتجه إليها الآثار الأدبية وبشكل خاص الفن القصصي لأنه يتوقف على الأسلوب وصول الفكرة إلى الطفل القارئ ومن ثم تحقق غاية القصة من عدمه..."²

والدارس لقصص-مصطفى الغماري-يلحظ بأن الكاتب قد اعتمد على طريقة السرد المباشر، وهي الطريقة التي طغت على كل السلسلة التي نشر فيها، وهي سلسلة "حكاية وعبرة" " خرج الثعلب يوما يسعى في طلب الرزق من أبوابه الواسعة، لعله يجد غفلة من سكان الخيام القريبة فيغير على خم الدجاج، فيظفر بدجاجة حمقاء، أو بديك مغرور أو بفرخ أبله، فما خلقت الدواجن إلا لمتل أنياب الثعالب، وما أعدت إلا لتكون وجبة شهية لبنات الحصين"³ وطريقة السرد المباشر تساعد الكاتب في عرض " ...الأحداث في تتابع، ويقدم شخصياته ويفسر تصرفاتها ويحلل أفعالها بالأحداث والشخصيات السير الطبيعي حتى تصل الأحداث إلى نهايتها."⁴

نلاحظ هذا الطرح ينطبق على شخصية الكسعي عندما كان يظن أن رمياته تخطئ كل مرة هدفها "ثم مكث على حاله مترقبا متحفزا ومر به قطيع ثالث ورمى

(1): حسين قباني. فن كتابة القصة. دار الجيل. بيروت- لبنان. ط3. 1979. ص83

(2): ناصر يوسف أحمد. القصص الفلسطينية الموجه للأطفال. ص 315

(3): د/ مصطفى الغماري. عاقبة البغي. ص 03

(4): د/ محمد العيد جلولي. القصص المكتوب للأطفال في الجزائر. ص 144.

كالعادة، وإن كان يشك في الإصابة، لغلبة سوء الظن عليه، واستيلاء اللون الأسود على مخيلته ... وكذلك الكسعي لما توقع (بواذر) الشر، وأساء الظن في وهمه انعكس ذلك في الواقع وإن لم يكن حاصلًا في الحقيقة، وكبر الوهم في ذهنه حتى عاشه، وشدة الفاقة حسنت له الإحساس الأسود، والإفراط فيه، والتفريط في ميزان التثبت والتبيين، والبعد عن الأخذ بالأحكام السريعة، مبنية على النظرات العابرة، والتوهّمات الكاذبة¹

وأسلوب الكاتب يتناسب مع المستوى الذي وجهت له هذه القصص - و بالتقدير تكون مرحلة الطفولة المتأخرة من 08 سنوات إلى 12 سنة- ويطلق عليها في علم نفس النمو، مرحلة المغامرة والبطولة. "على أنه من الضروري جدا أن نلفت إلى أننا يجب أن نقدم الحكمة للطفل بشكلها البسيط جدا، يعني (مقدمة + عقدة + حل) بلا تعقيد في المواقف، وبلا تشابك في الأحداث . هنا يمكن أن نقدم أدبا أطول قليلا، أوسع لغويا، فيه خيال لغوي، وفيه بعض الرموز، فنبتعد بالجملة عن القصد الحرفي لها، وهذا يجعل الأولاد يستمتعون بها وبجماليتها، وهو ما كانوا لا يستمتعون به في المراحل السابقة"²

وعلى الرغم من جودة اللغة التي صيغ بها الأسلوب القصصي عند الغماري، إلا أن بعض الصعوبة والارتفاع عن مستوى لغة الطفل قد طبعت بعض القصص، ففي قصة "حين لا ينفع الندم"، نجد الكاتب قد أكثر من توظيف الشعر - الذي يشكل على الطفل فك مغاليقه، لصعوبة بعض الألفاظ المكونة لهيكل الأبيات - عند كل حدث، وهذا ما يترك حبكة القصة تهتز كل حين والنتيجة هو أن يجعل ذهن الطفل يتشتت لصعوبة تراكيبيها، ولا نلوم الكاتب كثيرا في هذه القصة لأنه اعتمد كلية على أحداث القصة كما روتها كتب التراث العربي، كما وظف الكاتب صورا فنية يصعب على الطفل أيضا فهمها في مثل قوله: "... فلما أطل الصباح، وانجلى النهار، وانهمز الليل في ذلة وانكسار..."³

(1): د/ مصطفى الغماري. حين لا ينفع الندم. ص 14-15

(2): د/ ايمان البقاعي. المرجع السابق. ص 107-108

(*) : مرحلة الطفولة الأولى (المبكرة)، مرحلة الطفولة الثانية (المتوسطة).

(3): د/ مصطفى الغماري. حين لا ينفع الندم. ص 17

وفي قصة "العصفور الأسود" عطف القاص الحسي على المعنوي، إذ ربط حسن الوجه وجماله بحسن الخلق، وربط قبح الوجه بسوء الخلق "كانت عندما تخرج مع والديها للنزهة في حدائق المدينة وفي البساتين الجميلة يسرع الناس إلى الموكب وهم يحيون أميرتهم الصغيرة متعجبين من جمالها البديع، وهي تنتظر إليهم مبتسمة راضية سعيدة مسرورة..."¹

"تزوج أبوها امرأة أخرى بعد موت أمها بقليل، وكانت مع المرأة الجديدة بنت قبيحة المنظر، سيئة الخلق، تحتقر الآخرين وتكره الفقراء..."²

هذا الربط قد يرسخ في ذهن الطفل أن كل صاحب وجه قبيح ذو أخلاق ذميمة، وكل صاحب وجه جميل وسيم ذو أخلاق حسنة، وهذا مما ينافي الواقع في كثير من الأحيان.

وما عمق هذا البعد قوله: "...فعلت أن الأمير "حسين" جاء يخطبها من أبيها وكان الأمير الحسين مثالا في الجمال، والأخلاق والشجاعة، وكانت كل فتاة في المملكة تتمنى أن يكون عريسها..."³

ونرى أن الكاتب قد جرى سراعاً مع الزمن وأسقط منه سهواً الترتيب الطبيعي للفصول في قوله: "قضت فصل الصيف تنتزه وتلعب مع صديقها الأرنب... ، ومرت الأيام وتتابع الفصول، فحل فصل الخريف وبدأت تحس بالبرد أثناء الليل..."⁴

والرأي أن فصل الخريف يأتي مباشرة بعد فصل الصيف فأى الفصول تكون وسطاً بينهما؟!!

وفي قصة عاقبة البغي استخدم في بعض مجريات القصة أساليب تسبح في ملكوت الكبير لا الطفل الصغير، وهذا ما يؤدي بشريط الخيال أن ينقطع في كل لحظة سائلاً عن معنى هذا المثل أو هذه الكلمة، وهذا أيضاً ما يجعل متعة الطفل بأحداث القصة تخبو، ومن أمثلة ذلك: "...وقديما قالت العرب: ينتهي المكر محطماً بين أقدام القوة ولا يجد الدهاء سبيله إلى التأثير إلا بعد تغلغل الفشل في النفوس..."⁵

(1): د/ مصطفى الغماري. العصفور الأسود. ص 03

(2): د / مصطفى الغماري. العصفور الأسود. ص 05

(3): د / مصطفى الغماري . العصفور الأسود. ص 06-08

(4): د/ مصطفى الغماري. السلحفاة الحمقاء. ص 10- 12

(5): د/ مصطفى الغماري. عاقبة البغي. ص 04

والأمثال العربية قد نالت الحظ الوافر من التوظيف في هذه القصة. "فلان أظلم من حية، لو استجمع ضعيف ضعفه لكان له فيه قوة لم يحسب لها القوي حساباً، فيكون فيه حتفه،... "ولا تحتقر كيد الضعيف فربما* تموت الأفاعي من لعاب الثعالب" ¹ "الموت في طلب الثار خير من الحياة على العار" ²، "وما ظالم إلا سيئلي بأظلم" ³ "إنما الصديق عند الضيق" ⁴ "وعلى الباغي تدور الدوائر...، فإن البغي مرتعه وخيم" ⁵ وخيم" ⁵.

بمثل هذه الأمثال قد نقفز بالطفل من مرحلة اللاإدراك إلى غياهب التعمية، حيث أن كل مثل يجسد تجربة ناضجة في الحياة، ومثل هذه الأمثال وغيرها هي ثمار الحياة الطويلة والمحك الصعب، فلنترك سبيل المتعة يتسلل إلى نفسية الطفل عله يعشق الأدب الجميل، وتكبر معه المعاني النبيلة.

ونلفي الكاتب أيضاً استعمل الأسلوب التقريري الواعظ المرشد في موضعين مختلفين في قصة "حين لا ينفع الندم": "... ومن أجل ذلك نهت الآداب الإسلامية عن التشاؤم، وحببت التفاؤل إلى الإنسان، فمن استحضر الخير وجده في نفسه أو من حوله، ومن توقع بوادر الشر يوشك أن يفارقها، وأن يفاجأ بها فتسد عليه أفاق الأمل، ومواسم الخير... " ⁶، وفي نهاية قصة "السلفاة الحمقاء" قوله: "والعبرة من هذه القصة أن لا يبد للإنسان أن يرضى بما خلق الله له، ولا يغير من شكله أو مشيته أو طبعه بل يجب عليه أن يحسن من أخلاقه وأن يهذب من عاداته وفقاً لما أمره به ربه وينهاه عنه" ⁷ وهذا ما يرفضه المختصون في مجال أدب الطفل، ويعتبرونه سلطة عليا تكبل تصرفاته وطريقة تفكيره، "... ولا يكون تحققها سليماً مؤثراً في الطفل إذا كان طرحها مباشراً بأسلوب الوعظ والإرشاد، ومن هنا نبعت أهمية الأسلوب الضمني في الطرح، إذ إن الطفل ينفر من الوعظ والإرشاد، ويستعيد في أثناء قراءته القصة أو سماعه لها عالم

- (1): مصطفى الغماري. عاقبة البغي. ص 06
- (2): د/ مصطفى الغماري. عاقبة البغي. ص 08
- (3): د/ مصطفى الغماري. عاقبة البغي. ص 10
- (4): د/ مصطفى الغماري. عاقبة البغي. ص 13
- (5): د/ مصطفى الغماري. عاقبة البغي. ص 14
- (6): د/ مصطفى الغماري. حين لا ينفع الندم. ص 14
- (7): د/ مصطفى الغماري. السلفاة الحمقاء. ص 16
- (8): سمر روجي الفيصل. أدب الأطفال وثقافتهم. قراءة نقدية-دراسة عن منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق سورية. ص 28

المدرسة بما فيه من زجر وتنبية وإرشاد..."¹

3- الحوار:

الملاحظ على قصص "مصطفى الغماري" أن الحوار الخارجي le dialogue يطغى بقوة في مجال القصة الطفلية، لأنه عامل مهم في كشف خبايا الشخصية وطريقة تفكيرها، والقيم التي يبطنها الحوار، وهذا يتجلى بصورة واضحة في قصة "العجوز والقاضي العادل" حيث يبدأ الحوار من سؤال القاضي الذي وجهه إلى طلبته، عن قضية العجوز الطيبة التي باعت حليباً لأحد تجار القرية، الذي قدمه بدوره إلى ضيوفه فماتوا من فورهم، وقد اتهمت العجوز بأنها سممت الحليب، لكن القاضي أفرج عن العجوز قبل المحاورة التي دارت بينه وبين طلابه، وقد أسهم الحوار في حل العقدة، وكسر رتابة السرد وتسريع الأحداث وهو وسيلة ناجعة إذا أدى دوره الوظيفي المتمم بالقصر والوضوح، والإيحاء، ودون هذه الفعالية الوظيفية للحوار يكون الكلام حشواً لا طائل منه، ما يدفع قلوب الملل تتسلل إلى القارئ، خصوصاً إذا كان طفلاً، فالطفل ببراءته وعفويته طيب لا يقبل إلا سلساً طيباً.

"طلب القاضي من طلابه الأربعة أن يحكموا في هذه القضية الخطيرة، وأن يكتب كل طالب إجابته على ورقة منفصلة... أجاب الطالب الأول: لو كنت قاضياً وعرضت علي مثل هذه القضية لأصدرت الحكم بالموت على العجوز التي تركت الغطاء بلا وكاء، مما جعل سم الثعبان الذي تحمله العقاب يصل إلى الحليب فالمسؤولية المباشرة تعود إلى العجوز. قال القاضي العدل: ما أنصفت العجوز حين حكمت بهذا الحكم... ومع ذلك فليس هناك قانون يوجب وضع الكواء على أغطية الأوعية...، أجاب الطالب الثاني: ... فإن المذنب الحقيقي هي العقاب الحاملة للثعبان،... و لا يوجد قانون يعاقب الحيوان، ... فلم يبق إلا أن تحال هذه القضية على القضاء والقدر، قال إن هذا الحكم غير عادل لأن من واجب القاضي أن يبذل الجهد في البحث عن الحقيقة...، أما إحالة القضايا على القضاء والقدر كما فعلت ... فليس من مهمات القاضي العادل، أجاب

الطالب الثالث: لو كنت قاضيا لأصدرت حكما بمعاقبة صاحب الوليمة فإنه كان من واجبه أن يتذوق الطعام الذي يقدمه لضيوفه قبلهم فان ذلك من حسن الضيافة، ...قال: القاضي: هذا حكم مثل حكم الحكيمين السابقين يفتقر إلى تحري العدل، إذ لا يمكن لصاحب البيت أن يتهم أحد أفراد أسرته فيلزمه التذوق... ووقف القاضي العدل باهتمام عند إجابة الطالب الرابع الذي قال: إن القضية تحتاج إلى مزيد إيضاح ونقد، وتقديمها بهذه الصورة يتضمن خطأ واضحا،... قال القاضي... أحسنت أيها الطالب المجد، فانك خير من يستطيع أن يفرق بين الحق والباطل"¹

وورد الحوار الخارجي أيضا في قصة "السلحفاة الحمقاء": "وذات مرة قال لها: يا صديقتي العزيزة هل تريدين أن تعرفي ما سر بطئك؟ وثقل حركتك، وقلة نشاطك؟ قالت: أكون لك ممتنة شاكرة. قال: بصراحة إن درعك هي السبب... ثم أضاف: إنها درع ثقيلة جدا، كما أنك تزدادين بشاعة فيها وإن أسهل حل أن تنزعها...".
"... فلما رآها الأرنب من بعيد أبدى إعجابه وصاح: ما أجملك وأرشفك من تلك الدرع الثقيلة البشعة.

ثم قال الأرنب: أين درعك؟ قالت: "احتفظت بها في ركن البيت"، قال لها: عجباً لك، كيف احتفظت بها... مع أنها سبب تعاستك... قالت له السلحفاة متفاخرة: لا تتسني ما أتيت من أجله، تعال نتسابق...، قال الأرنب: "هذا ما كنت أفكر فيه."²

كما وظف الكاتب الحوار الداخلي Le Monologue (أو ما يصطلح عليه ب: تيار الوعي) "وهي طريقة قد يعتمد عليها الكاتب اعتمادا كلياً في سرد قصته، وقد يعتمد عليها في بعض مواقف القصة فقط وتستند هذه الطريقة على ركييزة أساسية مفادها أن الإنسان لا يتكلم طول الوقت مع الآخرين، وقد يعبر عن أفكاره المكونة من خلال المونولوج الداخلي والكاتب الذي يلجأ إلى هذه الطريقة يكتفي بالحد الأدنى من قواعد اللغة على نحو يدل على أن الخواطر قد سجلت كما ترد في الذهن تماما...، وقد يجمع

(1): د/ مصطفى الغماري. العجوز والقاضي العادل. ص 12-18

(2): د/ مصطفى الغماري. السلحفاة الحمقاء. ص 05 - 08 .

(3): حنان عبد الحميد العناني. أدب الأطفال. دار الفكر للنشر والتوزيع. عمان-الأردن. ط2. 1996. ص 35-36-37

الكاتب بين طريقتين أو أكثر من هذه الطرق بحيث يعطي الزخم للقصة، ومهما كانت طريقة السرد فإن براعة أسلوب العرض تجذب القارئ وتبعث في نفسه مشاعر إنسانية عدة.³

نستمع إليه ونتابع معه هذا الحوار في قصة "السلحفاة الحمقاء" :
" قالت في نفسها: يا ليتني لم أرم درعي واحتفظت بها لمثل هذا اليوم الجليدي القارس، ... لماذا أنصت إلى ذلك الأرنب؟ لماذا لم ينزع هو فروته؟ لأنني حمقاء متسرعة ولم أَرْض بما كتب الله لي، بل كنت دائما أسعى إلى تغيير شكلي و هندامي، وهذه نتيجة كل مغرور يضيع درعه ويبقى عرضة للموت البطيء. قالت ذلك وهي ترتعد من البرد"¹.

وقد أدى الحوار الداخلي في هذه القصة وظيفة نفسية بين فيها الانكسار والندم والحسرة التي كانت نتيجة النصائح غير الصائبة، وهو حوار وظيفي بناء، والرأي أن الكاتب لو استخدمه بشكل خارجي ما كانت سيرورة الأحداث تصل إلى الغاية المنشودة.

ويطغى الحوار الداخلي على قصة "حين لا ينفع الندم" ، حيث شملها عموما من بدايتها إلى نهايتها، ولا أرى أي شكل من أشكال الحوار الخارجي، "جعل الأعرابي يتعهد الشجرة ويسقيها ويهذبها وينفي عنها الطفيليات، وما لا ينفع من النبات... وجعل يقول:

يارب وفقني لنحت قوسي * فإنها من لذتي لنفسي

وانفع بقوسي ولدي وعرسي * أنحتها صفراء مثل الورد

صلباء ليست كقسي النكس

ثم خرج حتى أتى موارد الحمر، فكمّن لها من وراء شجيرات قريبة... فرمى عيرا منها فاخترقه السهم، ونفذ منه،...، فظن الكسعي أنه أخطأ العير. فقال في حسرة ظاهرة:

أعوذ بالله العزيز الباري * من نكد يلحق بالذراري

إني أراهم في فناء الدار * ينتظرون جزر الأعيار

من بعد جوع قاصف الأعمار

(1): د/مصطفى الغماري. السلحفاة الحمقاء. ص 12-14

بقي الكسعي على حاله فمر به قطيع آخر، فرمى منه عيرا، فأصابه السهم، ونفذ فيه، ومرق منه بأسرع من لمح البصر، ...، وظن أنه أخطأ الهدف للمرة الثانية فقال:

لا بارك الرحمن في رمي القتر * أعوذ بالرحمن من سوء القدر

أخطأ السهم لإرهاق الضرر * أم ذاك من سوء احتيال ونظر

وبعد تلك المحاولات الخمس التي ظن فيها أنه لم يصب شيئا... عمد إلى القوس العذراء فضرب بها حجرا فكسرها... فلما أطل الصباح وانجلى النهار، ...، رأى الحمر الوحشية مصرعه حوله، وأسهمه مزرجة بالدم المسفوح، ندم ندما أخذ منه مجامع فؤاده،... حتى عض على إبهامه فقطعها، وأنشأ يقول:

ندمت ندامة لو أن نفسي * تطاوعني إذن لقطعت خمسي

تبين لي سفاه الرأي مني * لعمر أبيك حين كسرت خمسي"¹

(1): د/ مصطفى الغماري. حين لا ينفع الندم. ص 17-06

4- البيئة الزمانية والمكانية:

تأثير البيئة الزمانية والمكانية في أحداث القصة وفي شخصياتها وموضوعاتها أساسي ومنطقي، لأن الأحداث مرتبطة بالظروف والعادات والمبادئ الخاصة بالزمان والمكان اللذين وقعت فيهما، والارتباط يعتبر ضروريا لحيوية القصة .
والقصة التي يرد فيها زمان معين أو مكان محدد يجب أن تكون صادقة وحقيقية.
وخلفية القصة وجوها العام يجب أن يكونا صحيحين وسليمين زمانا ومكانا، وعلى القصة أن تعطي جو البيئة المكانية والإحساس بها.¹

أ- البيئة الزمنية:

كل قصة لا بد لها من زمن يحدد مجريات أحداثها، سواء أكان هذا الزمن حقيقيا واقعيا محددًا كما هو في القصص التاريخي مثلا، أو زمنًا مطلقًا كالقصص الأسطورية أو الحكايات الشعبية أو الخرافية.

والمتمثل في قصص-مصطفى الغماري- يرى أن توظيف الزمن كان مطلقا دون تحديد معين لزمن ذلك الماضي أو زمن حدوث القصة، فقد استعمل في قصة "عاقبة البغي" صيغة " زعموا أن ثعلبا كان له جحر يأوي إليه، وكان كثير العناية والاهتمام به..."²

وكذلك في قصة "السلحفاة الحمقاء": "كان في قديم الزمان سلحفاة وأرنب تربطهما صداقة حميمة"³...، وفي قصة "العصفور الأسود" وظف الزمن أيضا توظيفا مطلقا،

(1): عبد الفتاح أبو معال. أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم. دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان . الأردن. ط1.

2005 م. ص 133

(2): د/ مصطفى الغماري. عاقبة البغي. ص 03

(3): د/ مصطفى الغماري. السلحفاة الحمقاء. ص 03

(4): د/ مصطفى الغماري. العصفور الاسود. ص 03

(5): د/ مصطفى الغماري. العصفور الاسود. ص 03-04

لأن القصة تنتمي إلى النوع الأسطوري، وهذا ما تضمنته أحداث القصة في قديم الزمان، كان لأحد الملوك بنت رائعة الجمال قوية الإيمان... "□"، إلا أن الزمن في هذه القصة لم يبق مفتوحا على إطلاقه بل قيد بفترة من الفترات الإسلامية في عبارة "استيقظت ذات يوم لتصلي صلاة الفجر في وقتها...⁵" "استيقظت ريحانة في الفجر كعادتها، لتصلي الصلاة في وقتها..."¹، حيث أن الصلاة بمفهومها الإسلامي لم تكن مفروضة على الأمم السالفة أو ما يسمى في المصطلح الشرعي -شرع من قبلنا*-.
أما قصتنا "حين لا ينفع الندم" و"العجوز والقاضي العادل"، فعلى الرغم من أنهما مقتبستان من التاريخ(التراث)، إلا أن الزمن فيهما يفهم من خلال أحداث القصة، أي بالتلميح له دون التصريح، ففي قصة "حين لا ينفع الندم" يستعمل الكاتب صيغة "ذكروا أن رجلا عربيا اسمه "الكسعي" ضربوا به المثل في شدة الندم على فعل صدر عنه لا يوصف بالرشد والساد..."²، يفهم من خلال شخصية البطل والأحداث التي خاضها في أتون القصة أن الفترة الزمنية هي فترة من فترات الحكم الإسلامي، ونلاحظ ذلك من خلال الألفاظ والعبارات الدينية الإسلامية التي وظفها في شعره من مثل:

أعوذ بالله العزيز الباري * من نكد يلحق بالذراري³

لا بارك الرحمن في رمي القتر * أعوذ بالرحمن من سوء القدر⁴

فأسماء الله وصفاته، عرفت بعد نزول الوحي، وتمكن العقيدة من نفوس العرب، وفي قصة "العجوز والقاضي العادل" حدد الكاتب زمن القصة بالإشارة إلى عشيرة بني هلال*، الذين استوطنوا المغرب العربي (شمال أفريقيا)-إضافة إلى مصر- في حدود القرن الخامس هجري/ الحادي عشر الميلادي.

لكن يبقى إدراك الطفل للزمان خاضعا للمستوى العمري و العقلي لكل مرحلة ، إذ إن الطفل في مرحلة الطفولة المتأخرة التي حددها علماء نفس النمو من(08 إلى 12سنة)،

(1): د/ مصطفى الغماري. العصفور الأسود . ص 11 .

(*) : هذا المصطلح هو من الأدلة المختلف في الأخذ بها عند علماء الأصول .

(2): د/ مصطفى الغماري . حين لا ينفع الندم . ص 03 .

(3): د/ مصطفى الغماري . حين لا ينفع الندم . ص 10 .

(4): د/ مصطفى الغماري . حين لا ينفع الندم . ص 12 .

(*) : استقرت هذه القبائل في شمال أفريقيا وأكثرها في الجزائر، واندمجت مع القبائل البربرية التي تعربت هي أيضا وشاركت هذه القبائل في الحروب والفتوحات والصراعات السياسية والعسكرية التي قامت في المنطقة وفي حوض المتوسط، وكان لهم الأثر الحاسم في تعريب شمال أفريقيا، مأخوذ من الموقع الإلكتروني <http://www.wikipedia.org/wiki>

يصبح فيها الطفل ميالا إلى القصص الواقعي، مما يدل على أن مستوى الإدراك عنده بدأ بالتقدم نحو تمييز الزمن في أي قصة يقرأها أو يسمعها.

وهناك تداخل بين زمن القصة وزمن السرد في بعض قصص الغماري، ويتجلى ذلك في قصة "السلحفاة الحمقاء"، حيث وظف الفصول السنوية ليسهل على الطفل إدراك الحيز الزمني "قضت فصل الصيف كله تنتزه وتلعب... ومرت الأيام...، فحل فصل الخريف... وعندما حل فصل الشتاء ببرودته القاسية وأمطاره الغزيرة، وتلوجه المتراكمة، وزمهريره الشديد..."¹

وكذلك في قصة "العجوز والقاضي العادل" "...وكانت الذكرى الحزينة التي تتتابها من حين إلى آخر تمر بطيئة لا سيما في الليل حين تؤوي إلى فراشها..."² وفي أحد الأيام الربيعية الضاحكة درت شويهااتها الأربع لبنا غزيرا..."³ وهذا التداخل أيضا نلمحه في قصة "العصفور الأسود"، "... فأخبرتها مربيتها أن أمها قد ماتت في ساعة متأخرة من الليل..."⁴ "عاد العصفور إليها عند الفجر، فأخذته بين يديها..."⁵.

وورد هذا أيضا في قصة "حين لا ينفع الندم" "... ثم خرج حتى موارد الحمر، فكمن لها من وراء شجيرات قريبة في المورد في الهزيع الأخير من الليل..."⁶ "... فلما أطل الصباح وانجلى النهار، وانهمز الليل في ذلة وانكسار..."⁷ وفي قصة "عاقبة البغي" "...تعال فبت الليلة عندي، فإن الأمر يحتاج إلى طول تفكير... في الصباح قال أبو الهناء لصاحبه..."⁸

-
- (1): د/ مصطفى الغماري. السلحفاة الحمقاء. ص 10 – 12 .
 - (2): د/ مصطفى الغماري. العجوز والقاضي العادل. ص 04
 - (3): د/ مصطفى الغماري. المصدر نفسه. ص 06
 - (4): د/ مصطفى الغماري. العصفور الأسود. ص 05
 - (5): د/ مصطفى الغماري. المصدر نفسه. ص 14
 - (6): د/ مصطفى الغماري. حين لا ينفع الندم. ص 10
 - (7): د/ مصطفى الغماري. حين لا ينفع الندم. ص 17
 - (8): د/ مصطفى الغماري. عاقبة البغي. ص 10
 - (9): د/ عبد الرزاق بن السبع. قصص الأطفال في المغرب العربي. ص 273

"... بقدر ما يكون الحيز الزمني محدداً أو معلوماً لدى الطفل بقدر ما يكون وقع العمل في نفسه أشد تأثيراً، لأن الطفل يدرك الزمن بطريقة خاصة قد لا نستطيع نحن تفسيرها أو فهمها أو بالأصح إخضاعها لمفهومنا."¹

ب- البيئة المكانية:

المكان شيء محسوس يتفاعل معه الطفل بصورة مباشرة، عكس الزمن الذي يعد بعداً مجرداً وفكرة غامضة، يحس بتأثيرها على نفسيته وإدراكه دون استيعاب منه لكنها وجوهه "... وبين مكانين مختلفين، هما البيت و المدرسة - ينفق الطفل معظم وقته وفي هذين المكانين تتكون مدركاته الحسية و العقلية ويبدأ في تكوين العلاقات التي سوف تشكل منه شيئاً ما في المستقبل."²

وللمكان في قصص الأطفال أهمية كبرى، حيث يعطي المصادقية على العمل، ويدفع الطفل للتجاوب مع شخوص القصة وأحداثها "... والكاتب القصصي يسعى إلى تقريب الواقع للطفل ووضعه في إطار مكان وزمان يشعر به ويراه ويدركه في صفاته وملامحه المختلفة ..."³

والغالب على قصص -مصطفى الغماري- أن حيز المكان فيها شبه واقعي، حيث يوصف بأوصاف غير محددة تحديداً كاملاً بل فيه إشارات ترشد ذهن الطفل إلى أن يدرك طبيعة المكان المذكور، "... وقد تنوع المكان في القصص فاشتمل على المدينة، الريف ... الغابة... البحر..."⁴ ... وهي أسماء مطلقة ولكن ذهن الطفل يستطيع أن يرسم الحيز المكاني من خلال بعض العلامات العامة..."⁵

حيث وردت في قصة "العجوز والقاضي العادل" ألفاظ تدل على المكان مثل: العشيرة، القبيلة، الخيمة" على أطراف خيام عربية منصوبة هنا وهناك حيث تعيش عشيرة من

(1): عبد العزيز المقالح. الوجه الضائع. دراسات عن الأدب والطفل العربي. دار المسيرة ط1 1405_1986. ص 46

(2): ناصر يوسف احمد. القصص الفلسطينية المكتوب للأطفال. ص291

(3): ناصر يوسف احمد. المرجع نفسه. ص نفسها

(4): د/ عبد الرزاق بن السبع. المرجع السابق. ص 277

(5): د/ مصطفى الغماري. العجوز والقاضي العدل. ص 03

عشائر بني هلال، تلك القبيلة العربية التي لها تاريخ مذكور، وذكر مشهور، ولها فضل كبير على عروبة الجزائر...¹.

هذا الوصف يدلنا على بادية من بوادي الجزائر، وخصوصا أن الكاتب ذكر لنا أسماء بعض النباتات التي تزخر بها بوادينا في قوله: "كانت كل يوم تسوق شويهاتها إلى المراعي القريبة حيث تقضي نهارها في جني بعض البقول البرية والنباتات التي يعرفها أهل البادية ويفرقون بين ضارها ونافعها مثل: القرنينة والفرياس والخرشوف البري الشائك والفقاع بأنواعه...² وبمثل هذا الوصف يعطي الكاتب للمكان دلالة معرفية إذا اختلفت بيئة القصة عن بيئة الطفل التي يعيش فيها، حيث تثير في ذهن الطفل تساؤلات لا يطفى ظمأها إلا الجواب الشافي، وبهذا يمكن لذهن الطفل أن يتفتح ويتعرف على ثقافات جديدة وأنماط وسلوكا يختلف كلية عن واقعه الذي يعيش فيه. وفي قصة "السلحفاة الحمقاء" وفي اليوم التالي نهضت مبكرة يملؤها النشاط والحيوية، فأخذت الدرع وذهبت بها إلى البحر لتقذفها بين أمواجه العاتية، وألقت بها من أعلى قمة ووقفت تنظر إليها وهي تتدحرج حتى سقطت في البحر، وغاصت في أعماقه بلا رجعة"³

من خلال هذا الوصف يمكننا أن نستشف طبيعة المكان الذي يعيش فيه الأرنب والسلحفاة فقد يكون المكان مدينة ساحلية أو قرية ساحلية فيها سهول خصبة أو غابات جبلية.

أما قصة "العصفور الأسود" فإن الإشارات أيضا أسهمت في التعريف بالمكان "كانت عندما تخرج مع والديها للنزهة في حدائق المدينة وفي البساتين الجميلة يسرع الناس إلى المركب وهم يحيون أميرتهم الصغيرة...⁴، ومادام هناك ملك يجب أن يكون في حاضره كالمدينة حتى يتسنى للملك الإشراف على أمور الرعية.

(1): د/مصطفى الغماري. المصدر نفسه. ص04

(2): د/ مصطفى الغماري. السلحفاة الحمقاء. ص10

(3): د/ مصطفى الغماري. العصفور الأسود. ص03

(4): محمد أديب الجاجي. أدب الأطفال في المنظور الإسلامي. ص128

وفي قصة "عاقبة البغي" وصف لطبيعة الغابة وما تحويه داخلها، ما أعطى مصداقية أكبر للقصة وهذا "... ما ينبغي لكاتب قصة الأطفال أن ينتبه إليه هو مراعاة البيئة التي يمكن أن يعيش فيها الحيوان الذي يرد ذكره في القصة لأنها حقائق علمية يؤدي إهمالها إلى أن تختلط الأمور العلمية والجغرافية في ذهن الطفل ويصل إلى نتائج ليست متفقة مع الواقع فكلما كان الالتزام بالبيئة الطبيعية أكثر كلما كان أفضل..."¹

"فانتهى به السير إلى جحر جميل المنظر، محكم البناء في أرض منيعة، ذات أشجار ملتفة، يجري تحتها نهير رقرق متدفق عذب، يزيد جو الغابة على لطفه لطفًا وتتغذى من نداءه أوراق الأشجار فيزيدها على نضارتها نضارة، فأعجبه المكان..."²

وكذلك في قصة "حين لا ينفع الندم"، وصف لمظاهر البيئة العربية التي كان يعيش فيها الكسعي "كان هذا الكسعي يرعى إبلًا له في واد كثير الزرع، غض النباتات، فسيح المرعى يسر بمنظره الناظرين، ويشد بحسنه إليه الواردين والصادرين، فليس بصحيح ما يقال: أن بلاد العرب موات، لا تكاد ترى من أثر للحياة إلا الصلال والحيات، إن هذا الكلام ظلم للعرب، ولببلاد العرب مناط فخرهم، وملهم نثرهم وشعرهم، فقد تغنى الشعراء بجمالها وبجيد غزالها وتثني رمالها، وندي ظلالها..."³، وفي هذا الوصف دليل على أن الكاتب يوميء من طرف خفي إلى أن يوجه ذهن الطفل لأن يعب معلومات إضافية عن بلاد العرب في الأعصر القديمة من مصادر أخرى.

(1): د/ مصطفى الغماري. عاقبة البغي. ص 06
(2): د/ مصطفى الغماري. حين لا ينفع الندم. ص 03-05

5- الحدث:

يعد الحدث من أبرز العناصر المكونة للعمل القصصي لذلك فإن كاتب قصص الأطفال عليه أن يراعي الجوانب الفنية والتربوية المشكّلة للحدث، إذ يكون تقديمه للحدث بسيطاً واضحاً خالياً من التعقيدات التي تعيق الذائقة الفنية والقيمية عند الطفل، أو تعمل على تشتيت ذهنه، فتقف حاجزاً أمام تنمية القدرات العقلية والنفسية والفنية والعاطفية والأدبية.

وبما أنه ذو أهمية في تشكيل العمل القصصي " فإن الحوادث من أجل أن تكون مؤثرة وفاعلة لا بد أن تتسلل بتناسق وتنساب انسياباً سلساً دون افتعال أو حشو أو استطراد...¹، "...و أن يكون الحدث مألوفاً بالنسبة للأطفال وأن تكون تطوراتها مفهومة من قبلهم...²"

والناظر في القصص التي كتبها-مصطفى الغماري- للطفل يرى بأنه قد اعتمد فيها على الحدث البسيط، فهو الأكثر توظيفاً في القصة الطفلية، لاحتوائها على مقدمة وعقدة وحل.

وعلى الرغم من البساطة المشروطة فإنه من الواجب على الذي يتصدى للكتابة الطفلية مراعاة الدقة البالغة والدراية العميقة ب: "سيكولوجية الطفل وبأسرار الإبداع الأدبي في الوقت نفسه ذلك أن مرور المؤلف مرور الكرام على حدث أساسي أو مشهد مهم قد

(1): د/ هادي نعمان الهيتي. أدب الأطفال، ص104

(2): عبده عبدو. الكتابة للأطفال حوار مع بينوبلودرا. مجلة المعرفة. وزارة الثقافة والإرشاد. تونس. عدد187. ص131

(3): د/نبيل راغب. فنون الأدب العالمي. الشركة المصرية العالمية للنشر. لو نجمان. ط1 / 1996. ص62

(4): د/ مصطفى الغماري. العصفور الأسود. ص03-05

يجعل الطفل يشعر وكأنه غرر به وذلك لحرمانه من متعة كان يتوق إليها¹ وإذا نظرنا بهذا المفهوم إلى قصة "العصفور الأسود" للغماري فسنجد نوعا من الارتجاج في حبكة القصة ، حين استيقظت الأميرة ذات صباح لتصلي الفجر فأخبرتها مربيتها بأن أمها قد ماتت " استيقظت ذات يوم لتصلي صلاة الفجر في وقتها فأخبرتها مربيتها أن أمها قد ماتت في ساعة متأخرة من الليل، فحزنت لفقد أمها حزنا شديدا...²، فخير موت الأم جاء دون مسببات تهيئ للطفل تفهم الموقف، فهذا الأمر قد يتقبله الكبير بحكم تعلمه لمناحي الحياة وفق نظرة دينية سليمة رسخت في عقيدته أن كل شيء يحدث في الحياة بقضائه وقدره.

6- الرسم و الصورة:

المتأمل في قصص مصطفى الغماري - يجد أن مستوى الرسوم لم يرق كثيرا إلى لغة النصوص، بل أننا نلفي أخطاء وقعت في بعض رسومات القصص، وهذا ما يفسد على القارئ (الطفل) متعته، ويعيق انطلاق الخيال عنده، إذ إن الرسومات بالنسبة له هي عبارة عن لغة مرئية، ولغة مقروءة بالذهن المشبع بالخيال الحر، فهي إذن ليست وسيلة لخلق الجمال فقط.

من ذلك صورة "الكسي" في قصة "حين لا ينفع الندم" في الصفحة الحادية عشر (11)، إذ أن المتفحص لتلك الصورة سيجد بأن "الكسي" قد رسم بطريقة تعبر للقارئ (الطفل) على أنه لاعب ماهر قد سجل هدفا في مباراة كرة القدم، والوقفة التي رسم بها في القصة تجعله يترجم ما عبر عنه القرآن الكريم: "كأنهم حمر مستنفرة" (49) فرت من قسورة (50)*

والأولى أن يرسم كما وصفه كاتب القصة" ثم خرج حتى أتى موارد الحمر، فكمن لها من وراء شجيرات قريبة..."¹، وأنا لم أر أي شجيرات بل عشباً أخضر وكأني به في سهل، وهذا ما يناق في طبيعة جزيرة العرب في عمومها - في تلك الفترة - ، وكذلك بالنسبة للصورة الواقعة في الصفحة الثانية عشر (12) حيث عبر رسمها عما وصفه

(*) سورة المدثر. الآية 49-50

(1): د/ مصطفى الغماري. حين لا ينفع الندم. ص 10

(2): د/ مصطفى الغماري. المصدر نفسه. ص 17.

الكاتب في قوله: "... فلما أطل الصباح وانجلى النهار، وانهمز الليل في ذلة وانكسار، رأى الحمر الوحشية مصرعة حوله، وأسهمه مضرجة بالدم المسفوح..."¹، لكن الصورة حين وضعت لم تساير أحداث القصة، وهذا ما يسهم في الخط على ذهن الطفل في فهمه لأحداث القصة ونهايتها، وكان على الرسام أيضا أن يكثر من رسم الحمر الوحشية لأن الكسعي اصطاد أكثر من واحد.

وفي قصة "العصفور الأسود" يقول الكاتب: "كانت عندما تخرج مع والديها للنزهة في حدائق المدينة وفي البساتين الجميلة يسرع الناس إلى المركب وهم يحيون أميرتهم الصغيرة متعجبين من جمالها البديع..."²، فالصورة في الصفحة 04 (الرابعة) الموالية للوصف لا تعبر عن حدث خروج الأميرة ريحانة مع والديها للنزهة في حدائق المدينة، ولم تصور قط حفاوة الناس بالأميرة، بل صورت الأميرة "ريحانة" رافعة يد التحية لشيء مجهول، والصورة الخلقية للأميرة في الرسم لم تطابق وصف الكاتب لها.

وتبقى فاعلية الصورة في القصة الموجهة للطفل مرهونة بمدى الاهتمام بهذا التخصص، فقد وضع المتخصصون - في مجال رسومات الطفل - عناصر تضمن النجاح للقصص المصورة، ويزداد إقبال الأطفال على القراءة بشغف، ويقوى تعلقهم بالكتاب الجميل، وتتمثل هذه الأسس في الحجم واللون والرسم: "...وقد دلت الأبحاث أن خير الكتب ما كان زاهي اللون متوسط الحجم لأن الأطفال لا يحبون الكتب الكبيرة ولا الخفيفة المختصرة، أما من ناحية الصور والرسوم فهي تشكل جانبا مهما من جوانب جاذبية الكتب وتجعل الأطفال يحبون النظر فيها والتطلع إليها، فتساعدهم على تكوين مفاهيم جديدة لما يقرأون وتمدهم بصور ذهنية قد لا تعبر عنها الكلمة، وبالتالي فإن هذه الصور والرسوم يجب أن تكون معبرة كذلك، يراعي التقليل منها تدريجيا مع تقدم الأطفال في السن. أما من ناحية الورق فيجب أن يكون من نوع جيد"³.

(1): د/ مصطفى الغماري. العصفور الأسود. ص 03

(2): مفتاح محمد ذياب. مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال. الدار الدولية للنشر والتوزيع. مصر. 1995. ط1. ص79-80

الصورة الشعرية :

" الصورة الشعرية هي أهم خاصية تميز لغة الشعر عن لغة النثر، إذ تؤثر في القارئ وتثير فيه الأحاسيس و المشاعر، وهذا ما يجعلها تحظى باهتمام النقاد... ذلك لأن جمال الشعر في الأداء غير المباشر و الصورة التي هي أحسن وسيلة للأداء الخفي الذي يستعين بقدرة الشاعر على التصوير وقدرته الموسيقية، وقدرته على اختيار الكلمة المعبرة الموحية على إيصال سر القصيدة إلى القارئ أو المستمع... ويقصد بالأداء الخفي هذه الطريقة التعبيرية التي لا تقول كل شيء يرى الشاعر أن يقوله، بل تصرح بجانب من التجربة ، وتوحي بالجانب الآخر"¹

وما دام قوام الفعل الإبداعي هو الوجدان، فلا بد من توفر عنصر الخيال الذي يصبغ التجارب بطاقة إيحائية أساسية "... ذلك أن الصورة الشعرية لا ترد على معيار خارجي ثابت، وإنما تتأمل بنوع من المباطنة، لأنها ذات كيان نفسي يتفتح صوب الوجود "².

ويتحول هذا الوجود من صورته النمطية الجاهزة، إلى قطعة من حياة واضحة التعبير طافحة بمظاهر الحركة و الحياة، وبظلال وأوان بديعة الأبعاد ، فيها الإحساس العميق و الخيال الخصب، كما ينمي كذلك الاستجابة الواعية بين طرفي الرسالة، المرسل/ المرسل إليه .

" وفي الدراسة الأدبية الحديثة يتغير مفهوم الصورة، فلا يقف تعريفها عند الحدود التي رسمتها لها القواعد البلاغية... لم تعد الصورة هي المشبه و المشبه به أو العلاقة المجازية التي تجمع بين طرفين، لقد غدت الصورة الواحدة مشهدا يستوعب عدة أطراف و عدة علاقات و عدة أنواع من الصور الجزئية"³

هذه التوطئة تبين لنا الدور الكبير الذي تلعبه الصورة في شعر الكبار، فما حالها في الشعر الموجه للأطفال * ؟

لقد تنوعت أنماط الصورة الشعرية في الدواوين التي ألفها مصطفى الغماري للأطفال،

(1): د/ محمد مصابف . النقد الأدبي ، الحديث في المغرب العربي . المؤسسة الوطنية للكتاب . ط2 . 1984 . ص 332 .
(2): د/ عاطف جودة نصر . الخيال مفهوماته ووظائفه . الهيئة المصرية العامة للكتاب . 1984 . ص 261 .
(3): د/ أحمد بسام ساعي . الصورة بين البلاغة و النقد . المنارة للطباعة و النشر و التوزيع . ط1 . 1404 هـ / 1984 م . ص 37 .

(*): الإجابة تكون عن هذا السؤال – بإذن الله – في ثنايا التحليل

فبين صورة تشبيهية، وأخرى استعارية إلى صورة رمزية تعتمد على ركني الرمز المفرد و الرمز التمثيلي .

وسنحاول أن نستجلي مباحج هذه الأنماط الصورية من كل ديوان، ولنبدأ بـ :

أ - الصورة الاستعارية :

" يكتسب المجاز الاستعاري قيمته الجمالية من قدرته على نقل حالة شعورية يحيها الأديب وهذا يتطلب - تبعاً لتمييز تجربة الفنان وتبلورها - خلق تصورات غير مألوفة في سياق القصيدة أو العمل النثري الفني، ويتشكل العمل الأسلوبي هنا من خلال التركيب اللغوي بعلاقات جديدة فيه وارتباط بين أطراف الجملة فعلاً وفاعلاً ومفعولاً وشبه جملة وصفة وحالاً ومبتدأ وخبراً.

هنالك محوران رئيسيان يأتلفان في تشكيل الاستعارة، الأول منهما: الأفق النفسي وحيوية التجربة الشعورية، والآخر: الحركة اللغوية الدلالية بتفاعل السياق وتركيب الجملة"¹

و الناظر في ديوان "حديقة الأشعار" يجد بأن الغماري وظف هذا النمط في عدة قصائد (إلهي، بائع الأزهار، أنشودة الفلاح، النبي المعلم، الطبيعة في بلادي، أنشودة الوطن). ففي قصيدة "إلهي" يقول :

وسهل يموج نباتاً بهيجا وروض يتيه بورد خضيل
وبدر ينير يشق الظلام حبيب إلى كل قلب خايل²

فالشاعر يشبه في البيت الأول الروض المليء بالورد بالإنسان ثم يحذف المشبه به ويبقى على أحد لوازمه "يتيه" على سبيل الاستعارة المكنية . وكذلك في البيت الثاني شبه البدر المنير بآلة يستخدمها الإنسان ثم حذف المشبه به وأبقى على ما يدل عليه وهو "يشق" على سبيل الاستعارة المكنية . و اللافت للنظر في لوازم الاستعارتين الواردتين، توظيف الشاعر للفعل المضارع الدال على التجدد و الاستمرار، وهذا ما يعطي الحيوية الدائمة للصورة، ويرسخ القيمة الدينية المتوخاة من وراء القصيدة .

(1): د/ فايز الداية . جماليات الأسلوب . الصورة الفنية في الأدب العربي . دار الفكر المعاصر . بيروت - لبنان . دار الفكر . دمشق - سورية . ط2 . 1411هـ / 1990م . ص 114 .
(2): د/ مصطفى الغماري . حديقة الأشعار . ص 03 .

وفي قصيدة "بائع الأزهار" يقول :

أهوى غناء الجداول وزقزقات الطيور
أهوى ضلال الخمائل أهوى أريج الزهور¹

فالصورة في البيت الأول تلقي بظلمها الجميل على القصيدة، حيث ينسب الغناء وهو فعل بشري إلى الجداول، وهو فعل متحرك في الطبيعة، ما يعطي التناسق بين الفعلين في صيغة الحركة: فمد الصوت بالغناء فيه حركة الحنجرة وجهاز التنفس، وجريان الماء عبر الأحاديث ومجاري المياه في الوديان و الجبال فيه حركة أيضا .
وقصيدة "أنشودة الفلاح" تفصح لنا عن الوقت / اليوم الذي يترنم فيه الفلاح ويحلو له النشيد في قوله:

أعز يوم إلي يوم تتيه زروعي
بكل نبت زكي وكل زهر بديع
في الحقل أسعد لما أرى جهودي تكبر²

استعمل الشاعر فعل "التيه" وفعل "الكبر" لالنتام الصورتين (تتيه ، تكبر) مع الجهد الذي يبذله الفلاح طول السنة " خصوصا إذا كانت وسائل الزراعة عنده تقليدية " ، فالجزاء من جنس العمل. ونجد بأن الصورتين الإستعاريتين الموظفتين في القصيدة تغرس في الطفل احترام الفلاح .

وفي قصيدة "النبي المعلم" يمدح الغماري واصفا النبي صلى الله عليه وسلم :

محمد ضياؤه على الجروح البلم
من حبه لي مقلة ومن بيانه فم³

في البيتين صورتان استعاريتان، حيث شبه الشاعر في البيت الأول الضياء و النور الذي أتى به النبي صلى الله عليه وسلم بالترياق الذي يزحزح الهموم و الآلام عن البشر، وفي البيت الثاني يعمق الشاعر حبه إلى درجة الحلول فيه فيصير العين التي يرى بها الحياة ، وإن فقدتها فقد نور البصيرة.

(1): د/ مصطفى الغماري. حديقة الأشعار. ص 04.

(2): د/ مصطفى الغماري. حديقة الأشعار. ص 05 .

(3): د/ مصطفى الغماري. حديقة الأشعار. ص 08 – 09.

و الجميل في البيتين أن الصورتين وردتا كاسمين البلم / مقلة (كل حسب موقعه في الجملة الاسمية) وهذا دال على الثبات وعدم التغير، ودوام الحب وهذا هو الأصل .
أما في قصيدة "الطبيعة في بلادي" فيقول الغماري :

رقت حواضرنا راقبت بواديننا
بالحب و الأفراح يلقاك واديننا¹

تعطي لنا الصورة في قول / يلقاك واديننا ظلالات تنزاح تباعا مع حرارة اللقاء ممزوجة بالحب و الفرح، فكل إحساس يربط الآخر، فالمحب عندما يلقي محبوبه تعتريه الغبطة والسرور، فكذلك الطبيعة عندما تحتوي الإنسان بين أحضانها فإنها تزيل عنه الهم والكد ، وتلبسه حلى السعادة و الحبور وحيوية الصورة تجلت أكثر عندما وظف الشاعر أحد ركنيها بصيغة الحدوث و التجدد و التكرار مجسدة في الفعل المضارع / يلقاك، وهذا ما يعمق الجانب النفسي في الصورة، إذ كلما كلت نفس الإنسان وتسلل إلى ساحتها الملل عالجها بالجوء إلى الطبيعة ، وقديما قيل: " زُرْ غِيَابًا تَزِدُّ حَبًّا " .
وفي أنشودة " الوطن" نجد المعنى نفسه مجسدا في الأبيات الأولى من القصيدة :

تلکم رياض الوطن يا إخوة العمر
تزيل عنا الحزن بالنور و العطر
هذي ربوع الآل هذي مجالها²

ففي الصورة الاستعارية التي ألبس فيها المحسوس ثياب المعنوي المجرد (تزيل عنا الحزن)، يعطي الحيوية و الحركية أكثر للصورة ، وهذا ما يجعل الصورة تتسلل بانسياب إلى نفسية الطفل وتعمل عمل السحر في قلبه وعقله ، الشيء الذي يحقق بفضلها هدفة الأدب الموجه للطفل .

" إن التجربة الشعورية - أو الموقف - تتبدى من خلال الصورة التي يقدمها الفنان، ذلك أنه لا يفصح دائما - بل لا ينبغي له ذلك - عن مراميه وأعماقه التي تحس وتتفعل قد يحدثنا الشاعر حديثا مباشرا إلا أنه يلجأ إلى الصورة لتعبر عن إحساسه من داخله، فاختيار الزاوية التي يقف عندها جزء من موقفه، ثم سعيه إلى أن يرسم الأشياء و

(1): د/ مصطفى الغماري. حديقة الأشعار. ص 11.

(2): د/ مصطفى الغماري . حديقة الأشعار. ص 12 .

الناس و الأفعال كما في نفسه يتطلب أن يجعلها أكبر أحيانا وبلون آخر أحيانا وقادرة على السعي في آفاق أبعد مرات وهكذا يخرج من إطار المحدود إلى مجال يتسع ويستجيب إلى رغبته وهو لا يملك إلا الكلمة وسيلة فيستحضر بها البعد ليغدو قريبا ويذهب إلى الماضي سائلا قريبا ويجنح إلى المستقبل متشوقا¹ .

وهذا ما نلاحظه سجد بصورة جلية واضحة في ديوان " الفرحة الخضراء" فابتداء من العنوان الذي يعد عتبة الديوان نجده يطفح بانزياحات وأبعاد تلقي بظلالها المفعمة على الأعمال الشعرية التي يتضمنها، إذ منذ ولوجنا ساحة الديوان ونحن نقطف الصور بشتى أنماطها خصوصا الاستعارية منها ، ما أعطى لنا الانطباع الأولي بأن هذه القصائد ليست موجهة من الأساس إلى الطفل لدلالاتها الغامضة في كثير من الأحيان عن إدراكه ومستواه و "...الصورة الشعرية التي تقدم للأطفال ذات خصوصية مرهفة، فإذا تخلت عن هذه الرهافة الخصوصية أو ضاعت في متاهة التأويل والدلالة، والغموض والإبهام، انعكس ذلك على القصيدة ..."² وبالمثال يتضح الحال، في قصيدة "أغنية الشهداء" يقول الغماري:

وبايعتم الحق والحق صوت فصيح إذا باطل جمجما³

في البيت صورة استعارية (وبايعتم الحق والحق صوت)، تتزاح بنا إلى الفعل المجسد للجهاد والمترجم من الكلام والدعوة والتحرير المتضمن في صيغة الماضي (بايعتم) إلى فعل محقق يحرق الأرض تحت أرجل الغاصب ويعطي صوت الحق المتسم بالفصاحة وصاحب الحق دائما نلفيه ذا لسان ذرب يرفع الله الحق به.

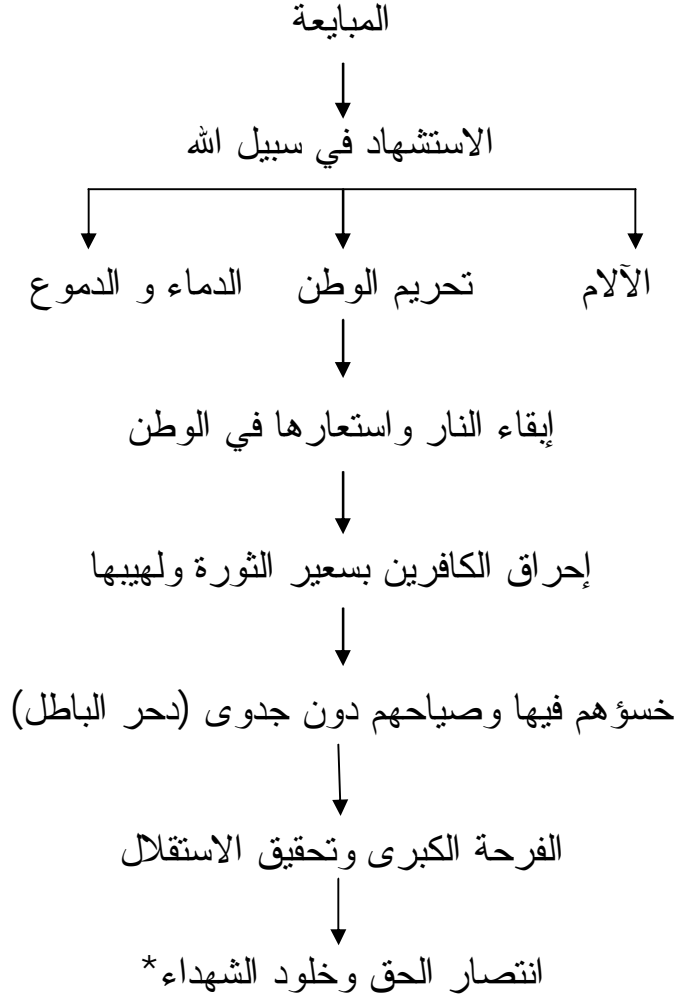
وكنتم على الكافرين سعيرا
هزمت جيوش النصارى الغزاة
ولحنتم بأفاقنا أنجما
ولن يهزم الكافر المسلما
وإن يقتلوا الجسم أو يرحموه
فلن تقتل الروح أو ترجموا⁴

(1): د/ فايز الداية . جماليات الأسلوب . ص 71-72 .

(2): محمد قرانيا . قصائد الأطفال في سورية . ص 204 .

(3): د / مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 04 .

(4): د / مصطفى الغماري الفرحة الخضراء . 04 - 05 .



وفي قصيدة "باسم الجزائر" يقول الشاعر:

بغير الكتاب بغير الإمام يسود على الأرض وجه الظلام¹
صورة (يسود... وجه الظلام) تبوح بألم وحسرة عن الواقع الذي آلت إليه البلاد بعد
الاستقلال، وخيانة أمانة نوفمبر التي صودق عليها بالدماء الزاكيات الطاهرات.
يميد بذكرهم اليوم عيد ويزهر في شفتينا القصيد²

(*) : هذا المخطط مأخوذ من كتاب "الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري لـ: د / محمد مرتاض . ص 32.

(1) : د / مصطفى الغماري . "الفرحة الخضراء" . ص 06.

* ولنفترض مثلا أن هذه القصيدة موجهة إلى أطفال المرحلة المتأخرة من سن الطفولة الممتدة حسب الخبراء من 08 إلى 12 سنة والتي تسمى مرحلة البطولة والمغامرة.

(2) : د / مصطفى الغماري . "الفرحة الخضراء" . ص 07.

صورة (يزهر في شفتينا القصيد) تتم على التفاعل الحاصل بين الذكرى، وذروة الإبداع عند الشاعر. ولكن كيف نستطيع أن نقنع الطفل بهذا النوع من الصور، وإدراكه اللغوي والجمالي خاوي الوفاض من مثل هذه الأساليب* هذا إن سلمنا جدلا بأنها موجهة للطفل، ففعل الإزهار متعلق بالورود في الحديقة، وهذا فعل حسي مشاهد، أما إزهار القصيد وهو فعل معنوي - في تربة الشفتين فهذا ما ينأى عن الإدراك الحقيقي للظلال الممتدة من المتلقي / الطفل.

والكلام نفسه ينطبق على بعض الصور المتضمنة في الديوان في مثل قوله من قصيدة "نثور نثور"

نثور نثور كأجدادنا وتشرق في شفتينا السور¹

وقد علمتنا دماء الجدود بأن الجهاد سليل القدر²

وفي هذا الشأن تقول الأستاذة عائدة بومنجل في دراستها المطبوعة - شعر الأطفال في الجزائر.

"ولا يخفى ما للصورة من قدرة على تطوير خيال الطفل وزيادة خصوبته، ومن ثمة تكسبه أساليب التعبير الجميلة وتنمي نوقه الأدبي، ولكن خيال الطفل يظل موثوقا إلى الواقع المحسوس ففي شعر الأطفال يكون الطفل أكثر فهما واستيعابا للصورة الحسية التي تتضافر فيها الأشياء الواقعية التي تدرك بالحواس وخاصة البصر، مع العقل والخيال لتمنح لنا صورة فنية جميلة تقرب للطفل البعيد وتبسط له المعقد، بأن تنتقل إلى ذهنه وتفكيره البسيط الذي لم يكتسب القدرة على فهم المجرد بعد مفاهيم وأفكارا مجردة، يتمكن من خلال تلك الصور أن يلمسها أو يراها ماثلة أمام عينيه"³ وفي قصيدة جزائر يا أمنا يقول..

(1): د / مصطفى الغماري . "الفرحة الخضراء". ص 08.

(2): د / مصطفى الغماري . "الفرحة الخضراء". ص 09.

(3): عائدة بومنجل . شعر الأطفال في الجزائر -دراسة- عاصمة الثقافة العربية سنة 2007 . ص 104 - 105.

(4): د / مصطفى الغماري . "الفرحة الخضراء". ص 10

بعيدك نبدع شعرا ونغزله ياسميناً¹

ما وجه الترابط بين فعل الغزل الذي يقترن في أفهام الناس بالصوف أو ما شابهه من حرير، بالياسمين المعروف عند الناس أيضا بأنه زهر طيب الرائحة؟ فالصوف عندما يغزل يدوم لمدة طويلة أما الياسمين فمتى قطف أو ترك على حاله، فإن الذبول والموت لا مناص منهما، وهذه دورة الحياة مع الكائنات الحية، فكيف يمكننا أن نجمع بين فعل الثبات / الغزل، وفعل الحدوث والتغيير / الياسمين؟ وكلاهما من الحسي المجرد، وبين الفعل المعنوي المتمثل في أعلى مقامات البوح / الشعر؟ وفي قصيدة "المجد للجزائر" يقول الغماري:

والطير في الأغصان غناك يا جزائر
صباحك الوردية يا ثورة الأحرار²

صورة (الطير ... غناك يا جزائر) قد تكون قريبة من ذهن الطفل على اعتبار الشدو والغناء من لوازم الطير حقيقة، وقد يتقبل الطفل أيضا صورة الصباح الوردية المفعم بالحيوية والنشاط، برغم أن لون الصباح يكون أبيضاً بعد انحسار فلول الليل، لكن الإشكالية أن الشاعر وصف الثورة الدالة على الحرب والقتال وإراقة الدماء وإزهاق الأرواح والتي يرمز لها باللون الأحمر، بلون يدل على الرقة ورهافة الإحساس والرومنسية الحاملة، ففي الصورة مقابلة لطيفة -على تنافر عناصرها- لو يدركها عقل الطفل.

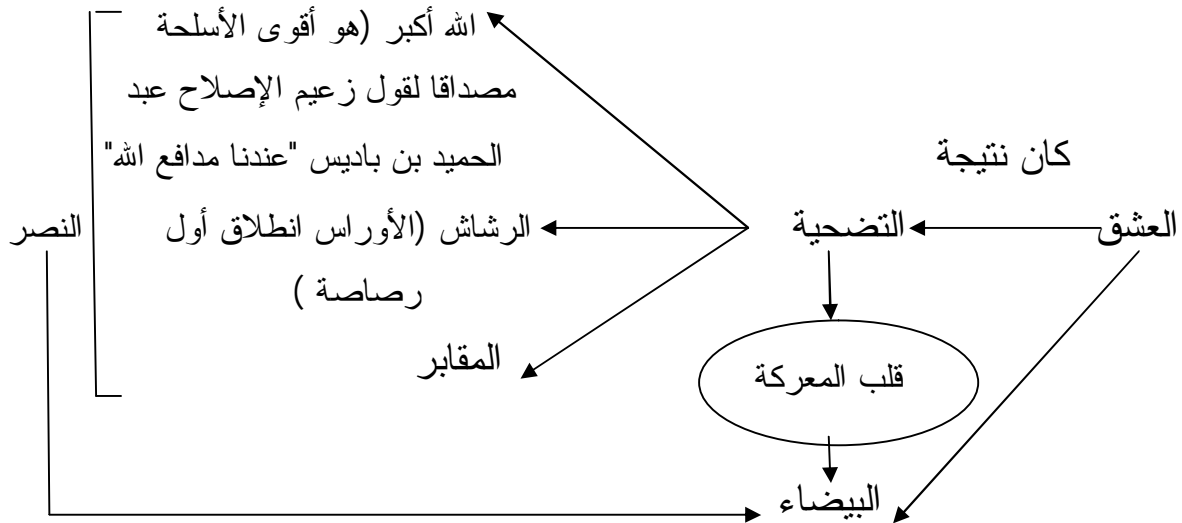
ويقول في قصيدة: "عشاق البيضاء"

لهذه الأرض تاريخ وأحرار
تلك المقابر بعض من مفاخرنا
الله أكبر تعلقو في معاركهم
الله أكبر في أعماقهم أمل
ثاروا ولولا كتاب الله ما ثاروا
فيها لمن صنعوا التاريخ آثار
فيهزم الجمع والرشاش هدار
زاه وفي أذن الكفار إعصار³

(1): د / مصطفى الغماري . "الفرحة الخضراء". ص 14 - 15.

(2): د / مصطفى الغماري . "الفرحة الخضراء". ص 17.

يلحظ الدارس لهذه البيات أن الشاعر اتكأ على أدوات تكون من صميم ما تحدث عنه في ثنايا القصيدة (الثورة)، حيث اعتمد على أدوات معنوية تجسدت في (كتاب الله، الله أكبر، أمل)، وأخرى مادية (مقابر، هزيمة الجمع، الرشاش، إحصار)، كل هذه الأدوات وغيرها، عملت على تنقية أرض الجزائر من سواد الاستعمار، وإيقاظ الفجر الأبيض من رحم الأحزان، ورسم الصورة العامة للقصيدة:



وفي القصيدتين اللتين وصف فيهما الغماري الطبيعة في الجزائر (خصوصا فصل الربيع) نجده وظف بعض الصور الاستعارية المتداخلة مع مباحج الطبيعة إذ يقول في قصيدة: "الطبيعة في بلادي":

أنظر تر الطبيعة جميلة بديعه
تستقبل الصبا وتحمل الأفراحا¹

ويقول في قصيدة "مرحبا بالربيع":

واقطفوا يا رفاق وردة من يديه
واصنعوا نجمة من سنا وجنتيه²

فصورة (تستقبل الصبا) قد يقبلها عقل الطفل، لأن فعل الاستقبال شيء محسوس ودائم التجدد و التكرار، أما الصورة الثانية المتمثلة في قوله: (واقطفوا... وردة من

(1): د/ مصطفى الغماري. الفرحة الخضراء. ص 19.

(2): د/ مصطفى الغماري. الفرحة الخضراء. ص 22.

يديه، واصنعوا نجمة من سنا وجنتيه) ففيها نأي عن إدراك الطفل، حيث يصور الشاعر فصل الربيع الزاهي بمختلف ألوان الورود و الأعشاب و الأشجار وغيرها ، بإنسان له يدان ووجه وأطراف إن شئت فكيف يستطيع الطفل أن يصدق أن إنسان هذا الزمان المملوء طمعا وجورا أن يهديه وردة ويمنحه الأمان؟ برغم أن عناصر الصورة تجمعها الحسية تمثلت في مجموعة من الأفعال و الأسماء (اقطفوا، اصنعوا، وردة، سنا، وجنتيه) ، وما عمق انزياحية الصورة أكثر قوله: (واصنعوا، نجمة، من سنا، وجنتيه)، فكيف سيقبض الطفل على الضوء برغم أنه محسوس بالعين المجردة؟ وعلى الرغم من هذه الاستعارية الطافحة في صور قصيدتي "وصف الطبيعة"، فإننا سنجد الصور المتضمنة في قصيدة "يا أم الثورة" أبعد بكثير من صور القصيدتين السالفتين إذ يقول :

أجاد نحن وأمجاد وحضور نحن وأبعاد¹

فالمعنى المتضمن في صورة الحضور و الأبعاد يستغل على الكبير فما بالك بالصغير الذي يعيش في زماننا الغربية و التغريب في كل شيء .

وستزهر في الدرب النار و جدار الغربية ينهار²

البيت يحوي خيالاً لا يناسب عقل الطفل فما معنى الغربية عنده؟ - وإن كانت في مفاهيمنا نحن الكبار ننظر إليها على أساس الانزياح الذي تعيشه الجزائر في شتى مجالات الحياة .

ومن أين لنا أن نقنع الطفل بأن النار التي تأتي على كل شيء تنتج الورد الجميل الدال على المحبة و المودة؟ وكيف له أن يقطف زهرة من نار، وكلنا يخشى النار؟ و الخيال نفسه في قوله أيضا :

يا جرح شهيد ما زالاً في الدرب ربيعا وظلالاً

أجزائر تيهى في الحاضر يا أم الثورة و الثائر

يا وارثة المجد الغابر يازارعة الأمل الزاهر³

(1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 25 .

(2): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 26 .

(3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 27 .

في البيت الثاني ينادي الشاعر على الجزائر، بحرف النداء للقريب وكأنه يهمس إلى قلب الحبيب، و الجزائر حبيبة القلب إلى كل رقيق الإحساس .
يقول محمد قرانيا في هذا الشأن "لقد عد الخيال المتغلغل في العمل الأدبي عنصرا، ومعيارا تقاس به جودة النص، لأن الشعر لا بد له من الخيال... لكن ما يستحب مراعاته هنا، هو أن الإفراط في الخيال، و الاعتماد عليه كليا أمر له محاذيره، لأن الطفل كما يجنح للخيال و الحلم، فإنه يميل إلى الصور المباشرة و الواقعية التي تدرك بالحواس، وأن المظاهر الحسية للصورة المباشرة ترضي الأطفال لأنها تعكس الطريقة التي يكتشفون بها عالمهم أي أن إدراكها العالم يستند إلى البصر ومن ثم يستجيبون بقوة للشعر الملون المكون للصور البشرية التي تخلق لديهم استجابات ذهنية تجعلهم يشاركون الشاعر حالاته الوجدانية، ويتذوقون مواقع الجمال في القصيدة، ولهذا السبب كان الإغراب في الصورة مرفوضا في شعر الأطفال، لأنه يجهد المخيلة، ويتعبها من دون أن يصل بها إلى مراد الشاعر"¹
ويقول الغماري في قصيدة "الأمير المجاهد":

من بعد مالف الظلا م مواسم الدرب السعيد

قتل الفرنسي السلا م وذبح الطير الغريد

جفت جداول أرضنا لا درب يزهر لا ورود²

" إن الشاعر يصف ماضيا حالكا متقلا بالبؤس و الشقاء ومغلفا بالظلام الذي عم يشوبه الأسود كل العالم، فصار العيش صعبا، وغدت الحياة مستحيلة قاتمة... وإذا حل الظلام ضاقت الدروب النورانية التي كانت قبل قليل هنيئة مطمئنة تنشر السناء و الضياء على كل من يلج إليها أو يصادف ناحيتها، وذلك ما جعل الشاعر يحكي عن ذلك الماضي المتقل بمساوئ الاستعمار، و الرغبة في الانسلاخ عنه وهجره إلى غيره، ولا سيما أن الشاعر يردف ذلك بما ارتكبه الاستعمار الفرنسي من مجازر يندى لها الجبين، وما اقترفته من آثام، وأية جريمة أكبر وأفظع من أن يردى السلام، ويعمد إلى ذبح الطيور الغريدة؟ الرمز هنا واضح، و الصورة جلية، لأن الشاعر لا يروم بالطيور إلا الحرية

(1): محمد قرانيا . قصائد الأطفال في سورية .ص160-162 .

(2): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء .ص 52 .

و التحرر، وكانت نتيجة ذلك كله أن جفت الجداول و الينابيع التي كانت تسقي هذه الأرض الطيبة، وتمنحها الحياة لتورق وتزهو و تثمر، ومن الواضح أن ما ذكره الشاعر من حكاية عن الماضي، وتضايق به لم يكن راجعا إلى ما حدث له وحده فحسب ولكنه راجع إلى صورة الشعب الجزائري إبان فترة الاحتلال الأجنبي البغيض، وهو يطمح إلى ما يذهب عنه الغشاوة ويبدل هذه الصورة وإن لم يكشف عن ذلك صراحة، ولكنه يستشف من سياق الخطاب"¹

وهناك صور استعارية أخرى حوّاها ديوان "الفرحة الخضراء" تأتي على ذكرها دون تعليق عليها* من ذلك ما ورد في قصيدة "محبة الأوطان" :

ذاكرة الأوطان تأتي على الإنسان²

وكذلك في قصيدة "حديث المسجد" :

بمنبري الحرّ كم من خطيبٍ أنار الظلام وجلى الكرب
يؤلف بين القلوب ويبيني العقول.. ويبلغ أعلى سبب
أنا المسجد الحر.. تعرفني القرون تحدث عني الحقب³

وفي قصيدة : "بني الأحرار" :

لقد ركبوا الجبال فكن سهلا وكم عبروا البحار فكن مهذا
وقد زرعوا السلام بكل أرضٍ غدت أشواكها طيبا ووردا
فإن دم الشهيد بكل دربٍ يمد لكم من العزمات مدا⁴

وفي قصيدة "هات البشائر" :

عيد الجزائر لم يكن إلا ابتسام حياتها
واليوم تبني للسلام وما أجل بناءها
فليسأل التاريخ من جهلوك يا أضواءها

(3): محمد مرتاض . الموضوعاتية في شعر الأطفال الجزائري . ص 61- 62 .

(*) :أثرنا هذه الطريقة للاختصار

(1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 37 .

(2): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 39- 41 .

(3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 43- 44 .

إن تسألوا التاريخ إن دم الشهيد لكم جواب
لا القهر يطويها إذا تعنو لقاها الرقاب
كنا الجواب لأن في أعماقنا فصل الخطاب¹

وفي قصيدة "بلادي" :

بمن يزدهي الفجر عند المعالي ويفتخر الجيل في الأولين؟
جزائر يا مقلتي وكياني ويا واحة الروح في كل حين²
وكذلك أيضا في قصيدة "الأمير المجاهد" :

وطن تتيه به النجوم ويورق الطلع النضيد
وطن الأمير السهل يفخر بالبطولة و النجود
وطن الأمير وكم تتيه به وتختال البنود
لا القهر يثني من خطاه وليس يرهبه الوعيد
كان الأمير مجاهدا يستقبل الفجر الجديد³

ب/ الصورة التشبيهية :

"... إن التشبيه الجيد في الشعر الموجه للأطفال، هو الذي ينطلق من واقع الطفل وبيئته، من المحسوسات التي يتعامل معها ويلمسها ويراهها إلى كائنات محسوسة أيضا، فالتشبيه في هذا اللون من الشعر هو صورة شعرية بقرب حقيقتين مختلفتين، فلا ينظر إليه فقط من خلال طبيعة كل حقيقة إذا كانت مجردة أو حسية، وإنما من خلال عملية التقريب و الجمع بحد ذاته، ومع موقع هذا الجمع داخل السياق العام، وما يمكن للعلاقة الجديدة بين طرفي التشبيه أن تولده في ذهن المتلقي الصغير من إحياءات ودلالات"⁴ و الناظر في الدواوين الثلاثة -خصوصا ديوان الفرحة الخضراء- * يجد بأن الصورة التشبيهية قليلة التوظيف في أعماله -مقارنة بالصورة الاستعارية - على الرغم من أنها تمثل عمود الصور في الدرس البلاغي و النقدي القديم ، و الأنسب للطفل بحكم قرب معناها من ذهن الطفل ، ومن ذلك قوله في قصيدة "باسم الجزائر" :

(4): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 45- 46- 47 .

(5): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 48- 50 .

(1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 51 .

(2): العيد جلوي . النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر . ص 251 .

بغير الكتاب بغير الإمام تكون الحياة بقايا ركام¹

في البيت تشبيه بليغ في قوله (بقايا ركام) حيث يصور لنا افتقار الحالات لرونقها وبهائها في غياب الشريعة الربانية التي تحكم البلاد و العباد بالعدل وتحقق الأمن و السلام للبشرية، و الشاعر في هذه القصيدة يومئ بايديولوجيا مضادة، لما انتهج في الجزائر بعد الاستقلال، وارتضاء الخط الأحمر سبيلا قويما - في نظرهم - للبلاد فوق عليهم البيت الموالي موقعا يغيب فيها نفوسهم، ويصور لنا خسارة من أراد الذل لنفسه ولم يرض إلا بالهوان سبيلا للعيش :

كمن يشتري الذل بالمكرمات ويبحث عن عزة في اللئام²
ويقول في قصيدة "جزائر يا أمنا" :

بعيدك نبدع شعرا ونغزله ياسمينا
ونحمله في المعالي كوجهك حقا يقينا³

يشبه الشاعر نفثات فؤاده (شعره) في نقاوتها ونصاعة بيانها بأرض الجزائر الطاهرة التي سقيت بأزكى الدماء فصيرت وجهها وضاء يتلأأ في المعالي، ما جعلها نهبا للطامعين في القديم و الحديث، و يقول في قصيدة "المجد للجزائر" :

أهواك يا بهجه يا حبها العذري
يخضر كالموجه في مقلة الفجر⁴

البيت الثاني يحوي صورا بثلاثة أنماط (الصورة الكنائية - كناية باللون - في قوله: يخضر ، الصورة التشبيهية في قوله : كالموجة، و الصورة الاستعارية في قوله : في مقلة الفجر) هذا التداخل عمق الأبعاد الكامنة في البيت، ما يصعب مهمة مثل هذا الخطاب في التوجه إلى المتلقي / الطفل، بل أحيانا يعجز عقل الكبير عن إيجاد اتساق وتوافق بين عناصر الصور المضمنة في القصيدة إذ كيف تشبه المعنوي بالمحسوس

(*): لأننا وجدناه الديوان الوحيد من بين الثلاثة (حديقة الأشعار، أناشيد) الذي حوى مثل هذا النمط من الصور .

(3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 06 .

(1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 06 .

(2): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 10 .

(3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 16 .

(*): القان : شجر من شجر الجبال تتخذ منه القسي .

الذي لا يتحقق واقعا (الحب العذري... يخضر كالموجة)، وهل موج البحر يخضر حقيقة؟

أما في قصيدة "الطبيعة في بلادي" ، فإننا نجد الشاعر استعمل الربط المباشر بين ركني الصورة التشبيهية. المشبه / المشبه به بحرف الكاف، دون أن تعطي الصورة ظلالات أخرى، حيث قابل بين تنوع ألوان الزهر وتنوع ألوان العلم الوطني، ما يعطي الانطباع الأولي من أن الشاعر يقصد من خلال هذه الصورة إلى أن يغرس حب الوطن في نفس الطفل و التعلق برموزه :

و الزهر في البستان مختلف الألوان
من أبيض و أحمر قان* ولون أخضر
كراية الجزائر تخطر في البشائر¹

ويقول في قصيد "يا أم الثورة" :

وربيع كالماضي غدنا غدنا بالثورة أعياد²

في صورة (وربيع كالماضي غدنا) يأمل الشاعر أن يرى غدا يتصل اتصالا وثيقا بالماضي المشرق لهذه الأمة، وجعله منطلقا لربيع جديد يعم أرجاء البلاد، كما كان يحفها بظلاله من قبل، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها* .
وقوله في قصيدة "حديث المسجد" :

أنا مصنع الفكر مهد الأدب وأسرار من يصنعون العجب³

صورة (أنا مصنع الفكر مهد الأدب) تترجم لنا حجم الدور الذي كان يؤديه المسجد أيام ازدهار المسلمين، وفي تاريخنا المجيد شواهد بقيت دالة علي ما كان يصنعه المسجد في حياة المسلم خصوصا العلمية منها ، فقد كان المنارة التي يستضيء بها المسلم في حياته بل حتى الكافر ، وفي المسجد الجامح بقرطبة -بالأندلس الإسلامية /إسبانيا النصرانية حاليا- خير دليل ، و الملاحظ على الصورة التشبيهية أنها جاءت بصورة

(1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 19- 20 .

(2): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 25

(*) : مقولة للإمام مالك رحمه الله .

(3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 39 .

(*) : حتى وجه الشبه يحذف في التشبيه البليغ .

(4): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 41 .

التشبيه البليغ الخالي من أداة التشبيه* التي تعد واسطة بين طرفي الصورة ، و كأن المسجد هنا ، أراد أن يبلغنا رسالته ، و يبث شكواه في الناس دون واسطة أو شريك ، لأن الرسالة الأولى للمسجد هي توحيد الله و نبذ الشرك و الرقي بالأمة في مدارج المتحضرين . و يواصل المسجد حكايته فيقول :

لجيل الرسالة كنت الملاذ و كنت على الطامعين اللهب¹

أي : كنت المخزن الذي يذكي نار الدفاع عن الحياض، وهذا شيء معروف في حياة المسجد سابقا، حيث كان منطلق الجيوش ومركز التجنيد للذب عن حمى الإسلام ورد صائل الأعداء وصورة (كنت... اللهب) من التشبيه البليغ الدال على قوة الصورة وتلاحمها مع ألفاظها.

ومن الصور التشبيهية التي يصور فيها الشاعر نقاء و قدسية و طهارة المسجد قوله:
أنا معبد الله في كل حين طهور ترابي كما السحب²

الصورة فيها تطابق (طهور ترابي كما السحب) فالتراب و الماء من وسائل الطهارة عند الإنسان .

وفي قصيدة "هات البشائر" ، ينكر الشاعر على الذين ينسبون الجزائر لغير تاريخها العربي المجيد الذي لم ترض غيره - رغم الخصوصية الأمازيغية* للبلاد- فيقول:

يتأمرون على الشهيد وينكرون مضاءها

عربية كالشمس تحمي عزها ووفاءها³

شبه الشاعر الجزائر بالشمس للدلالة على وضوح وإشراق تاريخ هذه الأمة، فالشمس عندما تشرق على الأرض يعم ضوءها كل الأرجاء، و العروبة المأخوذة من قوله (عربية) تدل على الوضوح و التجلي، لأن أصل كلمة العربية معناه الإفصاح و البيان، وهذا المعنى أيضا فيه دلالة الإشراق أيضا . و الشاعر في ثنايا قصيدته يغزل مقابلة حسنة يدعم بها البعد الذي يريد أن يخرسه في الطفل (البعد الديني) فيقول:

(1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 40 .

(*): وهذه مسألة لها تشعباتها لا يسعها بحثنا .

(2): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 45 - 46 .

لعروبة الاسلام تتـ سب لا عروبة من كفر¹

حتى أن البيت جاء مدورا، فشكله الظاهري يوحي بالانفصال التام بين عروبة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وعروبة أبي جهل، فعروبة محمد (صلى الله عليه وسلم) - منطلقها: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"* ، أما عروبة أبي جهل فهي شعار: "ماذا تقول عني العرب " . وغير بعيد عن حمى الهوية الوطنية (الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا) يقول:

يتآمرون على خطاك وأنت لي فجر اليقين²

ما يدعم صورة (أنت فجر اليقين) - وهي من التشبيه البليغ - فعل يتآمرون الذي جاء بصيغة المضارع الدال على تجدد و استمرارية فعل التآمر الدال على الشر ونسج خيوط المكر بالليل و النهار دون تعب أو ملل، و في البيت مقابلة لطيفة، إذ إن فعل التآمر الذي يترجمه البيت الذي قبله:

لا للذين يببتون الغدر، و الحقد الدفين³

فيه انزياح للظلمة الحالكة التي تعتري نفوس أعداء اللغة العربية، وفي الظلمة دلالة على الليل الطويل المستمر المتضمن في صيغة المضارع (يتآمرون)، وفي المقابل نجد الشاعر يأتي بالركن الثاني للمقابلة في قوله (أنت ... فجر)، و الفجر دال على النور و الضياء و انشراح الصدر حتى أن التشبيه هنا خال من الأدوات/ الوسائط للترميز على قوة ما يدعو إليه الشاعر .

ج/ الصورة الكنائية :

يعرف عبد القاهر الجرجاني الكناية بقوله: " ... الكناية... أن يريد متكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومي إليه ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم: هو طويل النجاد يريدون طول القامة، وكثير رماد القدر يعنون كثير القرى، وفي المرأة نؤوم الضحى و

(3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 46.

(*) : سورة الحجرات الآية 13.

(4): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 53.

(1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 53.

المراد أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا كله كما ترى معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود...¹

و الكناية قد تتعدد صور توظيفها بحسب التيار الذي ينتمي إليه الشاعر، فالغماري مثلا في مجال أدب الطفل - ينتمي إلى الاتجاه التربوي الجديد* الذي اعتمد على اللون في صورته الكنائية، إذ يقول في قصيدة "الطبيعة في بلادي":

و النخلة السمرآ تزهى بها الصحرا
تاقت عراجينا صفرا أفانينا²

اللوان (الأسمر و الأصفر) من خصائص شجر النخيل حقيقة، إذ إن مثل هذا التوظيف يدعم الجانب المعرفي عند الطفل، وكذلك النفسي، إذ يذهب بعض علماء النفس "...وخصوصا أولئك الذين ينحون منحى مدرسة التحليل النفسي، إلى تأكيد أهمية الألوان في النفس، وخصوصا وأن هناك اتفاقا على أن الألوان تساعد على تقديم الأشكال بطريقة مؤثرة، نظرا لاتصال اللون بالحس. خصوصا وأن الإدراك البصري يقوم على وقوع الموجات الضوئية على اللون"³

كما تلعب الألوان دورا مهما في التعرف على الحالة النفسية على الطفل ...⁴

وفي قصيدة "أنشودة الوطن":

نهوى حمى السمرآ نهوى دواليها
و الراية الخضراء بيض أياديها
و الرملة الصفراء بالروح نسقيها⁵

(2): عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق د/ عبد الحميد هندواوي . منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة و الجماعة . دار الكتب العلمية . بيروت - لبنان- ط 1 . 1422هـ - 2001 م ، ص 51 .
(*): ينظر في أطروحة الدكتوراه للأستاذ العيد جلولي . النص الشعري الموجه للأطفال .
(3): د/ مصطفى الغماري . حديقة الأشعار . ص 10 .
(1): د/ هادي نعمان الهيتي . ثقافة الأطفال . ص 119 .
(2): بولا حريقة - موسوعة الطفل و الأسرة - تربوية، اجتماعية، نفسية - نوبيليس ، بيروت - لبنان . ج 8 . سنة 2004 . ص 81 .
(3): د/ مصطفى الغماري . حديقة الأشعار . ص 12 .

فالسمرء هنا كناية عن الجزائر بحكم المساحة الشاسعة التي تحتلها الصحراء في بلادنا و التي تحوي رملا أصفرا , وألوان رايتها الزاهية بالأخضر و الأبيض و الأحمر الدالة علي الأصالة و النقاء و الإباء . و نستطيع القول بأن توظيف اللون هنا "... من شأنه أن يوضح المعنى و يقربه للطفل , كما يشكل حافزا للفت الانتباه و إثارة اهتمامه , و تحبيبه بالصورة المرسومة خلف الكلمات الشعرية من خلال ما تحمله في داخلها من عناصر تشويق و جاذبية , و ما تحققه من انسجام و توازن للأشكال في نفسه , و في إرضاء ميله نحو ألوان تهفو إليها العين و تهواها النفس" ¹

و نجد الغماري وظف ألوانا معينة للإشارة إلى دولة من الدول العربية , فالأبيض كناية عن الجزائر , و الأخضر كناية عن تونس , و الأحمر كناية عن المغرب , و هذا من شأنه أن يدعم البعد القيمي في القصيدة الرامية إلى غرس فكرة الوحدة :

لنا البيضاء و الخضراء لنا مراکش الحمراء

لنا الشهباء و الزوراء لنا القاهرة الزهراء

لنا قبلتنا السمرء لنا أوطاننا السمرء²

و في ديوان "الفرحة الخضراء" نجد الغماري وظف اللون الأخضر و جعله راية لساحته الشعرية و الفكرية , فبدءا بالعنوان الذي يعد عتبة الديوان إلى بعض القصائد المضمنة فيه , و يرجع هذا إلى أن اللون الأخضر قد اكتسب "...مكانة رفيعة في الثقافة العربية الإسلامية فكان له حضور قوي في القرآن الكريم (متكئين على رفرخ خضر و عبقرى حسان*) كناية عن النعمة , وهو لباس أهل الجنة وقد كثف هذا الحضور اهتمام الشعر العربي به و من ثم اتخذه رمزا حيا على مدى العصور .نتنزين به الرايات و الأعلام"³ , ففي قصيدة "باسم الجزائر" يوظف الشاعر اللون الأخضر كإيقونة للعقيدة الإسلامية التي ما إن يعتنقها صاحبها, حتى تشرح صدره لنور الإيمان , وتمتلئ ساحة نفسه بوهج نفحات الرحمن، وتصير لازمة من لوازم حياته لا يبتغي غيرها منها في حياته * :

(4): محمد قرانيا . قصائد الأطفال في سورية . ص 213.

(1): د/ مصطفى الغماري حديقة الأشعار . ص 13 .

(*) : سورة الرحمن . الآية 76 .

(2): محمد قرانيا . المرجع نفسه . ص 216.

(*) : وهذا ما تجلى كثيرا في هذه القصيدة.

ونحمل أعلامنا الخضر زهواً فيمتد أفق وتخضر بيد¹
و الملاحظ على الشطر الثاني للبيت استعمال الشاعر للفعل المضارع/ تخضر الذي
يظل تجسيدا يحقق الارتباط بين الماضي والحاضر والمستقبل، وبين الحياة و
الموت، حتى أنه أتى بكلمة بيد (وهي جمع كلمة بيداء) الدالة على القحط والجذب
والجفاء والموت وربطها بالفعل الدال على الحدوث والتغيير/ تخضر وهو رمز
للخصب والنماء والحياة، فكلما اخضرت البيداء زاد أمل الشاعر في الحياة، فمثل
هذه الصورة تتجلى القيمة التعبيرية للكناية في ثنائية دلالية، فنحن نتجه إلى الغرض و
الغاية من خلال نص صريح أي لسنا أمام حاجز هو الواقع، وليس مطلوباً في عملية
التلقي إهمال هذا الجانب فهو أساسي في التركيب الدلالي وفي تشكيل الصورة، وإنه
يغني الحالة الشعورية لدينا مثلما كانت عند الشاعر أو الكاتب في إحساس جعله يدور
هذه الدورة و يطل من عل أو من أحد الأطراف ليصل إلى الزاوية المؤثرة في كيان
التجربة².

لكن مثل هذه الصورة-و غيرها- لاتغني عقل الطفل لأن مستلزماتها تحوم حول حمى
الكبير الذي يجب أن تتوافر فيه بعض الأدوات كي يستكنه غوامضها و من الأمثلة
على ذلك أيضاً قوله في قصيدة "المجد للجزائر":

أهواك يا بهجه يا حبها العذري

يخضر كالموجه في مقلة الفجر³

ففاعل يخضر هنا يؤدي الدلالة نفسها التي أداها في قصيدة "باسم الجزائر"، وتبقى
الصورة مشحونة بانزياحات لا تتناسب عقل الكبير في بعض الأحيان فما بالك بالملتقي
الصغير. و من الصور التي نراها تقترب من عقل الطفل قوله في قصيدة "الطبيعة في
بلادي".

و الزهر في البستان مختلف الألوان

من أبيض و أحمر قان و لون أخضر⁴

(3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 07.

(4): د/ فايز الداية . جماليات الأسلوب . ص 71- 72.

(1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 16.

(2): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 19.

و كذلك قوله في قصيدة "محبّة الأوطان"

تميد في الرمال بكل تمر غال
و السهل في اخضرار مختلف الثمار¹

فصورة البستان و السهل لا يكتمل رونقها إلا إذا حويا خضرة و زهورا متعددة الألوان و مثل هذا " التماهي مع اللون ينتهي بابتكار صور جديدة هي أحد معالم الحقيقة الإنسانية في المتعة النفسية و الجمالية , وهي وسيلة الشاعر للوصول إلى أحاسيس الأطفال , و إطلاق شرارة الوعي و نوازع التفاعل و التجسيد في مواجهة المد الحضاري."²

و الشيء نفسه نجده في قوله من قصيدة "عشاق البيضاء":

و أن من حرر البيضاء عاشقها و أن من ينصر البيضاء أنصار³
فالبياض رمز للطهارة و النقاء و هذا ما ينطبق على بلادنا رغم محاولات التشويه و المسخ.

د/ الصورة الرمزية :

" تظهر في الشعر الموجه للأطفال على نوعين حسب طبيعة الرمز , فقد يكون الرمز مفردا أي عبارة عن لفظة دخلت العرف الاصطلاحي في ثقافة معينة لتتوب عن شيء أو تمثل شيئا آخر , أو أن يكون مركبا أي في إطار حكاية دالة , أو أن يكون تمثيلا لموقف معين و في هذه الحالة قد تكون الصورة مستقاة من مصدر تاريخي أو أسطوري أو ديني"⁴

الصورة الرمزية المفردة :

" الرمز الأدبي أداة لغوية تحمل وظائف جمالية عندما تسهم في تشكيل تجربة للشاعر على نحو مؤتلف مع مكونات النص الفني وتتوزع هذه الأداة على ضروب من الأشكال اللغوية، فهناك الألفاظ المفردة التي تعد مركزا في الرمزية (أي في مكان، الحادثة، أو

(3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 37.

(4): محمد قرانيا . قصائد الأطفال في سورية . ص 214.

(5): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 18.

(1): العيد جلولي . المرجع نفسه . ص 282 . نقلا عن عبد السلام المسناوي . البنيات الدالة، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق - سورية . 1994 . ص 109.

العلاقات الرابطة) من مثل: عنتر، سندباد، حطين، الخورنق و السدير، مجنون ليلى، لوركا، الرصيف، الدخان (التبغ) حتى تلتقي معه إichاءات الرمز المختصر كل هذا الاختصار"¹

وديوان "الفرحة الخضراء" يزخر بمثل هذا النوع من الصورة الرمزية المفردة، لأن جل قصائده تتحو منحى الوطنية الثورية إذ أنها الدوحة التي يمكن للرمز أن يستظل بظلها من ذلك قوله في قصيدة "نثور نثور".

نثور نثور على من غدر بسيف "علي" وعزم "عمر"
ونعرف أن الطليق طليق وإن حج مروانهم واعتمر²

"علي، وعمر" كلاهما من الصحابة الكرام، وكل واحد منهما له سيرة عطرة، وإسهام في التاريخ الإسلامي الطويل، وما عرف عنهما أيضا هو الحزم و الاحتكام إلى الحق و العدل، وهما رمز للخلافة على منهاج النبوة، وارتضاء الأصلح للحكم، أما رمز "مروان" الذي هو سليل "الطلقاء"، فهو إشارة إلى تغيير الحكم من نمط التداول عليه بالبيعة و الشورى إلى الحكم الوراثي العضوض القاهر لمخالفه، وكأني بالشاعر هنا يرمز إلى الجزائر بعد الاستقلال وما حدث فيها، فمثل هذه الرموز يوظفها الشاعر لتكثيف الرؤية التي يريد أن يوصلها إلى الملتقي /الطفل , لكن تبقى بعيدة عن ذهنه و إدراكه . خصوصا ونحن نعيش زمن الاستلاب .

و يستعمل المقاربة الرمزية نفسها مع تغيير لبعض الرموز في قصيدة "بلادي" حيث يقول :

سليلة "عقبة" أنت و إن تآمر من بالصغار يدين
سليلة "طارق" لا "ماسينيسا" و بنت الفتوحات و الفاتحين
إذا غربوا كنت مشرق عز وإن ركبوا الظن كنت اليقين
و إن حاربوا كنت سيف "علي" يذيق "أمية" مر المنون
بنوفمبر المجد كنت المنار و كنت الجهاد على الظالمين³

(2): د/ فايز الداية . جماليات الأسلوب . ص 175.

(3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 08 .

(1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 48 – 49 .

توظيف الشاعر لهذه الرموز جاء بطريق المقابلة التي يرمي من ورائها إلى جعل ذهن المتلقي / الطفل يتعلق بهذه الأرض وفق النظرة القيمية المتمثلة بشقيها (الدين و الوطن).

سليلة "عقبة" أنت وإن ≠ تأمر من بالصغار يدين

سليلة "طارق" ≠ لاماسنيسا

إذا غربوا ≠ مشرق عز

و إن ركبوا الظن ≠ اليقين

وإن حاربوا كنت سيف "علي" ≠ يذيق أمية مر المنون

بنوفمبر المنار ≠ الجهاد على الظالمين (الظلم ظلمات يوم القيامة).

مثل هذا التوظيف العالي للرمز التاريخي في الشعر يُعد من مظاهر الكتابة الشعرية المعاصرة إذ تحوي " ... معطيات التاريخ ودلالات التراث التي تتيح نماذج وتخلق تداخلا بين الحركة الزمانية حيث ينسكب الماضي بكل إثاراته وتوافراته وأحداثه على الحاضر بكل ماله من طزاجة اللحظة الحاضرة، فيما يشب تواكبا تاريخيا يومئ الحاضر إلى الماضي، وكان هذا الاستلهام كذلك يمثل صورة احتجاجية على اللحظة الحاضرة التي تعادلها في الموقف اللحظة الحائرة في سراديب الماضي، كما يتيح هذا الاستلهام للشاعر و للمتلقي الاتكاء على ما تفجره الشخصية التراثية أو الموقف التاريخي من مشاعر ودلالات تحفظ القصيدة نفسها من التسرب في سردية باهتة، أو خطابية زاعقة، ويكون هذا الاتكاء أيضا كصمت الكظيم فقدانه العزاء وإحساسه بعدمية مخاطبة معاصرة فكأنه يحاور الشخصية التراثية كنوع من الاغتراب وشعور بالاستلاب مما يعطي مذاقا فنيا مكثفا لأدائه الفني " ¹.

ويقول في قصيدة: "جزائر يا أمنا".

وكان الدم الفاتحينا

إذا نسبوك انتميت

وكنت الجواد المبيننا

وإن سابقوك سبقت

بطارق في الخالديننا

وإن فاخروك افتخرت

كانت شريعة أحمد دينا

وإن قيل ما الدين

(1): د/ رجاء عيد . لغة الشعر. قراءة في الشعر العربي المعاصر . منشأة دار المعارف بالاسكندرية. مصر 2003. ص 301.

وأعلم أن طريقي يضيق على المجرمينا
 فيهونون "لاتا" و "عزى" ويهونون كفرا ميينا
 وكانوا بمطرقة يعيدون ما يصنعوننا
 بمنجل أحلامهم لقد صدئ المنجلوننا¹

القصيدة تطفح بالرموز من مثل : الفاتحين الدال على الأصالة الدينية لهذه الأرض،
 يضاف إليها رمز الجواد، وطارق، وكذلك رمز "لات" و "العزى" الدالين على حكم
 الجاهلية المخالف لحكم الله :

من يعبدون "اللات" لا نسب يضيء ولا ظفر
 من يبعثون الجاهلية من غيابات الحفر
 من صوت "عقبة" في الجبال تثور أفراس عراب²

أما رمزا "مطرقة" و"منجل" فهما دلالة على الشيوعية الحمراء، التي لم يرض لها
 الشاعر يوما أن تكون على أرض عقبة، لكن أمر الله كان مفعولا ليهلك من هلك عن
 بينة ويحيا من حيي عن بينة.

ويبقى نفس الشاعر في مقارعة المخالفين طافحا بلهيب الثورة، لا يتوانى لحظة عن
 كشف مكائدهم ودحض شبهاتهم التي ألصقوها بأرض الفاتحين الأحرار.

وشفاه الثورة أحرار أحرار نحن.. وثور
 أحرار يا جبل النار يا سيف الثورة والثار
 كم جاب القهر تحداه فحملنا رايات الغار
 يا جرح شهيد مازالا في الدرب ربيعا وظلالا
 لولاه لما كنا رفضا يسمو.. ونضالا يتعالى³

تبرز الصورة بجلاء أكبر في الرموز التالية أحرار - جبل النار - رايات الغار - جرح
 شهيد - رفض، التي توحى بألسنة نار الحرب التي أتت على كل شيء يخالف نهج
 الشهداء في الحاضر والذي رسمه الفاتحون من قبلهم.

(2): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 10- 11 - 12 .

(3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 46 .

(1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة . الخضراء. ص 26-27

ومن الرموز الأكثر تداولاً بين الشعراء الجزائريين - خصوصاً الذين كتبوا في الثورات - صورة الأوراس إذ كلما ذكر الأوراس تبادر إلى الذهن معنى البطولة والتضحية والفداء، ومن هنا نجد الشعراء دائماً يقرنون الأوراس بالبطولة والأبطال وبالجهاد والنضال وهذا شيء طبيعي فقيمة الأوراس تكمن في معاني البطولة وروعة القتال من أجل المبدأ أو تحرير الأرض والإنسان¹ وهذا ما جسده الغماري في قصيدة "عشاق البيضاء":

لهذه الأرض تاريخ وأحرار
تلك المقابر بعض من مفاخرنا
الله أكبر تعلق في معاركهم
أوراس يشهد كل الأرض شاهداً
ثاروا ولولا كتاب الله ما ثاروا
فيها لمن صنعوا التاريخ آثار
فيهزم الجمع والرشاش هدار
أن الهوى غير حب الله إنكار²

● الصورة الرمزية التمثيلية:

وتتجلى في التعبير عن موقف معين، أو مشهد بعناصر رمزية مشابهة، فتتمد علاقة التوازي بين الموقف المعبر عنه، والصورة الرمزية المعبر عنها، وعادة ما تكون هذه الصورة عبارة عن حكاية ذات أصول تراثية، ومن ثم تصبح الأسماء الواردة في الصورة رموزاً استعارية تعوض المدلولات المرجعية...³ وهذه الحكاية... تقوم على إحياء عالم معين مؤلف من عدة عناصر متداخلة ومتكاملة، ولهذا العالم جانبان، جانب مباشر وحرفي، وجانب آخر هو جانب الدلالة الأخلاقية أو النفسية أو الدينية، وتتجلى الصورة الرمزية التمثيلية في قالب الحكاية الرمزية...⁴

وهذا ما تجسد في ديوان "أناشيد" الذي حوى أربع حكايات شعرية * تضاف إليها "حكاية الأسد المضمنة في ديوان "الفرحة الخضراء"، ومن الحكايات الرمزية، حكاية "حمامة الحرية".

حمامة في أيكها لطيفه جميلة في شكلها ظريفه

(2): بيد الله ركيبي، الأواس في الشعر العربي ودراسات أخرى. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر. 1982. ص 15.

(3): عبد الله ركيبي، الأواس في الشعر العربي ودراسات أخرى ص 17-18

(1): محمد قرانيا. المرجع السابق ص 195. نقلاً عن عبد السلام المساوي. البنيات الدالة. ص 128

(2): العيد جلولي. النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر. ص 286

● كنا قد تناولناها بالتحليل في الجانب الموضوعاتي

بريشها تنتيه في الغصون
توقظنا في الفجر بالهديل
فنجمع الحب لها هديه
تظل بين وارف الظلال
تطير في السماء أو تسير
كأنها في أيكها مايكه
تغبطها الطيور من كل وطن
ترقص الحمامة الرشيقه
ظل وماء بارد وجاري
والحب من قمح ومن شعير
وذات يوم سبقت أطوارها
تحلم بالحرية المسروقه
ليس بها ماء..ولا أمان
واستسلمت في الغابة المهجوره
لا شيء غير اليوم والخراب
حرية لكنها مشؤومه
تستوطن المقابر المخيفه
أين الظلال السمر؟ أين الثمر؟
تبيع كل ذاك بالحرية
واصطدمت بصخرة ثقيله
وجاء ذئب باز الأنياب
يبحث عن فريسة شهيه
وشاهد الحمامة المذعوره
وأصبحت ثقيلة الأنفاس
تقول في نواحها الحزين
تلك التي يدعونها حريه

ولحنها المحبب الموزون
يا حسنه من نغم جميل
من قشة وحنطة شهيه
مزهوة بالحسن والدلال
سيان كل أمرها يسير
وعشها يا حسنه أريكه
بالمنظر البديع والعيش الحسن
بحسنا مفاتن الحديقته
ونسمة من طيب الأزهار
تشتاقه حواصل الطيور
فهاجرت وخلفت أوكارها
فأصبحت في غابة محروقه
الإجنوع لفها دخان
لنزوات طيشها المغروره
وشلة الضباع والذئاب
حمامة تصير مثل البومه
وزادها على الزمان الجيفه
أين المياه الكثر؟ أين الشجر؟
حرية تعيسة شقيقه
فسقطت مهبطه ذليله
وغائر العينين والأهداب
يزردها برغبة عتية
فانقضت الغرائز المسعوره
أسيرة الأنياب والأضراس
جريمة، مقطوعة الوتين
غريزة مجنونة غبيه

لو عرفت قيمتها المنحوسه ما فارقت أيكته المحروسه¹
فالجانب الحرفي المباشر في القصة يروي حكاية حمامة كانت تنعم بالخيرات، لا يكر
صفوها شيء، يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، غير أنها لم تشكر نعم الله عليها
وترضى بما قسمه الله لها، إذ أرادت أن تكسر قيد عيشها النمطي، فطارت إلى غابة
مهجورة يسكنها البوم والذئب الجائعة ف وقعت ضحية الحرية المزعومة - فريسة بين
أنياب ذئب جائع. أما الجانب الدلالي . وهو الأهم. - فإن رمز الحمامة هو دليل كل فتاة
تريد التخلي عن مبادئها وأصولها، وما ينجر عنه بعد ذلك من مفاسد أخلاقية
 واجتماعية تأتي على أخضر القيم ويانعها.
برغم ذلك يبقى مستوى هذا التوظيف عاليا يصعب على الطفل فهم مضامينه ودلالاته
الخفية، ما ينحو بمستوى الخطاب إلى عقول الراشدين، بل إن الشكل الفني للحكاية لا
يحبه البعض إذ يذهب "بيان صفدي" إلى القول: "أعتقد أن الشاعر لو ترك الوزن جانبا
وكتب الحكاية نثرا لكان أجدى للقارئ لأن مبرر الكتابة الشعرية أن تبتعد عن تقريرية
النثر من جانب، وتستفيد من إمكانية الإيقاع من جانب آخر²
والأجمل والأفضل أن تترجم هذه القصائد إلى أعمال كرتونية يستخدم فيها سحر
الصورة واللون عل ذلك يكون أنفع للطفل من الناحية التربوية وأيضا الجمالية، في
زمن سلبتنا فيه الصورة نحن الراشدين فما بالك باليافعين.

(1): د/مصطفى الغماري، ديوان أناشيد. ص 24-30
(2): محمد قرانيا، المرجع السابق، ص 256.

الموسيقى الخارجية:

ينشأ الطفل مزودا بعدة ملكات، تتطور تزامنيا مع الخبرات التي يمر بها عبر مراحل النمو الطبيعي والإيقاع من الملكات التي يخرج فيها الطفل إلى الحياة وهو مفطور عليها، فيستمع إلى نبض قلب الأم ، وحركتي الشهيق والزفير، وغيرها من إيقاعات الجسم، وهو جنين في ظلمة البطن ، لم تكتحل بعد عيناه بنور الدنيا، وبعد أن يعلن وجوده فيها "...يستمتع إلى هدهدات أمه في المهد منذ أيامه الأولى، وهي تثير لديه انفعالات عميقة مطمئنة، حتى يمكن أن نجزم أن لغة الاتصال الشعرية تسبق الاتصال اللغوي بمراحل، فالغناء هو أول صور الفن التي يواجهها الوليد بين ذراعي أمه، ولا يكون تأثيره في نفس الوليد نابعا من استيعابه لمعانيه، لأن الطفل لم يكن قد امتلك اللغة

بعد، ولا استوعب دلالات الألفاظ، إن انفعاله يقع بتأثير الإيقاع واللحن وصوت أمه الذي يثير في نفسه السكينة والاطمئنان، إن تأثير الغناء في نفس الوليد يشبه إلى حد بعيد تأثير الفن في نفوس الشعوب البدائية¹

والإيقاع الموسيقي له تأثير إيجابي على الطفل إذ يثير الخيال وينبه الحواس، وقد أثبت هذا الأطباء العرب القدامى حيث قالوا: "إن الصوت الحسن يجري في الجسم مجرى الدم في العروق فيصفو له الدم، وتنمو له النفس، ويرتاح له القلب، وتهتز له الجوارح، وتخف له الحركات ولهذا كرهوا للطفل أن ينام على أثر البكاء حتى يرقص ويضطرب"² وتأثير الشعر في النفوس يترك الانطباع الجميل الذي "...يمكن أن نسميه (حلم الشاعر) ونحن نعلم أن الشغل الشاغل للشاعر هو الإفصاح عن هذا الحلم، وإيصاله إلى الآخرين، وإذا كان الإفصاح مدينا لأي عنصر بشيء، فهذا الدين مرده إلى الإيقاع الذي يولد ما يسمى (السحر الشعري) الذي تستنهض به أحاسيس النفس"³

ولهذا أدرك المهتمون بأدب الطفل، القيمة الفنية التي تطبع بها الموسيقى الشعر، وتعطيه الجاذبية التي تأخذ بنهى الأطفال ونفسيا تهم، وهذه الجاذبية يلمسها الملتقي/الطفل من خلال الوزن والقافية.

سنحاول في هذا الجانب-باذن الله-إبراز هذين العنصرين وتجلياتهما في الكتابات الشعرية للغماري الموجهة للأطفال، ومدى توافقها مع النظرة الفنية التي وضعها الدارسون لذلك.

أ/ الوزن:

الملاحظ على الدواوين الثلاثة التي ألفها الغماري للأطفال غلبة النمط العروضي الخليلي التقليدي، إذ كتب نصف القصائد بالبحر التامة، ونصفها الآخر بالبحر المجزوءة، وهذا راجع إلى أن الأطفال "...يقبلون على الشعر المنغم الذي صيغ على بحور الخليل القصيرة بتفعيلاتها السريعة، نظرا لما توفره لهم من متعة نفسية، وتحققه من راحة ضرورية، حين تسمح للطفل أن يستظهر القصيدة، ويتوقف في الإلقاء عند نهاية كل شطر، ليلتقط أنفاسه، ثم تسمح له بأن يستريح مع القافية عند كل بيت. وهذا قد

(1): فالج فلوح، عندما يغنى الصغار، مجلة الموقف الأدبي ع 95. آذار مارس 1979. دمشق-سورية. ص 52

(2): أحمد زلط، أدب الطفل العربي- دراسة معاصرة في التأصيل والتحليل- دار هبة، النيل للنشر، القاهرة 1998. ص 137

(3): محمد قرانيا، قصائد الأطفال في سوية-دراسة تطبيقية- منشورات اتحاد الكتاب العرب-دمشق-سورية. 2003. ص 237

لا يحققه له الشعر الحديث، الذي يخفت فيه الإيقاع، لأنه يعتمد على التناسق، والتتابع النغمي، لتظل فيه التفعيلة، المحور الأساس.¹

وعند الرجوع إلى الدواوين فإننا نلفي البحر المتقارب قد احتل مكان الصدارة في ديوان "الفرحة الخضراء" بست قصائد أغنية الشهداء، باسم الجزائر، نثور.. نثور، جزائر يا أمنا، حديث المسجد، بلادي)، يأتي بعده مجزوء الكامل بثلاث قصائد (هات البشائر، الأمير المجاهد، يا خير اللغات)، يليه مجزوء الرجز و بحر المتدارك بقصيدتين لكل منهما (الطبيعة في بلادي، محبة الأوطان، مرحبا بالربيع، يا أم الثورة) ثم منهوك المنسرح و بحر البسيط و الرمل بقصيدة لكل منهما (المجد للجزائر، عشاق البيضاء، زيتونة تتكلم).

أما ديوانه الثاني "حديقة الأشعار"، نجده استعمل فيه مجزوء الرجز في ثلاث قصائد (النبى المعلم، الطبيعة في بلادي، أنشودة الوحدة) و بحر المتقارب و بحر المجتث في قصيدتين لكل واحد منهما (إلهي، أذان الفجر، بائع الأزهار، أنشودة الفلاح) ثم الهزج في قصيدة واحدة (أنشودة الوحدة)

أما ديوان أناشيد فإنك تجد الشاعر ألف قصائدها على بحر الرجز المناسب لغرض القصة الشعرية* (القبرة، القرد الفيلسوف، الشاة والراعي، الحمامة والحرية) و"الموسيقى... ليست هذه التي تكون في الألفاظ والكلمات فحسب، وإنما هي التي تكون في البحر المختار و الروي المناسب، والشاعر المبدع حقا هو الذي يحس بفطرته الفنية، جريان الموسيقى في أبياته حين يختار اللفظ، والكلمة، والوزن و الروي المنسجم مع موضوعه"²

وما يلاحظ على أشعار الغماري-الموجهة للطفل- هو توظيف البحور التامة للموضوعات التي تحمل قيما دينية أو وطنية من مثل قوله في قصيدة "أذان الفجر" - يحث فيها الطفل على أداء الصلاة- :

أخي قم إلى الفجر لب نداه
فإن الأذان نداء الإله

(1): محمد قرانيا، قصائد الأطفال في سوية، ص 238
(1): محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، 1925-1975، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985، ص 192-193

توضاً فليس يفيد رقاد وصل فما عمل كالصلاه
وصل صلاة الجماعة واخشع إلى ذي الجلال بذل الجبـاه¹
نظم الشاعر هذه القصيدة على بحر المتقارب الذي " يتكون ... من ثمانية أجزاء، كلها
أصول خماسية وهي:

فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن²
وهو من البحور الصافية الدالة على نفاء ما يدعو إليه، والحقيقة أن الصلاة وسيلة من
وسائل تزكية النفس وتنقيتها من الشوائب والأدران، وهو بحر كثير الحركات المساعدة
على شحذ الإيمان وتحريك قواعده.
ومن القصائد الوطنية- التي أخذت حصة الأسد من النظم- المنظومة على الأبحر التامة
قصيدة بلادي التي يقول فيها:

بلادي بلادي بمن تفخرين؟ ومن في مجال الهوى تعشقين؟
بمن يزدهي الفجر عند المعالي ويفتخر الجيل في الأولين
بنوفمبر المجد كنت المنار وكنت الجهاد على الظالمين
نحبيك في كل عيد جديد ونفديك يا أمنا بالجبين³

ونجده يروي بنبرة الشيخ الوقور-حكاية المسجد- إذ يقول:

أنا مصنع الفكر مهد الأدب وأسرار من يصنعون العجب
بمنبري الحر كم من خطيب أنار الظلام وجلى الكرب
إذا لاذ بي لاجيء مستجير أذود وأمنع عنه العطب
وإن طالني حاكم مستبد يذل... وتهتك عنه الحجب
بناني الرسول... وكم من بناء بناه الطغاة لنيل الرتب
وها صرت للسائحين ارتيادا فأغضب لو كان يجدي الغضب⁴

نفهم من خلال هذه الأمثلة وغيرها، أن الشاعر عندما طرق باب هذه الموضوعات
- وهو المفلق الخنذيذ- أدرك يقينا أن مثل هذا النوع من البوح- بوح الدين والوطن-

(2): موسى أحمددي نويوات، المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي، الجزائر، 1969، ص 293

(3): د/مصطفى الغماري، حديقة الأشعار، ص 06

(1): د/مصطفى الغماري، الفرحة الخضراء، ص 48-49-50 (القصيدة نظمت على بحر المتقارب)

(2): د/مصطفى الغماري، الفرحة الخضراء، ص 39-40-41

• أضم صوتي إلى رأي د/ ايمان البقاعي

يحتاج إلى طول النفس والباع الطويل في جمع شتات الكلمات المناسبة للغرض، ولا يتأتى هذا كله إلا عندما يرميها تباعا في بحر من بحور الشعر الصافية المواتية لها (كيف لا وكلمتا الدين والوطن، يبذل الإنسان من أجلها دماء الأفتدة والمهج).
فبقدر ما تؤيد الشاعر فيما نظم به قصائد هذه الموضوعات، فإننا نعاتبه العتاب اللطيف القائل: * "يميل الطفل إلى الأوزان القصيرة لذا يفضل ألا يكتب شعراء الأطفال قصائدهم الموجهة للأطفال على البحور الطويلة (الطويل، البسيط، الكامل)، بل أن يكتبوها على الأوزان القصيرة والمجزوءة والمشطورة، لأن إيقاعها سريع، ويتفق مع حاجة الطفل إلى المرح واللهو والحركة"¹

وهذا ما فعله الغماري في بعض القصائد المتعلقة بالحياة الاجتماعية ووصف الطبيعة، ففي قصيدة "أنشودة الفلاح" التي نظمها على بحر المجتث، وهو من البحور الممزوجة - وهو مجزوء دائما -²، نجد وزنها يحاكي العنوان الدال على التغمي والانتشاء والتطرب، وكأننا نرى الشاعر يتداخل في زمن العباسيين الذي حتمت فيه ضرورة اللهو والطرب الشعراء على أن ينظموا بنات أفكارهم بما يخدم هذا الغرض، غير أن شاعرنا ينتشي عندما يرى المحراث يشق الأرض الجرز بثبات وحزم، ويسمع لأهازيج الفلاحين يوم الحصاد

أعز يوم إلي يوم نتيه زروعي
بكل نبت زكي وكل زهر بديع
في الحقل أسعد لما أرى جهودي تكبر
أرى السنابل تنمو أرى الفواكه تثمر

إذا كانت مباحج الطبيعة وروائعها، تحركنا وتبعث فينا - الكبار الحياة - بكل ما تحمله من أسمى المعاني - بالأخص في فصل البيع... فكيف يكون الحال بالقياس إلى الأطفال الذين ينتظرون بشغف كبير مقدم هذا الفصل ليستكشفوا فيه الحياة على حقيقتها، حياة الشباب والمرح والنشاط وليستيقنوا أن الأرض نفسها تتجدد في مثل هذا الفصل وترتدي حلا سندسية تستقبل الربيع"³

(3): د/إيمان البقاعي، المتقن في أدب الطفل والشباب، ص 222

(4): موسى أحمد نويوات، المتوسط الكافي، ص 287

(1): د/مصطفى الغماري، حديقة الأشعار، ص 05

وقد نظم الغماري في هذا ثلاث قصائد، ضمنها ما تكتنزه طبيعة الجزائر من روائع، واعتمد في ذلك على البحور المجزوءة لتسهيل التلغني والإنشاد، كما استعان على بعض الزحافات والعلل الشيء الذي يزيد الإنشادية أكثر للقصيدة، ويعمل عمل السحر في عقل المتلقي/الطفل ويزيده ارتباطا بمظاهر الطبيعة والمحافظة عليها.

مرحبا بالربيع	مرحبا مرحبا
00//0//0//0/	0//0//0//0/
فاعلن/فاعلان	فاعلن/فاعلن
في النفوس الربيع	إيه ما أعذبا
00//0//0//0/	0//0//0//0/
فاعلن/فاعلان	فاعلن/فاعلن
أنت فصل الشباب	إيه ياموسم
00//0//0//0/	0//0//0//0/
فاعلن/فاعلان	فاعلن/فاعلن
في المروج العذاب	يزدهي المبسم
00//0//0//0/	0//0//0//0/
فاعلن/فاعلان	فاعلن/فاعلن
مقلتي الضياء	في دمي أنت في
00//0//0//0/	0//0//0//0/
فاعلن/فاعلان	فاعلن/فاعلن
يا طيور الوفاء	فاهتفي واعزفي
فاعلن/فاعلان	فاعلن/فاعلن
وردة من يديه	واقطفوا يا رفاق
فاعلن/فاعلان	فاعلن/فاعلان
من سنا وجنتيه ¹	واصنعوا نجمة

(1):د/مصطفى الغماري، الفرحة الخضراء، ص 22

فاعلن/فاعلن * فاعلن/فاعلان*

وهناك قصائد وطنية - حوت نبرة الخطاب الثورية- نظمها الشاعر على مجزوءات بعض البحور للتوكيد أكثر على أن الأوزان القصيرة هي الأصلح لأن تكون القالب الذي يجب أن يلتزم بها شاعر الأطفال، ليسهل عليه غرس القيم في نفس المتلقي/الطفل من جهة، ويبسر عملية الإنشاد والتغني من جهة أخرى" والشعر عندما يغنى من شأنه أن يحقق فوائد متعددة، نفسية وتربوية، مثل بروز روح التنظيم في المدرسة لاعتماده على التردد الجمعي في حصص النشيد والموسيقا والمحفوظات، كما يعود الأطفال بفوائد صحية، حيث يقوي الحناجر، ويروض مجاري الأصوات، وينظم التنفس، ويدرب الأذان على التقاط النغمات، كما يعود على أدب الإصغاء، وينمي الذوق والإحساس بالجمال، وترقيق الشعور وتهذيب الأحاسيس، والتحبيب بالفضائل، والنظر إلى الحياة نظرة واعية متفائلة"¹

إن تسألوا التاريخ إن دم الشهيد لكم جواب

00//0///0//0///0//0/0//0//0/0/

متفاعلن / متفاعلن / متفاعلن / متفاعلان

من صوت عقبة في الجبال تثور أفراس عراب

00//0/0//0//0///0//0/0//0//0/0/

متفاعلن / متفاعلن / متفاعلن / مستفعلان

لا القهر يطويها إذا تعنو لقاهاها الرقاب

00//0/// 0/0/ 0//0/0//0//0/0/

متفاعلن / متفاعلن متفاعلن / متفاعلان

كنا الجواب لأن في أعماقنا فصل الخطاب

(*) نظم الشاعر هذه القصيدة على مجزوء المتدارك ذي التفعيلات الصافية، واستعان في الشطر الثاني من كل بيت في القصيدة بعلّة من علل الزيادة وهي "التذليل، فاعلان"، وهذا تماشياً مع صبغة الإنشاد التي يرفع بها الطفل عقيرته عند التغني بالقصيدة، مع التنوع الملاحظ في قافية القصيدة.

(2): محمد قرانيا، المرجع السابق، ص 239

(*) اضطر الشاعر إلى توظيف بعض الزحافات والعلل، مثل زحاف الإضمار، وهو إسكان المتحرك الثاني (متفاعلن)، وهناك علة من علل الزيادة استعان بها الشاعر في قافية الأبيات وهي التذليل متفاعلان)، كما اجتمعت علة وزحاف (تذليل وإضمار) في تفعيلة مستفعلان

00//0/0//0//0/0/ 0//0//0// 0/0/

متفاعلن / متفاعلن متفاعلن / مستفاعلن *

ب/القافية:

"القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر... واختلف الناس في القافية ما هي؟ فقال الخليل: القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن، والقافية- على هذا المذهب، وهو الصحيح- تكون مرة بعض كلمة، ومرة كلمة، ومرة كلمتين"¹

ويعرفها الدكتور إبراهيم أنيس- بصورة أدق- في كتابه "موسيقى الشعر" بأنها "...عدة أصوات تتكرر في أواخر الأَشطر أو الأبيات من القصيدة، وتكرارها يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية، يتوقع السامع تردها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن"²

وللقافية دور مهم في التشكيل الموسيقي للقصيدة العربية، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالنمط العروضي القديم، حيث نظر إليها القدماء نظرة تقديس، لما لها من فاعلية نفسية وصوتية وإيقاعية على ذوق الإنسان وتحسسه لمواطن الجمال، هذا فيما يخص شعر الكبار، فما بالك بالأطفال المفطورين على الإيقاع، الذي هو جزء مهم من حياتهم، وأحسن شيء يحقق لهم تلك المتعة هو الشعر و"في الشعر موسيقى... وفيه تنعيم وإيقاع... والأطفال يميلون إلى التنعيم والإيقاع والكلام الموسيقي المقفى منذ نعومة أظفارهم، وكلنا نذكر أغاني الأطفال التي يتوارثونها من الفولكلور جيلا بعد جيل، في ألعابهم ومرحهم، والتي كثيرا ما تبدو بلا معنى، ولكن بإيقاع موسيقي وتنعيم مقفى..."³ وتبقى القافية حجر الأساس في بنية القصيدة الطفلية، وهي المهيمنة على فكر الشاعر، كما تهيمن على مشاعر الطفل الذي يطلبها في القصيدة.

(1): د/إبن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج1-ط3، دار: م،

السعادة، مصر، 1963، باب الفواقي، ص 151

(2): إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1981، ص 246

(1): أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، ص 107.

إلا أن آراء النقاد والمهتمين بشأن القصيدة الطفلية ينقسمون إلى فريقين، فريق يقول بضرورة أن يلتزم الشاعر عند نظمه للقصيدة بالقافية البسيطة الموحدة، والفريق الثاني يدعو إلى نمط القافية المركبة المتنوعة، وحجته في ذلك "أن القافية الموحدة في القصيدة العربية التي تتطلب تراكما هائلا من المفردات المعينة الموزونة بميزان الذهب، قد توقع الشاعر في كثير من المطولات، في متاهة الاحتيال اللغوي أو التقعر بحثا عن ألفاظ القافية التي ترغمها على الإيفاء بحق التقفية الرتوب، المرهق.. وهذا لا يحتمله شعر الأطفال، ولا يستلزمه، ولا يوقع الشاعر في متاهة البحث والتنقيب المعجمي عن المفردات المطلوبة - كحجر الشطرنج- بسبب قصر قصائد الأطفال واقتصارها في كثير من النماذج على المقطوعات، إضافة إلى قلة عدد القصائد في ديوان الأطفال"¹ والناظر في دواوين الغماري يجد بأن نظام القافية البسيطة الموحدة قد طغى على الساحة الشعرية للدواوين ب 18 قصيدة، فيما كتب 12 قصيدة بنظام القافية المتنوعة. ومن القصائد التي نظمها والتزم فيها بقافية موحدة مقيدة * قصيدة "إلهي" يقول فيها:

خلقت لنا كل شيء جميل	نسيم عليل وظل ظليل
0/0//0/0//0/0//0//	00//0/0//0//0//0/0//
فعول /فعولن /فعولن/فعولن	فعولن / فعولن / فعولن/ فعول
وماء يفور بعذب الشراب	وطير يغني بلحن أصيل
0/0//0/0//0//0//0//	00//0/0//0//0//0/0//
فعولن /فعول /فعولن/فعولن	فعولن /فعولن /فعولن/فعول
وشمس تضيء لنا كل درب	وتهدى الأنام سواء السبيل
0/0//0/0//0//0//0//	00//0/0//0//0//0/0//
فعولن /فعول /فعولن/فعولن	فعولن /فعول /فعولن/فعول
وبدر ينير يشق الظلام	حبيب إلى كل قلب خليل
0/0//0/0//0//0//0//	00//0/0//0//0//0/0//
فعولن /فعول /فعولن/فعولن	فعولن /فعولن /فعولن/فعول

(2): محمد قرانيا، قصائد الأطفال في سوية، ص 309-310
 • القافية المقيدة "هي الساكنة الروي"، موسى أحمد نويوات، المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي، ص 376

ويقول في قصيدة "عشاق البيضاء" التي كتبها بنمط القافية الموحدة-المطلقة-*

لهذه الأرض تاريخ وأحرار

0/0/0//0/0/0//0/0//0//

متفعّلن / فاعلن / مستفعلن / فعلن

ثاروا ولولا كتاب الله ما ثاروا

0/0/0//0/0/0//0/0//0/0/

مستفعلن / فاعلن / مستفعلن / فعلن

تلك المقابر بعض من مفاخرنا

0///0//0/0/0///0//0/0/

مستفعلن / فعلن / مستفعلن / فعلن

فيها لمن صنعوا التاريخ آثار

0/0/0//0/0/0///0//0/0/

مستفعلن / فعلن / مستفعلن / فعلن

الله أكبر في أعماقهم أمل

0///0//0/0/0///0//0/0/

مستفعلن / فعلن / مستفعلن / فعلن

زاه وفي أذن الكفار إعصار¹

0/0/0//0/0/0///0//0/0/

مستفعلن / فعلن / مستفعلن / فعلن

وهناك من القصائد التي نظمها الشاعر على الأبحر المجزوءة تحوي قافية موحدة في مثل قصيدة "الأمير المجاهد":

م وذبح الطير الغريد قتل الفرنسي السلا

00//0/0/0//0/// 0//0/0/0//0///

متفاعلن / متفاعلن متفاعلن / متفاعلن

(1): د/مصطفى الغماري، حديقة الأشعار، ص 03
(*): القافية المطلقة وهي المتحركة الروي، "موسى أحمد نويوات، المرجع نفسه، ص نفسها

لم يرحموا شيخا ولا	رحموا فتاة أو وليد
0//0/0/0//0/0/	00//0/0/0//0///
متفاعلن / متفاعلن	متفاعلن / مستفاعلن
وقضى الأمير مجاهدا	بين التآمر والوجود
0//0///0//0///	00//0///0//0/0/
متفاعلن / متفاعلن	متفاعلن / متفاعلن
لك يا جزائر روحه	وله بثورتك الخلود
0//0///0//0///	00//0///0//0///
متفاعلن / متفاعلن	متفاعلن / متفاعلن

وفي قصيدة "جزائر يا أمنا" ذات القافية المطلقة المردوفة الموصولة باللين التي يقول فيها:

جزائر يا أمنا	ويا فجرنا المستبيننا
0//0/0///0//	0/0//0/0//0/0//
فعول /فعولن /فعل	فعولن / فعولن / فعولن
بعيدك نبدع شعرا	ونغزله ياسميننا
0/0///0///0//	0/0//0/0///0//
فعول /فعول /فعولن	فعول /فعولن /فعولن
ونحمله في المعالي	كوجهك حقا يقينا ¹
0/0//0/0///0//	0/0//0/0///0//
فعول /فعولن /فعولن	فعول /فعولن /فعولن

"القوافي التي فيها مد قبل الروي وبعده، هذا المد يعطي للمنشد فرصة لاستغلال

موهبتة الصوتية في الإنشاد استغلالا ينشر في الجو ضجة وجلبة شديدين"²

ومن القصائد التي كتبها "الغماري" بنمط القافية المنوعة - القصص الشعرية - في ديوان "أناشيد" حيث اعتمد فيها على التقفية الحرة المتقاطعة وهي أسلوب جديد "... يقوم على

(1): د/مصطفى الغماري، الفرحة الخضراء، ص 52

(2): د/مصطفى الغماري، الفرحة الخضراء، ص 10

أساس تحقيق نظام هندسي معين في توزيع القوافي... ولا تنتزع توزعا عفويا، وإنما يتحكم بها نظام خاص تتقاطع فيه القوافي تقاطعا هندسيا منتظما، وحتى هذا التقاطع الهندسي يختلف في نظمه بين قصيدة وأخرى، انطلاقا من طبيعة المناخ، والتربة التي تقدمها كل القصيدة.

وهذه الهندسة في رسم خطوط التقفية في القصيدة، لا بد لها أن تتجاوز حدود التخطيط الشكلي المجرد، وتدخل صميم القصيدة، لتكتسب وظيفة دلالية، تؤكد مشروعية النظام، وتعزز حيويته وضرورته¹

وهذا ما نلاحظه على القصص الشعرية التي ألفها الغماري، إذ نجده اعتمد اعتمادا كليا على نمط الأراجيز* ببناء كل بيت على قافية واحدة صدرا وعجزا، بعدها يبني البيت الموالي على قافية واحدة صدرا وعجزا أيضا، ومثال ذلك (القصة الشعرية القبرة)

فغرزت مخابها النحيفا	وسددت منقرها الضعيفا
فعلقت أظفارها بالصوف	يالخراب مكرها المكشوف
ووقعت في قبضة الصياد	فعلمت جزاء كل عاد
وَ أَيْقَنْتَ أَنْ الْغُرُورَ شَرًّا	مَا أَتَفَهُ النَّفْسَ إِذَا تَغَتَّرَ ²

وفي قصة (الشاة و الراعي) يقول:

فَأَصْبَحَ الذَّنْبُ خُطَاهُ الْفَزَعُ	يقعده اليأس، ويجري الطمَعُ
يَحْتَالُ طُولَ يَوْمِهِ وَيَمْسِي	وَالْجُوعُ قَدْ طَوَاهُ مِنْذُ أَمْسٍ
وَكَلَّمَا أَرَادَهَا اعْتَدَاءً	مَدَّتْ لَهَا قُرُونَهَا الشَّمَاءُ

تَذُوْدُ عَنْ خَرَفِهَا الصَّغَارُ عَوَادِي الذَّنَابِ وَالطَّوَارِي³

"إن اعتماد الشاعر على قافية موحدة في كل سطرين شعريين... اقتضته هندسته لبناء القصيدة، التي ينتقل فيها من قافية إلى أخرى على مدى حكايته الشعرية... وهذا التشكيل الهندسي المنتظم إنما التزم به الشاعر عن سابق وعي و تصميم، ولم يأت عفوا

(3): أ/كمال عجالي، أبو بكر بن رحمون، حياته وشعره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 303
 (*): يمكن أن نطلق على هذا النمط اسم المزدوج الذي... فيه تتميز القافية مع كل بيت، ويراعي الناظم في المزدوج أن تكون الأبيات مصرعة، فقافية الشطر الأول قافية الشطر الثاني... د/إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 300
 (4): د/ مصطفى الغماري. ديوان أناشيد. ص 10.
 (1): د/ مصطفى الغماري. ديوان أناشيد. ص 19- 20.

الخاطر بأي حال من الأحوال بحيث ارتاحت رؤيته لتحقيق كثافة إيقاعية /وزنية تتولد عن توحيد القوافي و تنوعها في آن واحد"¹

كما اختار بناء بعض القصائد على أساس مقطعي ، إذ تأتي القافية متخالفة بين قافيتي الصدرين في البيتين الأول و الثاني مع المقابلة في قافيتي العجزين في البيتين نفسيهما و مثال ذلك قصيدة "أنشودة الوطن"

تلكم رياضُ الوطن * يل إخوةَ العُمرُ
تُزيلُ عنا الحزنُ * بالنورِ و العطرُ
نهوى إباءَ الخيلِ * نهوى نواصيها
إن راح داعي الليل * بالويل يُرديها
ياصيحة الثائرُ * بالنور و النار
يا حُبنا الغامرُ * بالنصر و الغار²

كما ورد أيضا في قصيدة "الطبيعة في بلادي" في مقطع واحد يقول فيه:

يا نخلُ يا بأسقَ * يا رمز أجدادي
يا فرعةَ السامقُ * غنى به الحادي³

و في قصيدة "أنشودة الوحدة"

نحن رجالُ الغد * فلتشهدني يا ديارُ
إننا على موعِد * فلا يطولُ انتظار
كتابنا في اليد * وفي الدروب المنار
على خطا أحمد * يسعى إلى الانتصار¹

(2): محمد قرانيا . قصائد الأطفال في سورية . ص 329 .

(3): د/ مصطفى الغماري . حديقة الأشعار . ص 12 .

(1): د/ مصطفى الغماري . حديقة الأشعار . ص 10 .

واتكأ الغماري على نظام الخمس في قصيدة الجزائر :

صَبَّاحُكَ الْوَرْدِي * يَا ثَوْرَةَ الْأَحْرَارِ

إِشْرَاقُهُ عِنْدِي * أَعْلَى مِنْ الْأَشْعَارِ

أَحْلَى مِنْ الشَّهْدِ

فِي الْقَلْبِ نَجْوَاهَا * مَا عَشْتُ أَهْوَاهَا

أَرْعَى سَجَايَاهَا * عَيْنَايَ عَيْنَاهَا

ما كنت لولاها²

الموسيقى الداخلية:

"الموسيقى الداخلية من أبرز العناصر المكونة للشعر ، فهي تعطي لنا الظلال الكامنة في القصيدة ، و تكشف لنا عن الحالة النفسية للشاعر وهذه طبيعة النفس في إدراكها عن طريق حواسها المختلفة ، فإذا رأت العين شكل بلور ، سرت بتساوي جوانبه ، فإذا اكتشفت بعد ذلك تناسب زواياه تضاعف سرورها ، وكلما اكتشفت جوانب جديدة منه متساوية ، زاد سرورها على قدر اكتشافها ، وكذلك الشأن في الأصوات المناسبة ، و في الموسيقى فترتبت نغمات الموسيقى تألفه الأذن و تعذبه ، ولكن إذا فقدت الموسيقى التناسب و التساوي بين نغماتها كانت مدعاة نفور"³

و أبرز الجوانب التي تتدرج ضمن إطار الموسيقى الداخلية ، اهتمام دارسها بمجال اختيار الحروف و تألف الكلمات فيما بينها ، كما يهتم بجانب المحسنات اللفظية من ترصيع و جناس و طباق و تكرار و غيرها ، ولكن تبقى إشكالية توظيف هذه الأدوات في شعر الأطفال الذي يختلف كثيرا عن شعر الكبار "... فالشاعر و هو ينظم للأطفال

(2): د/ مصطفى الغماري . حديقة الأشعار . ص 14 .

(3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 15 .

(1): د/ محمد غنيمي هلال . النقد الأدبي الحديث . دار الثقافة . دار العودة . بيروت - لبنان . ص 462 .

لا بد أن يترنم بشعره و خلال هذا الترتم يسقط الأصوات المتتافرة و يثبت الأصوات المتماثلة و المتضاربة ثم المتقاربة خاصة في المقاطع الدلالية آخر الكلمات و آخر الجمل و الفصلات.¹

وسنخصص بإذن الله_ الكلام عن ظاهرة التكرار بصورة عامة دون التطرق إلى باقي الجوانب الأسلوبية التي تحتاج إلى طول الباع في مجال الدراسات اللغوية والبلاغية والصوتية.

*التكرار في شعر الأطفال عند الغماري :

'عرف الشعر العربي (التكرار) أو (التكرير) على امتداد عصوره، وقد تبلور في العصر الحديث، إذ عده النقاد من ألوان التجديد، يضيف على القصيدة -إذا أحسن استخدامه- حليه إيقاعية و دلالة موحية ، و ذلك بما يمتلكه من طاقات من شأنها أن تغني القصيدة و ترفع من مكانتها الفنية"²

و أبرز دور يؤديه التكرار في القصيدة هو زيادة النغم و تقويته "...سعيًا منه لتثبيت الإيقاعات الداخلية، و تسويغ الاتكاء على التكرار ، ليكون مرتكزا صوتيا يتغلغل إلى آذان الصغار بالانسجام و التوافق و القبول ، فيملك عليهم مشاعرهم المرهفة، و يؤثر على إحساساتهم الغضة البريئة"³

و المتتبع لظاهرة التكرار في ديوان "حديقة الأشعار" يجدها تنتشر في عدة قصائد منها (قصيدة إلهي، بائع الأزهار، أذان الفجر، الطبيعة في بلادي، أنشودة الوحدة)

ففي قصيدة "إلهي" نجد الشاعر قد استهل القصيدة بتكرار صيغة الدعاء إلهي مرتين ، قبل أن يعيدها في البيت السادس بالصيغة نفسها، و هذا النوع من التكرار يسمى التكرار الاستهلالي "وهو لون يستهدف -في المقام الأول- الضغط على حالة لغوية، وتوكيدها

(2): د/ العيد جلولي. النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر. ص 228 نقلا عن محمد العمري. الموازنات الصوتية بين

الرؤية البلاغية و الممارسة الشعرية . إفريقيا الشرق . بيروت- لبنان . 2001 . ص 166 .

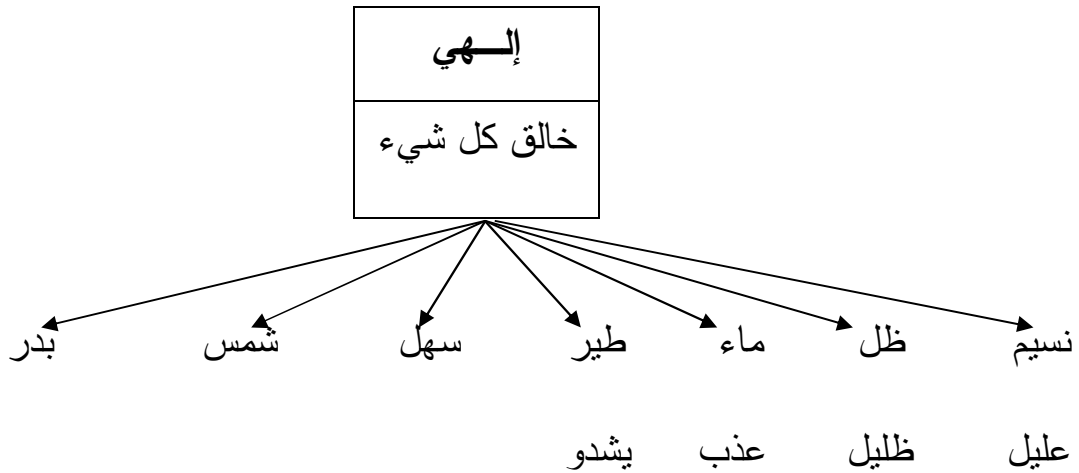
(3): محمد قرانيا . قصائد الأطفال في سورية . ص 262 .

(4): محمد قرانيا . قصائد الأطفال في سورية . ص 269 .

عدة مرات، بصيغ متشابهة، ومختلفة، من أجل الوصول إلى وضع شعري معين قائم على مستويين رئيسيين إيقاعي و دلالي¹

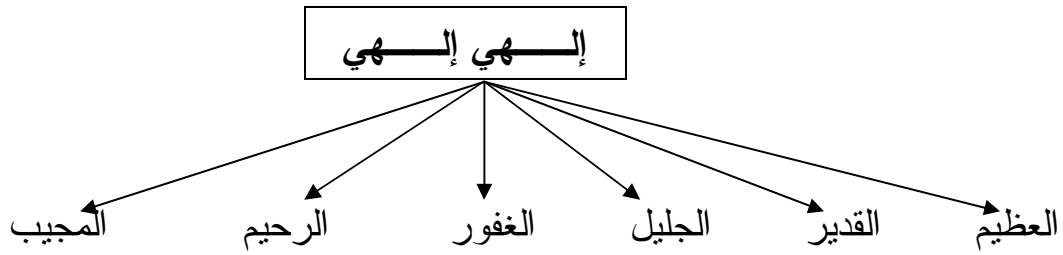
إلهي إلهي

خَلَقْتَ لَنَا كُلَّ شَيْءٍ جَمِيلٍ * نَسِيمَ عَلِيلٍ وَ ظِلَّ ظَلِيلٍ
و شَمْسَ تُضِيءُ لَنَا كُلَّ دَرَبٍ * وَ تَهْدِي الْأَنَامَ سَوَاءَ السَّبِيلِ
و بَدْرٌ يُنِيرُ يَشِقُ الظَّلَامَ * حَبِيبٌ إِلَى كُلِّ قَلْبٍ خَلِيلِ
إِلَهِي إِلَهِي وَ مَالِي سِوَاكَ * أَنْتَ الْعَظِيمُ الْقَدِيرُ الْجَلِيلِ
و أَنْتَ الْغَفُورُ وَ أَنْتَ الرَّحِيمُ * وَ أَنْتَ الْمُجِيبُ نَدَاءِ الْعَلِيلِ²



(1): محمد قرانيا . قصائد الأطفال في سورية . ص 269 . نقل عن د/ محمد صابر عبيد . القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية و البنية الإيقاعية . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . سورية . 2001 . ص 186 .
(2): د/ مصطفى الغماري . حديقة الأشعار . ص 03 .

كل هذه النعم تستوجب على العبد أن يسبح الله كثيرا و يذكره بكرة و أصيلا و أحسن الذكر يكون بأسماء الله و صفاته و هذا ما نجد الشاعر قد وظفه في القصيدة لإضفاء التناغم و التناجح التكراري بين تضاعيف القصيدة.



و في قصيدة "بائع الأزهار" يكرر الشاعر البيت الأول من المقطع الأول في البيت الأول من المقطع الرابع حيث يقول :

مني إليك تحيه * يا بائع الأزهار
ألوانها عبقرية * تستوقف الأنظار
مني إليك تحيه * يا بائع الأزهار
تلك الورود الزكية * في الباقة المعطار¹

هذا التكرار ينسجم مع الفكرة التي ينشدها الشاعر ، و هي شيوع ثقافة * الورود بما تحمله من معاني سامية و خلال القصيدة نلاحظ الشاعر كرر الفعل "أهوى" ست مرات إذ يقول :

يا إخوتي أنا أهوى * أهوى الورود الملاح
أهوى رؤاها السخية * و عطرها الفواح
أهوى غناء الجداول * و زقزقات الطيور
أهوى ظلال الخمائل * أهوى أريج الزهور²

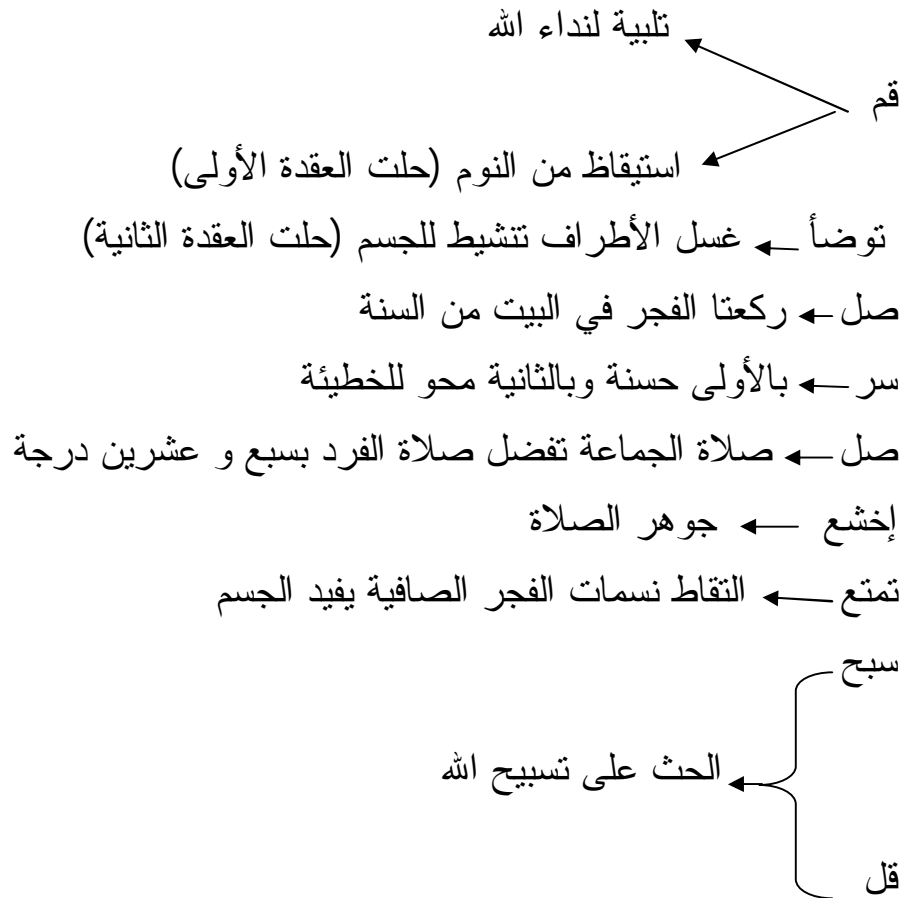
(1): د/ مصطفى الغماري . حديقة الأشعار . ص 04.

(*) : ربما لو كررنا هذه الثقافة في أوساط الناس ، لما أزهقت الأرواح وأرقت الدماء في بلادنا زورا وباطلا .

(1): د/ مصطفى الغماري . المرجع نفسه. ص نفسها .

(*) : الورود و الأزهار أيقونة الجمال في الحياة الدنيا بلا منازع .

تكرير الشاعر للفعل المضارع "أهوى" بهذا الشكل، يوجه نفسية الطفل إلى التعلق بالطبيعة و خصوصاً الأزهار و الورود، و القصيدة كلها تحمل قيمة جمالية هي حث الطفل على الاعتناء بها و تركها سليمة دون أذى إذا رآها في مكان عام، و زمن الحاضر الذي يكتنف الفعل المضارع/أهوى في القصيدة يعطي دلالة على أن استحضار كل ما هو جميل يجعل الإنسان يحيا حياة طيبة لا يكدر صفوها شيء* و في قصيدة "أذان الفجر" يلحظ القارئ تكرار فعل الأمر كثيراً خلال القصيدة (قم، لب، توضاً، صل، إخشع، تمتع، سبح، قل) حيث نجد الغماري قد رتبها ترتيباً محكماً، جعله يحث همة الطفل وفق ما أمر به الشرع الحنيف، إذ شرح له السبيل المؤدية إلى أداء صلاة الفجر، مع مراعاة التبسيط في ذلك حتى لا يداخل نفسية الطفل الثقل و التهاون، وقد استعمل لذلك أحد البحور الصافية (بحر المتقارب) للدلالة على صفاء ما يدعو إليه، و الحقيقة أن الصلاة وسيلة من وسائل تزكية النفس و تنقيتها من الشوائب و الأدران، و هذا البحر كثير الحركات المساعدة على شحذ الإيمان و تحريك قواعده



وفي قصيدة "الطبيعة بلادي" ورد تكرار استهل به الشاعر -جاء بصيغة جواب الطلب الذي حذف من فعله حرف العلة و كأنها إشارة من الشاعر إلى أن النظر إلى مباحج طبيعة الجزائر يزيل العلة من نفس الإنسان ، وبذلك يهنأ و يرتاح :

عرج تر الطبيعه في موطني بديعه

تر الجبال الشاهقه تر السهول الشائقه¹

حتى أنه استعمل الواو العاطفة ست مرات* للتوكيد و الضغط على الحالة اللغوية الدالة على تأثيراتها في نفس المتلقي /الطفل.

أما قصيدة "أنشودة الوحدة" فإنك تلمح الغماري ، اعتمد على التكرار غير المنظم في تضاعيفها حيث يقول:

بلاد المسلمين لنا جميعا كلها وطن

توحد بيننا الآمال و الآلام و المحن

برغم البعد يا أطفال غنوا كلنا جسد

سنبني دولة القرآن نبنيا و نتحد²

برغم البعد يا أطفال غنوا كلنا جسد

سنبني دولة القرآن نبنيا و نتحد

بلاد المسلمين لنا جميعا كلها وطن

توحد بيننا الآمال و الآلام و المحن³

نلاحظ الشاعر كرر الأبيات بشكل مختلف ، و قد كان الهدف من وراء هذا التكرار هو تعريف الطفل ببعض بلدان العالم الإسلامي ، و غرس فكرة الجسد الواحد الذي عمل الاستعمار على تمزيقه أو ما يطلق عليه مصطلح القومية الإسلامية باختلاف أعرافها و أطيافها، و من توافق اللفظ مع المعنى التوظيف الطاعي لـ"تون الجمع" حيث أوردتها الشاعر إحدى و ثلاثين مرة ، فتارة نجدها مقترنة باسم و تارة بفعل ، و تارة بحرف ، و تارة أخرى بظرف (لنا ، يدنا، قائدنا، هادينا، يبعدنا، يثينا، نحن،إنا،كتابنا، نسعى،

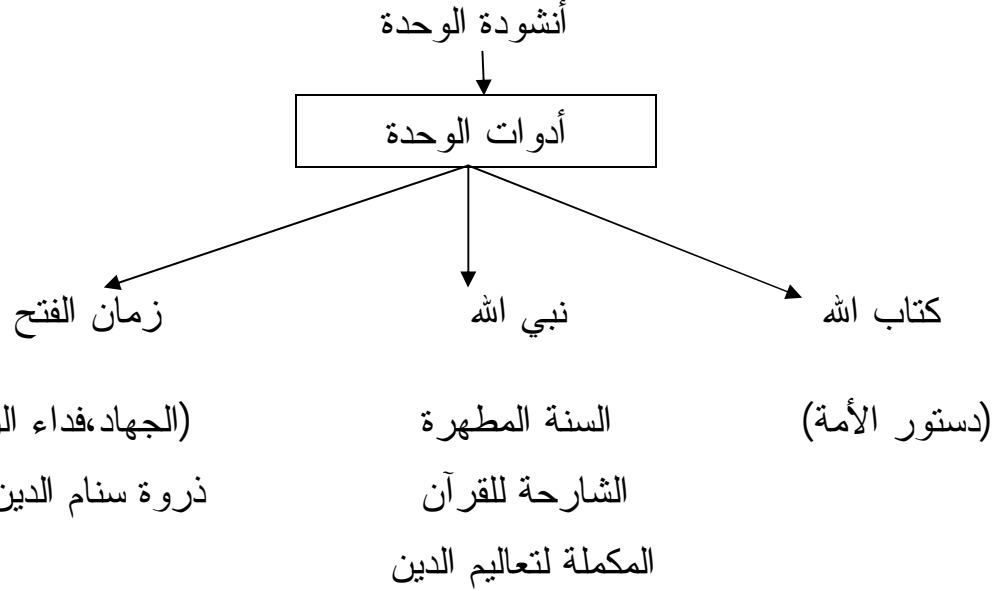
(1): د/ مصطفى الغماري. حديقة الأشعار . ص 10.

(*) : للتوكد من ذلك ينظر في الديوان . ص نفسها .

(2): د/ مصطفى الغماري. حديقة الأشعار . ص 13.

(1): د/ مصطفى الغماري. حديقة الأشعار . ص 14.

غوا، كلنا، سنبي، نبيها، نتحد، لنا، بيننا...) هذا العدد فيه دلالة إلى عدد أيام بعض الشهور الشمسية و كأنها إشارة من طرف خفي إلى أن نغرس فكرة الوحدة الإسلامية في ذهن الطفل و عقله كل يوم حتى ننشئ الجيل الذي يحمل هذا الهم ويسعى من أجله.



و في ديوان "الفرحة الخضراء وظفت ظاهرة التكرار بصورة جلية في قصيدتين (محبة الأوطان) (الأمير المجاهد)، إذ في القصيدة " محبة الأوطان " وظف التكرار قبلها و بعديا أي استهل الشاعر قصيدته ببيت يقول فيه :

محبة الأوطان فرض على الإنسان¹

وختمها بالصيغة نفسها في البيت الأخير :

محبة الأوطان * فرض على الإنسان²

مثل هذا النوع من التكرار يجعل عقل المرسل إليه/الطفل في يقظة تامة تجاه الخطاب الموجه إليه، خصوصا و أن الشاعر كرر لفظ الأوطان في عدة أبيات من القصيدة منها:

شر النفوس نفس على الأوطان تقسو

محبة الأوطان وصية الرحمان³

ذاكرة الأوطان تأبى على الإنسان

(2): د/ مصطفى الغماري. الفرحة الخضراء . ص 36.

(1): د/ مصطفى الغماري. الفرحة الخضراء . ص 38.

(2): د/ مصطفى الغماري. الفرحة الخضراء . ص 36.

أن يهجر الأوطاننا والأهل والإخوانا¹

من ذا؟ و ماذا شأنه أما كفت أوطانه²

تكرار الجملة الاسمية "محبة الأوطان" وورد لفظ الأوطان بصيغ اسمية متعددة (اسم مجرور، مضاف إليه، مفعول به، فاعل)، يدل دلالة واضحة على دوام تعلق الإنسان بأرضه التي نشأ فيها، و بقاء الحنين يسري في لواعج النفس، مهما تغرب و ساح في البلدان الأخرى، كالإبل التي لا تدع الحنين، و الشاعر في كل مرة يعطف محبة الوطن بالدين للتوكيد على العلاقة القائمة بينهما.

وقد ساعد مجزوء الرجز على إحداث الأثر الفعال في الإنسان بين الإيقاع الموسيقي مع التكرار التعبيري، إذ تشكلت بنى تعبيرية إيقاعية شملت القصيدة كلها-رغم طولها- من العنوان حتى الخاتمة مرورا بالمقاطع، و هذا كله يؤدي إلى الدور المنوط بالعمل الشعري، و هو توصيل القيم الموجبة إلى ذهن الطفل، و نفسيته ما يجعله دائم التعلق بإيقونة الوطن.

أما قصيدة "الأمير المجاهد" فإننا نجد لفظ الوطن قد تكرر خمس مرات في الأبيات الأربعة الأولى :

بوركت يا وطني المجيد وطن الشهادة و الشهيد

وطن تتيه به النجوم و يورق الطلع النضيد

وطن الأمير.. السهل يفخر بالبطولة و النجود

وطن الأمير .. و كم تتيه به و تختال البنود³

هذا التكرار خدم الفكرة التي تدور حولها القصيدة و هي تضحيات الأمير عبد القادر و هذا التركيز من الشاعر على لفظ وطن الذي جاء بصيغة النكرة المعرفة بالإضافة (وطن الأمير) و تصدره الكلام في ثلاثة أبيات/كمبتدأ يدل دلالة جلية على الثبات، و لزوم الحال التي علقت بالأمير طول حياة الكفاح الطويل الذي خاضه ضد الاستعمار الفرنسي.

(3): د/ مصطفى الغماري. الفرحة الخضراء. ص 37- 38 .

(4): د/ مصطفى الغماري. الفرحة الخضراء. ص 38 .

(1): د/ مصطفى الغماري. الفرحة الخضراء. ص 51.

و اختتم الشاعر القصيدة بعد تكرار لفظ الوطن ،بذكر اسم هذا الوطن /الجزائر للتوكيد على معنى الوطنية و التضحيات التي رسمها الأمير على أرض الجزائر التي أنتجت فيما بعد تضحيات أخرى صيرت دم المهج إلى صبح جميل :

لك يا جزائر روحه و له بثورتك الخلود¹

اللغة الشعرية :

"اللغة في يد...الفنان هي أدواته ، و هي مرسومه و هي الكتلة التي ينحت منها تماثيله و النغمة التي يكون منها إيقاعاته ،فهو لا يتعامل مع حروف هذه اللغة بل مع كيانها ، مع روحها، مع تاريخها، مع خصائصها و ضوابطها، مع أشكالها و أنماطها ، مع تراثها و حاضرها، ولا يكتفي بالتعامل معها ، بل يذوب فيها، و يخلع عليها تصوراته،ينحت أفكاره،يطوعها لأحلامه،يشكل منها رؤاه ، بل، و يشتق منها لغة خاصة به، يطبعها

(2): د/ مصطفى الغماري. الفرحة الخضراء . ص 52.

بطابعه، ويشكلها بطريقته، و يولد منها لغة لها جمالها، وقد يصطدم ببعض الضوابط فيحاول أن يتجاوزها ليخرج التعبير من تحت يده مطبقا لما أحس به"¹ و تتضافر اللغة مع الصورة الشعرية بمكوناتها و عناصرها و أبعادها ، إضافة إلى الجانب الموسيقي و أطره التركيبية و التشكيلية ، لتشكل البنية الشعرية أو ما يتعاور عليه بالقصيدة.

لكن الكتابة الشعرية الموجهة للطفل لا بد لها من أسس و قواعد تبنى عليها ، فهي ليست بالأمر اليسير بل يجب على المتصدر لهذه الساحة "...أن يكون طفلا يعيش عالم الطفولة بسذاجته و براءته...،و كما يختار الفكرة البسيطة ذات الأثر العميق في نفس الطفل، يجب أن يختار اللفظ السهل البسيط الذي يفهمه الطفل و يعبر عن الفكرة أحسن تعبير في الآن نفسه،و إذا كانت اللغة الشعرية في الخطاب الشعري هي انحراف عن مسار اللغة في التعبير المباشر، ففي شعر الأطفال طبيعة القارئ و خصوصيته تحتم على الشاعر اجتناب المجازات البعيدة الموغلة في الغموض و تحري الدقة و الألفاظ السهلة ليتمكن الطفل من الفهم و الاستيعاب فيساهم الخطاب الشعري في تكوين قاموس لغوي خاص بالطفل ، و هذا لا يعني أن تغيب بعض الكلمات الجديدة على الطفل تماما، و لكن يكون ذلك بقدر معقول و حسب الفئة المقصودة بالنص فطفل في مرحلة مبكرة لا يمتلك نفس قدرات الطفل في مرحلة متوسطة أو متأخرة."²

و الناظر في المحاور التي تطرق إليها الغماري يجد أن الشاعر قد خصص لكل واحد منها معجما شعريا خاصا به، تفرد فيه بمجموعة من التراكيب و الألفاظ الخادمة للموضوع ففي المحور الديني نلقى الشاعر استعمل في قصيدة "إلهي" *ألفاظا تدعم ما يصبو إليه الشاعر من ترسيخ للإيمان في قلب الطفل. و تذكره بآلاء الله و نعمه عليه منها " إلهي ، خلقت، ماء، سهل، شمس، بدر، العظيم، الجليل ، الغفور، الرحيم، المجيد" حتى أنه استند في الجانب التركيبي إلى الفعل المضارع الدال على الحدوث و الاستمرارية(ماء يفور ، طير يغني، سهل يموج، روض يتيه ، شمس تضيء ، تهدي الأنام بدر ينير) ، و كأن الشاعر يحث الطفل على التفكير الدائم و المتواصل في آلائه

(1): د/ منير سلطان . الصورة الفنية في شعر المتنبي. منشأة المعارف . الإسكندرية - مصر. 2002. ص 125.

(2): عائدة بو منجل . شعر الأطفال في الجزائر . ص 98.

و مخلوقاته ، و قد ربط هذا كله بالفعل "خلقت" * الدال على جعل الشيء من عدم ، و ما دعم هذا الطرح توظيفه للأسلوب الخبري المناسب لهذا الغرض .
أما في قصيدة "أذان الفجر" فإن الشاعر وظف أفعال الأمر محاكيا قوله تعالى :
"وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ" • (قم ، لب، توضأ ، صل، سر، تمتع، سبح ، قل)
و الأمر الدال على الحاضر و المستقبل ، و كأنه يقول : أيها الطفل عليك أن تؤدي الصلاة في كل الظروف و لا تتركها أبدا فهي وسيلتك للقربى من الله و دعائه و تسبيحه و ذلك ما ختم به القصيدة .

وسبح بحمد الإله و قل تعاليت يا خالقي يا إله

تعاليت يا خالقي يا إله¹

و بهذا يرفع العبد إلى مقام الصالحين بين إياك نعبد و إياك نستعين .
و في سياق الحديث عن الصلاة ، فإن أداءها جماعة يفضل في الدرجات على صلاة الفرد ، و أفضل الأماكن لأدائها المسجد حيث يعبر عن هذا الغماري :

أنا معبد الله في كل حين طهور ترابي كماء السحب²

أنا المسجد الحر.. تعرفني القرون.. تحدثني الحقب³

لكن الشاعر في هذه القصيدة يتحدث بأسف -على لسان المسجد- لما كان عليه و ما آل إليه ، و قد جسد ذلك في معجم شعري ترجم ما يذهب إليه مستعملا الأسلوب الخبري المناسب لمثل هذه الصياغة (مصنع، مهد، أسرار، العجب، منبر، خطيب، أنار الظلام، إمام، روايات الكتب، يؤلف ... القلوب، يبني العقول ، المسجد الحر، صرت للسائحين ارتيادا، أزان بماء الذهب).

و يبدو أن عنوان القصيدة -حديث المسجد- يترجم أسلوب الحكاية الموظفة في القصيدة حيث أكثر من الأفعال لتجلية الصورة إذ استعمل 31 فعلا ، بين الماضي بثلاثة عشر فعلا (13) و سبعة عشر (17) فعلا مضارعا، و فعل أمر واحد . (أنار ، جلى، سعى،

(*) :مصطفى الغماري . حديقة الأشعار . ص 03.

(*) : المتعارف عليه عند النحويين أن أي فعل اقترن بالله يحذف منه الزمن، لأن الله لا يحويه الزمان و المكان .

(•) :سورة البقرة الآية 82

(1) : د/ مصطفى الغماري. حديقة الأشعار . ص 07.

(2) : د/ مصطفى الغماري. الفرحة الخضراء . ص 40.

(3) : د/ مصطفى الغماري. الفرحة الخضراء . ص 41.

كان، ساد، لاذ، طالني، بناني، بناه، كنت، كنت، كان). فتوظيف الشاعر للماضي هنا ، ما هو إلا تذكير وحنين إلى ما خلفته السنون من ذكريات جميلة بنى بها المسلمون عزهم و سؤددهم انطلاقاً من المسجد الذي يعتبر الركيزة الأولى التي اهتم بها الرسول (صلى الله عليه وسلم)

و الذين أتوا من بعده ، لكن دلالة الفعل كما هو معروف هو الحدوث و التغيير ، و هذا ما حدث للمسجد فقد تفهقر من الأحسن إلى الأسوأ ، لكن تتدخل أفعال الحاضر (المضارع) لتزرع الأمل و الاستمرارية في الحياة و نفوس الناشئة ، و كأن الشاعر يقصد إلى ذلك قصدا ، بغية التحدي و مواصلة السجال مهما كانت العقبات (يصنعون ، يحدث، يؤلف، يبني، يبلغ، أود، أمتع، يذل، تهتك، تعرفني، تحدث، أغضب، يجدي، يصونني، أزان، أحيا).

ويختم القصيدة بفعل الأمر الدال على الحاضر و المستقبل ليدعم التغيير و التواصل الذي يحاول من خلال ثنايا القصيدة بثه في المتلقي /الطفل :

فيا جيل ضم الكتاب .. فإني لأحيا بآياته .. لا القبب¹

فعل الضم هنا فيه دلالة المسك بقوة ، إذ لا مناص للمسلمين إلا به مصداقا لقوله تعالى: "يَا حَيِّ خُذْ كِتَابَ بَقْوَةٍ" .

أما محور الطبيعة فإن معجمه الشعري طافح بمباهجها و رونقها ففي قصيدة "الطبيعة في بلادي" من ديوان "حديقة الأشعار" يذكر الشاعر ما تزخر به بلادنا من مظاهر (الجبال، السهول، الشاطئ، الجدول، الروض ، البستان، التين، الزيتون، الليمون، النخل، الصحراء و الوادي...) . حتى أنه وظف صفة لكل شكل من الأشكال الطبيعية -حسب الترتيب المذكور* - ما يجعل الطفل يتعلق كثيرا ببلاده و هذا ما يغذي البعد القيمي في نفسيته (الشاهقة، الشائقة، الدفاق، الرقراق، المزدهر ، السمراء، صفر الباسق...) .

و في قصيدة "الطبيعة في بلادي" من ديوان "الفرحة الخضراء" نجد الشاعر وظف مقاربة معجمية لا تختلف كثيرا عن سابقاتها بل مكملة لها:

(1): د/ مصطفى الغماري. الفرحة الخضراء. ص 42.
(•): سورة مريم . الآية 11

أنظر تر الطبيعه * جميلة بديعه
تستقبل الصبا * و تحمل الأفراحا
أطيّارها تغني * في الروض ألف لحن
و زهرها البديع * يزهي به الربيع
أنسامه اللطيفه * و روحه الخفيفه
تغدو مع الطيور * فرحانة بالنور
و الزهر في البستان * مختلف الألوان
شقائك النعمان * و الروح و الريحان
و التين و الرمان * تقول : يا رحمان
و النخل في الكثبان * يقول : يا رحمان¹

أبيات القصيدة من الجانب التركيبي تنوعت بين الجمل الاسمية (أطيّارها تغني، زهرها البديع، أنسامه اللطيفة، روحه الخفيفة، الزهر...مختلف الألوان... إلخ) و أفعال الحاضر "المضارع" (تستقبل، تحمل تغني، يزهي، تغدو، تقول و يقول)، و بعض الأحوال (جميلة، بديعة، فرحانة) و النداء بصيغة الدعاء (يا رحمان).

ففي أفعال الحاضر ما يتناسق مع التغيير و الاستمرارية التي تعنور الطبيعة في كل فصل -خصوصا فصل الربيع- ولا نحسب الغماري في هذه القصيدة عنى فصلا غيره إذ يقول في قصيدة "مرحبا بالربيع"^{*}

مرحبا مرحبا مرحبا بالربيع
إيه.. ما أعذبا في النفوس الربيع
إيه يا موسم أنت فصل الشباب
يزدهي المبسم في المروج العذاب²

فالاسم فيه دلالة الثبوت، أما الفعل فدلالته التغيير، و هذا ما حدا بالشاعر أن يوظف أفعالا تتناسب مع جو الطبيعة الغناء الخالابة، حيث تغني في موضع الغناء و تغدو مع الأطيّار

(*) : للاستزادة ينظر في الديوان . ص 10.

(1) : د/ مصطفى الغماري. الفرحة الخضراء. ص 19- 20.

(*) : وهي قصيدة تلي قصيدة "الطبيعة في بلادي" مباشرة .

(1) : د/ مصطفى الغماري. المصدر نفسه. ص 22.

(*) : هذا ما سنعرض له في موضعه .

بين الأغصان ، و تملأ الأزهار و الورود الحدائق زهوا و بهجة ، و بهذا يكون المعجم الشعري الذي وظفه الشاعر في تناول الطفل يحقق له المتعة و الإثراء ، مع نظم القصائد على الأوزان الخفيفة* المناسبة لهذا الغرض.

أما المحور الاجتماعي -ما تعلق بالعمل خصوصا- فإن الشاعر وظف ما يخدم ذلك :

لو تعلمون عنائي* لو تدركون نزيفي
و رجفتي في الشتاء* و حرقتي في الصيف
أنا الذي يا صغاري* أشقى و ما تشعرونا
ليلي لكم ونهاري* و أنتم تلعبونا
أعز يوم إلي* يوم تننيه زروعي
في الحقل أسعد لما* أرى جهودي تكبر¹

استهل الشاعر القصيدة بأسلوب الشرط (لو تعلمون ، لو تدركون) للتنبية إلى قيمة التضحيات التي يقدمها الفلاح من أجل أن تصلنا منتوجاته غضة طرية ، و انتقل بعدها إلى البيت الثاني بحرف العطف الواو للربط بين مظاهر المكابدة التي تعترى الفلاح أثناء أداء عمله (عنائي ، نزيفي، رجفتي ، حرقتي) و البيت الأول و الثاني توطئة لجلب انتباه الطفل إلى الشخص المقصود -الفلاح-.

و فيما يخص محور الوطن ركز عليه الشاعر كثيرا* و جعله محور الحقل الدلالي لديوان "الفرحة الخضراء" ، نجدده وظف لفظ الجزائر ثمانية عشر مرة 18 في ثنايا ديوان "الفرحة الخضراء" من ذلك قوله في القصيدة "هات البشائر"

عيد الجزائر لم يكن إلا ابتسام حياتها
هذي الجزائر ثورة لم تسل عن غاياتها
لجلالها تعنو الجزائر لا لأفكار اليهود
الله أكبر يا جزائر إنها رمز الخلود²

مثل هذا الذكر الصريح لكلمة الوطن /الجزائر ما هو إلا إبراز لمحاسنها و تجلية لمكانتها و تعلق بتاريخها و مآثر رجالها، و فيه إشارة إلى التخصيص أي - أخص الجزائر لا

(2): د/ مصطفى الغماري . حديقة الأشعار . ص 05.

(*) : خصوصا ديوان "الفرحة الخضراء" .

(1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 45 - 47 .

غير - وهذا ما يجعل فؤاد المتلقي يرتبط بالشيء المذكور كثيرا ، و كأنه محاكاة لظاهرة التكرار التي يتميز بها الطفل في مرحلة من مراحل عمره.

و نهتف باسم الجزائر فخرا و إن الجزائر أم ولود¹

العز و الخلود و روعة البشائر

و خفقة البنود و المجد.. للجزائر

في القرب و البعد تحيا به الجزائر

ما أروع البهجه ما أروع الجزائر

أحيا و أحياها أهواك يا جزائر²

أما لفظ الوطن فقد ورد اثنتي عشرة مرة في ديوان "الفرحة الخضراء" ، و مرتين في ديوان "حديقة الأشعار" :

محبة الأوطان فرض على الإنسان

شر النفوس نفس على الأوطان تقسو

محبة الأوطان وصية الرحمان

ذاكرة الأوطان تأبى على الإنسان

أن يهجر الأوطانا و الأهل و الإخوانا

من ذا؟ و ماذا شأنه؟ أما كفت أوطانه

محبة الأوطان فرض على الإنسان³

ما يلاحظ على هذه الأبيات ورود لفظ الوطن جمعا، وكأن الشاعر هنا لا يخاطب الطفل الجزائري و حده بل كل أطفال العالم ، لأن لكل واحد منهم محبة يكنها لوطنه، فأصبحت كلمة الوطن هنا تتفرع و تمتد حيث امتدت أرض الله، ولكن يخصص الشاعر هنا المحبة بعد التعميم ، و يقيدها بالبعد الديني ، إذ يجعلها من الفرض و الوصية تتوارثها الأجيال ، خصوصا إذا تعلق مفهوم الوطن بتضحيات الأجداد كأمثال الأمير عبد القادر حيث يقول فيه :

بوركت يا وطني المجيد و وطن الشهادة و الشهيد

(2): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 07.

(3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 14 - 15 - 16 .

(1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 36 - 37 - 38 .

وطن تتيه به النجوم و يورق الطلع النضيد
وطن الأمير .. السهل يفخر بالبطولة و النجود
وطن الأمير .. و كم تتيه به و تختال البنود¹

فالمتمأمل في الأبيات يلمح بأن لفظ الوطن ورد مضافا إليه ، والمعروف في علم النحو أن المضاف و المضاف إليه شيئان متلازمان ، كما أن الإضافة من لوازم التعريف ، فهذا كله إشارة إلى وجوب قراءة تاريخ الجزائر و إعادة استجلاء مكانه كي نمكن الطفل من حب هذا الوطن و الدفاع عنه إن لزم الأمر و بذل النفس و النفيس من أجله ، لكن مثل هذه الدلالات هل يمكن للمتلقي / الطفل أن يفهمها ، خصوصا و أن الأبيات حوت صورا مجازية تفوق مداركه البسيطة ؟

كما وردت صيغ أخرى للفظ الوطن من ذلك لفظ (البيضاء، السمراء، البلد) ففي قصيدة "عشاق البيضاء" يقول :

و أن من حرر البيضاء عاشقها و أن من ينصر البيضاء أنصار²

و في قصيدة "أنشودة الوطن" يقول :

نهوى حمى السمرا نهوى دواليها³

و يقول في قصيدة "بلادي"

بلادي بلادي بمن تفخرين و من في مجال الهوى تعشقين⁴

فالمتمأمل في الأبيات الثلاثة يجد بأن الشاعر لم يعتمد كثيرا -عند الحديث عن الوطن- على الرمز أيا كان نوعه ، بل وجه خطابه إلى الطفل مباشرة، و لا نحسب الشاعر قد نأى عن هذه الطريقة إلا لإدراكه مدى صعوبة فهم الطفل لمثل هذه الرموز التي تستغل حتى على بعض الكبار ، و من جهة ثانية فإن الشاعر يعمد إلى ذكر لفظ الوطن أو الجزائر صراحة مواجهة منه للأصوات النشاز التي تحاول في كل مرة التشكيك في أصالة تاريخ هذا البلد .

(2): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 51.

(3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 18.

(4): د/ مصطفى الغماري . حديقة الأشعار . ص 12.

(1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 48.

أما موضوع الشهداء فقد وظف ضمن معجم شعري يناسب قيمة التضحيات التي قدموها من أجل أن تبقى هذه الأرض شامخة شموخ ذكراهم يقول في قصيدة "أغنية الشهداء":

وهبتم وجودكم الأكرما فله الله .. ما أعظما
وأسلمتم للجهاد خطاكم و كنتم لداعي الجهاد الفما
و بايعتم الحق و الحق صوت فصيح إذا باطل جمجما
و كنتم على الكافرين سعييرا ولحتم بأفاقنا أنجما
هزمتم جيوش النصارى الغزاة ولن يهزم الكافر المسلما¹
و يقول في القصيدة "باسم الجزائر":

سلام على شهداء الجهاد على الخالدين سلام سلام
يميد بذكراهم اليوم عيد ويزهر في شفتينا القصيد²
و يقول أيضا في قصيدة "جزائر يا أمنا"

لإن قتلوا لم يكونوا على بعدهم ميتينا
لقد قال ربي فيهم ولا تحسبن الذينا³

و في قصيدة "عشاق البيضاء"

تلك المقابر بعض من مفاخرنا فيها لمن صنعوا التاريخ آثار⁴
و في قصيدة "أم الثورة"

يا جرح شهيد .. مازالا * في الدرب ربيعا و ظللالا⁵
و في قصيدة "بني الأحرار"

فإن دم الشهيد بكل درب * يمد لكم من العزمات مدا⁶
و في قصيدة "هات البشائر"

يتأمرون على الشهيد * و ينكرون مضاءها
إن تسألوا التاريخ إن دم الشهيد لكم جواب⁷

(2): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 04- 05 .
(3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 06- 07 .
(4): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 13 .
(5): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 17 .
(1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 27 .
(2): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 44 .
(3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء . ص 45- 46 .

و في قصيدة "الأمير المجاهد"

بوركت يا وطني المجيد * وطن الشهادة و الشهيد¹

ما يلاحظ على التركيب اللغوي لمحور الشهداء توظيف الشاعر للزمن الماضي (وهبتم، أسلمتم، كنتم، بايعتم، لحتم، هزمتم، قتلوا، قال، صنعوا، أمازالا، بوركت)، وهذا مما يرسخ البعد التاريخي الأصيل، و يزرع -في نفس الطفل- الاعتزاز بالماضي التليد الذي تركه الشهداء ينزف عزا و شرفا، لولا تأمر الحاقدين و دسائس المغرضين، لهذا نجد الشاعر أقحم الفعل المضارع رغم أن المحور محو الاعتزاز بالماضي -للرد على هؤلاء و لإخماد أصواتهم التي لم تن لحظة واحدة في دس سمومها متى وجدت الفرصة سانحة لذلك (لن يهزم، يميد، يزهو، يمد، يتآمرون، ينكرون، إن تسألوا)، فمثل هذا التوظيف للحاضر يترجم نفس استمرارية الصراع بين الحق و الباطل، فأنت بعض أفعال المضارع تؤكد و تنفي راسمة الحيز اللغوي الذي تدور حوله الفكرة - برغم ورودها ضمن صيغ تركيبية مركبة يصعب على الطفل استيعابها.

لن يهزم : فعل مضارع اقترن بالنفي المطلق للدلالة على استحالة أن يهزم صاحب الحق ولو بدا في الظاهر مهزوما لأن دولة الباطل ساعة و دولة الحق إلى قيام الساعة.

المسلم (التوكيد)	≠	الكافر (النفي)
<u>لم يكونوا ميتينا</u>	≠	<u>لإن قتلوا</u>
نفي		توكيد
<u>إن دم الشهيد جواب</u>	≠	<u>إن تسألوا</u>
توكيد		نفي
يتآمرون		يميد

(4): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 51.

ينكرون

≠

يزهر

نفي

يمد

توكيد

يضاف إلى محوري الوطن و الشهادة محور الثورة الذي يعد الحلقة الأساس بين الموضوعين غير أن توظيف الشاعر لكلمة الثورة في بعض قصائده-من ديوان الفرحة الخضراء- جاء في إطار السياق العام لكل قصيدة استعملت فيها الكلمة ،ففي قصيدة "نثور نثور" يقول:

نـثور نثور على من غدر بسيف علي و حزم عمر

نثور نثور كأجدادنا و تشرق في شفتينا السور¹

فمعنى الثورة هنا ليس بالمفهوم التاريخي الزمني الذي ألفناه، بل هو عملية ربط بين الماضي و الحاضر و الدليل على ذلك استعمال الشاعر للفعل المضارع وتكريره في البيت 1 و 2 (نثور نثور) و استخدامه لكاف التشبيه حتى يقرب الصورة أكثر للمتلقي /الطفل ،لكن تبقى فوق مستواه الإدراكي الذي لا يناسب الطبيعة البسيطة للطفل من جهة أخرى.

كل هذا الإسقاط الأداتي الذي استخدمه الشاعر من أجل الثورة على الواقع المرير، و الرد على المغرضين و الداعين للسير ضد المسار الذي رسمته الثورة المباركة و خطه بيان أول نوفمبر و مثل هذا المعنى يترجمه بيت آخر ورد في السياق نفسه للبيتين السابقين حيث يقول في قصيدة "جزائر يا أمنا" :

رأيتهم يا صغاري * بثوراتهم يحلمونا²

فمفهوم الثورة في هذا البيت المقصود به الشيوعية الحمراء الملحدة التي كانت تدعي زورا و بهتانا ، خلاص الإنسان من العبودية و التحرر من الإقطاع و هذا ما ترجمته أبيات في القصيدة جاءت تلمح لذلك :

(1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 08.

(1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 11.

يسودون باسم الفقير و من خبزه يسرقونا
 يجيدون عزف الشعار و كم باسمه يربحونا
 يقولون : إن التحرر صعب على المسلمينا¹
 وكانوا بمطرقة يعيدون ما يصنعونا
 بمنجل أحلامهم لقد صدئ المنجلونا²

و هذا ما حدا بالغماري إلى تنبيه المتلقي/الطفل إلى مثل هؤلاء ، فاستعمل لذلك صيغة النداء (يا صغاري) و ياء المتكلم (الحياسة) في المنادى للتدليل على أن الأطفال مازالوا على الفطرة يخشى عليهم أن تطبعهم الشيوعية الحمراء بلونها، و تصطبغ جبلتهم النقية البيضاء باللون الأحمر الدال على الإجرام ، وقد جعل الشاعر بين فكره -الذي يمثل البعد الديني المغيب- و فكر أصحاب المطرقة و المنجل الجملة الاعتراضية -يا صغاري- لرسم الحيز اللغوي الذي يترجم بدوره الحاجز النفسي الذي يحمله الشاعر ضد هؤلاء. و المعنى نفسه نجده في قصيدة "يا أم الثورة" حيث يقول :

و ربيع كالماضي غدنا غدنا بالثورة أعياد³
 و شفاه الثورة أحرار أحرار نحن .. و ثوار
 أحرار يا جبل النار * يا سيف الثورة و الثار⁴
 لولاه لما كنا رفضا * يسمو و نضالا يتعالى
 أجزاء تتهي في الحاضر * يا أم الثورة و الثائر⁵

هناك انزياحات في اللغة الشعرية الموجودة في هذه الأبيات كمثل (شفاه الثورة ، جبل النار ، سيف الثورة ، الرفض) يصعب على المتلقي الصغير فهمها و فك مغاليتها ، صف إلى ذلك التنوع الموجود في التراكيب اللغوية المركبة بين الجمل الاسمية و الفعلية و جمل النداء مثل (يا جبل النار ، يا سيف الثورة ، أجزاء ، يا أم الثورة ، أحرار نحن، كنا رفضا، يسمو ، يتعالى....) مثل هذا التنوع -الدال على التجدد و الاستمرارية في الكفاح-

(2): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص ن .
 (3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 12.
 (4): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 25.
 (1): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 26.
 (2): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 27.

يعطي الانطباع الأولي للنفس بأن أرض الجزائر كلها قد زرعت ألغاماً، فليحذر المتوغلون. و في المقابل نجد الشاعر في بعض القصائد وظف الثورة بمفهومها التاريخي الذاكراتي الذي يمكن للطفل فهمه و حفظه.

لهذه الأرض تاريخ و أحرار * ثاروا و لولا كتاب الله ما ثاروا¹

و إن جزائر الثوار تبقى * لروح الخالدين هوى و عهداً²

هذي الجزائر ثورة * لم تسل عن غاياتها³

و ردت كلمة الثورة في البيتين الأخيرين في موضع التلازم، فالأولى وردت مضافاً إليه (جزائر الثوار) و الثانية أتت صفة (هذي الجزائر ثورة)، و المعروف -في علم النحو - أن المضاف و المضاف إليه شيء واحد، و كذلك الصفة و الموصوف، إذ أن الصفة تتبع الموصوف في كل شيء، و كأنها إحالة من الشاعر إلى أن هذه البلاد لا ترضى إطلاقاً بالذل و الهوان سواء في قديم عهدها أو حديثه، و هو شيء ملازم لا يفارقها. أما محور اللغة العربية و الدعوة إلى التمسك بها فإن القصيدة "يا خير اللغات" *، تضم معجماً شعرياً يصور الصراع بين الحرف الأصيل و الحرف الهجين، فمما ينتمي إلى معجم الحرف الهجين قوله (التغريب، التآمر، قتل، الغدر، الحقد، التأخر)، أما ما ينتمي إلى معجم الحرف الأصيل فتمثل في (أهواك، أعشق، الياسمين⁴، فجر، نسر، نبين، الحضارة)، و القصيدة تحمل بين ثناياها ثنائية (مقابلة) النفي و الإثبات (التوكيد) رسمت من خلال صيغ و تراكيب تنوعت بين الجمل الاسمية و الجمل الفعلية و شبه الجمل و لبيان ذلك وضعنا مخططاً حاولنا أن نصف هذه المقاربة :

(3): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 17.

(4): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 44.

(5): د/ مصطفى الغماري . الفرحة الخضراء. ص 45.

(*) : للتوكيد ينظر "ديوان الفرحة الخضراء" . ص 53- 54.

(*) : رمز الشاعر إلى اللغة العربية - في البيت الثالث - للياسمين، لأن عبقتها قد عطر معظم أرجاء الأرض في وقت من الأوقات، وما يزال لولا مكر الأصوات النشاز الداعمة للاستعمار القديم .

		ضده	
		≠	النفى
		≠	* الحرف الهجين
<p>الإثبات</p> <p>الضاد المبين</p> <p>لغة الرسالة الإسلام</p> <p>(اللغة العربية)</p> <p>شيء معلوم من التاريخ بالضرورة</p> <p>ما غيرها حفظت شريعة ربنا</p>	≠	* لا التغريب يمنعني (المقصود به اللغة الفرنسية)	
		≠	* لا للتأمر في حماك
		≠	* لا للذين يبيتون

اشترك في الحكم بين "لا" و "ما" (و هو النفي) مع تغاير في الوظيفة فـ"لا" في الجزء الأول من المقابلة تنفي ، و "ما" تؤكد

أداة توكيد و فيها	≠	* قالو : التأخر
حرف تشبيه لا محل له		
دعم للجانب المعنوي		
من الإعراب غير أن		
محل الوظيفة هو توكيد		
في القصيدة		
المعنى		

في ثنايا هذا الصراع حامي الوطيس يقحم الشاعر فعل الفداء الذي صاغه في زمن المضارع (نفدي) للدلالة على استمرارية فعل/الصراع من الماضي إلى الحاضر و حتى المستقبل ، و فعل الفداء يكون منطلقه الحب و الرغبة في الشيء (أهواك ، أعشق) و إلا فلن يصل إلى مبتغاه ، كما يقول أهل الباطن "الطريق حب".

شاعرنا ينتشي عندما يرى المحراث يشق الأرض الجرز بثبات وحزم، ويسمع لأهازيج

الفلاحين يوم الحصاد أعز يوم إلي يوم تنيه زروعي

0/0///0 ///0/ 0/0//0/ 0//0//

متفع لن فاعلاتن متفع لن فاعلاتن

بكل نبت زكي وكل زهر بديع

0/0//0/ 0//0// 0/0//0/ 0//0//

متفع لن فاعلاتن متفع لن فاعلاتن

في الحقل أسعد لما أرى جهودي تكبر

0/0/// 0//0// 0/0/// 0//0/0/

مستفع لن فاعلاتن متفع لن فاعلاتن

أرى السنابل تنمو أرى الفواكه تثمر¹

0/0/// 0//0// 0/0/// 0//0//

متفع لن فاعلاتن متفع لن فاعلاتن*

إذا كانت مباحج الطبيعة وروائعها، تحكنا ويبعث فينا-الكبار الحياة- بكل ما تحمله من

أسمى المعاني- بالأخص في فصل البيع... فكيف يكون الحال بالقياس إلى الأطفال

الذين ينتظرون بشغف كبير مقدم هذا الفصل ليستكشفوا فيه الحياة على حقيقتها، حياة

الشباب والمرح والنشاط وليستيقنوا أن الأرض نفسها تتجدد في مثل هذا الفصل

وترتدي حلا سندسية تستقبل الربيع"²

وقد نظم الغماري في هذا ثلاث قصائد، صمنها ما تكتنزه طبيعة الجزائر من روائع،

واعتمد في ذلك على البحور المجزوءة لتسهيل التغني والإنشاء، كما استعان على

بعض الزحافات والعلل الشيء الذي يزيد الإنشادية أكثر للقصيدة، ويعمل عمل السحر

في عقل المتلقي/الطفل ويزيده ارتباطا بمظاهر الطبيعة والمحافظة عليها.

مرحبا مرحبا
مرحبا بالربيع

(1): د/مصطفى الغماري، حديقة الأشعار، ص 05

(*) : وظف الشاعر بعض الزحافات والعلل التي ألجأته إليها ضرورة النظم، ومن ذلك زحاف الخين في تفعيله مستفع لن حيث صارت متفع لن بحذف الساكن الأول، وهناك علة القطع التي دخلت على التفعيلة الثانية من البحر، فاعلاتن صارت فاعلاتن.

(2): د/ محمد مرتاض . الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري . ص 19 .

00//0/ 0//0/	0//0/ 0//0/
فاعِلن فاعِلان	فاعِلن فاعِلن
في النفوس الربيع	إيه ما أعذبا
00//0/ 0//0/	0//0/ 0//0/
فاعِلن فاعِلان	فاعِلن فاعِلن
أنت فصل الشباب	إيه يا موسم
00//0/ 0//0/	0//0/ 0//0/
فاعِلن فاعِلان	فاعِلن فاعِلن
في المروج العذاب	يزدهي المبسم
00//0/ 0//0/	0//0/ 0//0/
فاعِلن فاعِلان	فاعِلن فاعِلن
مقلتي الضياء	في دمي أنت في
00//0/ 0//0/	0//0/ 0//0/
فاعِلن فاعِلان	فاعِلن فاعِلن
يا طيور الوفاء	فاهتفي واعزفي
00//0/ 0//0/	0//0/ 0//0/
فاعِلن فاعِلان	فاعِلن فاعِلن
وردة من يديه	واقطفوا يا رفاق
00//0/ 0//0/	00//0/ 0//0/
فاعِلن فاعِلان	فاعِلن فاعِلان
من سنا وجنتيه ¹	واصنعوا نجمة
00//0/ 0//0/	0//0/ 0//0/
فاعِلن فاعِلان*	فاعِلن فاعِلن

(1): د/مصطفى الغماري، الفرحة الخضراء، ص 22
 (*): نظم الشاعر هذه القصيدة على مجزوء المتدارك ذي التفعيلات الصافية، واستعان في الشط الثاني من كل بيت في القصيدة بعلّة من علل الزيادة وهي "التنذيل، فاعِلان"، وهذا تماشياً مع صيغة الإنشاء التي يرفع بها الطفل عقيرته عند التغني بالقصيدة، مع التنوع الملاحظ في قافية القصيدة.

وهناك قصائد وطنية -حوت نبرة الخطاب الثورية- نظمها الشاعر على مجزوءات بعض البحور للتوكيد أكثر على أن الأوزان القصيرة هي الأصلح لأن تكون القالب الذي يجب أن يلتزم بها شاعر الأطفال، ليسهل عليه غرس القيم في نفس المتلقي/الطفل من جهة، ويبسر عملية الإنشاء والتغني من جهة أخرى" والشعر عندما يغنى من شأنه أن يحقق فوائد متعددة، نفسية وتربوية، مثل بروز روح التنظيم في المدرسة لاعتماده على التردد الجمعي في حصص النشيد والموسيقى والمحفوظات، كما يعود الأطفال بفوائد صحية، حيث يقوي الحناجر، ويروض مجاري الأصوات، وينظم التنفس، ويدرب الأذان على التقاط النغمات، كما يعود على أدب الإصغاء، وينمي الذوق والإحساس بالجمال، وترقيق الشعور وتهذيب الأحاسيس، والتحبيب بالفضائل، والنظر إلى الحياة نظرة واعية متفائلة"¹ إن تسألوا التاريخ ن دم الشهيد لكم جواب

00//0///0//0///0//0/0//0//0/0/

متفاعلن / متفاعلن / متفاعلن / متفاعلن

من صوت عقبة في الجبال تثو أفراس عراب

00//0/0//0//0///0//0/0//0//0/0/

متفاعلن / متفاعلن / متفاعلن / مستفاعلن

لا القهر يطويها إذا تعنو لقاها الرقاب

00//0/// 0/0/ 0//0/0//0//0/0/

متفاعلن / متفاعلن متفاعلن / متفاعلن

كنا الجواب لأن في أعماقنا فصل الخطاب

00//0/0//0//0/0/ 0//0///0// 0/0/

متفاعلن / متفاعلن متفاعلن / مستفاعلن *

ب/القافية:

"القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر... واختلف الناس في القافية ما هي؟ فقال

(1): محمد قرانيا، المرجع السابق، ص 239
 (*): اضطر الشاعر إلى توظيف بعض الزحافات والعلل، مثل زحاف الاضمار، وهو اسكان المتحرك الثاني(متفاعلن)، وهناك علة من علل الزيادة استعان بها الشاعر في قافية الأبيات وهي التذييل(متفاعلن)، كما اجتمعت علة وزحاف (تذليل واضمار) في تفعيله مستفاعلن

الخليل: القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن، والقافية- على هذا المذهب، وهو الصحيح- تكون مرة بعض كلمة، ومرة كلمة، ومرة كلمتين¹

ويعرفها الدكتور إبراهيم أنيس- بصورة أدق- في كتابه "موسيقى الشعر" بأنها "...عدة أصوات تتكرر في أواخر الأَشْطُر أو الأبيات من القصيدة، وتكرارها يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية، يتوقع السامع تردها، ويستمتع بمثل هذا التردد الذي يطرق الأذان في فترات زمنية منتظمة، وبعد عدد معين من مقاطع ذات نظام خاص يسمى بالوزن"²

وللقافية دور مهم في التشكيل الموسيقي للقصيدة العربية، خصوصا عندما يتعلق الأمر بالنمط العروضي القديم، حيث نظر إليها القدماء نظرة تقديس، لما لها من فاعلية نفسية وصوتية وإيقاعية على ذوق الإنسان وتحسسه لمواطن الجمال، هذا فيما يخص شعر الكبار، فما بالك بالأطفال المطورين على الإيقاع، الذي هو جزء مهم من حياتهم، وأحسن شيء يحقق لهم تلك المتعة هو الشعر و"في الشعر موسيقى... وفيه تنعيم وإيقاع... والأطفال يميلون إلى التنعيم والإيقاع والكلام الموسيقي المقفى منذ نعومة أظفارهم، وكلنا نذكر أغاني الأطفال التي يتوارثونها من الفولكلور جيلا بعد جيل، في ألعابهم ومرحهم، والتي كثيرا ما تبدو بلا معنى، ولكن بإيقاع موسيقى وتنعيم مقفى..."³ وتبقى القافية حجر الأساس في بنية القصيدة الطفلية، وهي المهيمنة على فكر الشاعر، كما تهيمن على مشاعر الطفل الذي يطلبها في القصيدة.

إلا أن آراء النقاد والمهتمين بشأن القصيدة الطفلية ينقسمون إلى فريقين، فريق يقول بضرورة أن يلتزم الشاعر عند نظمه للقصيدة بالقافية البسيطة الموحدة، والفريق الثاني يدعو إلى نمط القافية المكعبة المتنوعة، وحجته في ذلك "أن القافية الموحدة في القصيدة العربية التي تتطلب تراكما هائلا من المفردات المعينة الموزونة بميزان الذهب، قد توقع الشاعر في كثير من المطولات، في متاهة الاحتيال اللغوي أو التقعر بحثا عن

(1): د/ابن رشيق الفيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ج1-ط3، دار:م،

السعادة، مصر، 1963، باب القوافي، ص 151كم

(2): إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1981، ص 246

(3): أحمد نجيب، فن الكتابة للأطفال، ص 107.

ألفاظ القافية التي ترمها على الإيفاء بحق التقفية الرتوب، المرهق.. وهذا لا يحتمله شعر الأطفال، ولا يستلزمه، ولا يوقع الشاعر في متاهة البحث والتنقيب المعجمي عن المفردات المطلوبة - كحجر الشطرنج- بسبب قصر قصائد الأطفال واقتصارها في كثير من النماذج على المقطوعات، إضافة إلى قلة عدد القصائد في ديوان الأطفال¹ والناظر في دواوين الغماري يجد بأن نظام القافية البسيطة الموحدة قد طغى على الساحة الشعرية للدواوين ب 18 قصيدة، فيما كتب 12 قصيدة بنظام القافية المنوعة. ومن القصائد التي نظمها والتزم فيها بقافية موحدة مقيدة * قصيدة "إلهي" يقول فيها:

خلقت لنا كل شيء جميل نسيم عليل وظل ظليل

00///0/0///0/0///0/0// 0/0///0/0///0/0///0//

فعولن /فعولن /فعولن /فعولن /فعولن /فعولن /فعولن /فعولن

وماء يفور بعذب الشراب وطير يغني بلحن أصيل

00///0/0///0/0///0/0// 0/0///0/0///0/0///0//

فعولن /فعولن /فعولن /فعولن /فعولن /فعولن /فعولن /فعولن

وشمس تضيء لنا كل درب وتهدي الأنام سواء السبيل

00///0/0///0/0///0/0// 0/0///0/0///0/0///0//

فعولن /فعولن /فعولن /فعولن /فعولن /فعولن /فعولن /فعولن

وبدر يني يشق الظلام حبيب إلى كل قلب خليل²

00///0/0///0/0///0/0// 0/0///0/0///0/0///0//

فعولن /فعولن /فعولن /فعولن /فعولن /فعولن /فعولن /فعولن

ويقول في قصيدة "عشاق البيضاء" التي كتبها بنمط القافية الموحدة- المطلقة- *

لهذه الأرض تاريخ وأحرار

0/0//0//0/0//0//0//0//

متفعلن / فاعلن / مستفعلن / فعلن

(1):د/محمد قرانيا، قصائد الأطفال في سوية، ص 309-310

(*) :القافية المقيدة" هي الساكنة الروي"، موسى أحمد نويوات، المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي، ص 376

(2): د/مصطفى الغماري، حديقة الأشعار، ص 03

(*) :القافية المطلقة" وهي المتحركة الروي"، موسى أحمد نويوات، المرجع نفسه، ص نفسها

ثاروا ولولا كتاب الله ما ثاروا
 0/0//0//0/0//0//0//0/0/
 مستفعلن/فاعلن / مستفعلن/فعلن
 تلك المقابر بعض من مفاخرنا
 0////0//0/0//0////0//0/0/
 مستفعلن/فعلن /مستقلن/فعلن
 فيها لمن صنعوا التاريخ آثاره
 0/0//0//0/0//0////0//0/0/
 مستفعلن/فعلن /مستفعلن/فعلن
 الله أكبر في أعماقهم أمل
 0////0//0/0//0////0//0/0/
 مستفعلن/فعلن /مستفعلن/فعلن
 زاه وفي أذن الكفار إعصار¹
 0/0//0//0/0//0////0//0/0/
 مستفعلن/فعلن /مستفعلن/فعلن

وهناك من القصائد التي نظمها الشاعر على الأبحر المجزوءة تحوي قافية موحدة في مثل قصيدة " الأمير المجاهد":

م وذبح الطير الخريد	قتل الفرنسي السلا
00//0/0//0//0//	0//0/0//0//0//
متفاعلن / متفاعلن	متفاعلن/متفاعلن
رحموا فتاة أو وليد	لم يرحموا شيخا ولا
00//0/0//0//0//	0//0/0//0//0/0/
متفاعلن /متفاعلن	متفاعلن / متفاعلن
بين التآمر والجود	وقضى الأمير مجاهدا
00//0////0//0/0/	0//0////0//0//

(1):د/مصطفى الغماري، حديقة الأشعار، ص 17.

متفاعِلن/متفاعِلن متفاعِلن/متفاعِلن

لك يا جزائر روحه وله بثورتك الخلود¹

0//0////0//0/// 0//0////0//0///

متفاعِلن/متفاعِلن متفاعِلن/متفاعِلن

وفي قصيدة "جزائر يا أمنا" ذات القافية المطلقة المردوفة الموصولة باللين التي يقول

جزائر يا أمنا ويا فجرنا المستبينا

0//0//0//0//0// 0//0//0//0//0//

فعول/فعولن/فعل فعولن/فولن/فعولن

بعيدك نبدع شعرا ونغزله ياسمينا

0//0////0//0/// 0//0////0//0///

فعول/فعول/فعولن فعول/فعولن/فعولن

ونحمله في المعالي كوجهك حقا يقينا²

0//0//0//0//0// 0//0//0//0//0//

فعول/فعولن/فعولن فعول/فعولن/فعولن

"القوافي التي فيها مد قبل الروي وبعده، هذا المد يعطي للمنشد فرصة لإستغلال

موهبة الصوتية في الانشاد استغلالا ينشر في الجو ضجة وجلبة شديتين"³

ومن القصائد التي كتبها "الغمالي" بنمط القافية المنوعة- القصص الشعرية- في ديوان

"أناشيد" حيث اعتمد فيها على التقفية الحرة المتقاطعة وهي أسلوب جديد"... يقوم على

أساس تحقيق نظام هندسي معين في توزيع القوافي... ولا تتوزع توزعا عفويا، وإنما

يتحكم بها نظام خاص تتقاطع فيه القوافي تقاطعا هندسيا منتظما، وحتى هذا التقاطع

الهندسي يختلف في نظمه بين قصيدة وأخرى، انطلاقا من طبيعة المناخ، والتربة التي

تقدمها كل القصيدة.

وهذه الهندسة في رسم خطوط التقفية في القصيدة، لا بد لها أن تتجاوز حدود التخطيط

الشكلي المجرد، وتدخل صميم القصيدة، لتكتسب وظيفة دلالية، تؤكد مشروعية النظام،

(1): د/مصطفى الغماري، الفرحة الخضراء، ص 52

(2): د/مصطفى الغماري، الفرحة الخضراء، ص 10

(3): أ/كمال عجالي، أبو بكر بن رحمون، حياته وشعره، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص 303

وتعزز حيويته وضرورته"¹

وهذا ما نلاحظه على القصص الشعرية التي ألفها الغماري، إذ نجده اعتمد اعتماداً كلياً على نمط الأراجيز* ببناء كل بيت على قافية واحدة صدرا وعجزاً، بعدها يبني البيت الموالي على قافية واحدة صدرا وعجزاً أيضاً، ومثال ذلك (القصة الشعرية القبرة)

فغرزت مخلصها النحيفا وسددت منقرها الضعيفا
فعلقت أظفارها بالصوف يالخراب مكرها المكشوف
ووقعت في قبضة الصياد فعلمت جزاء كل عاد
وَ أَيْقَنْتُ أَنْ الْغُرُورَ شَرٌّ مَا أَتَقَهُ النَّفْسَ إِذَا تَغَتَّرَ²

وفي قصة (الشاة و الراعي) يقول:

فَأَصْبَحَ الذَّنْبُ خُطَاهُ الْفَرْعُ يُعَقِّدُهُ الْيَأْسُ، وَيُجْرِي الطَّمَعُ
يَحْتَالُ طُولَ يَوْمِهِ وَ يَمْشِي وَ الْجُوعُ قَدْ طَوَاهُ نُنْذُ الْأَمْسِ
وَ كَلَّمَا أَرَادَهَا اعْتَدَاً مَدَّتْ لَهَا قُرْنَهَا الشَّمَاءُ
تَدُوُّ عَنْ خِرَافِهَا الصَّغَارُ عَوَادِي الذَّنَابِ وَ الطَّوَارِي³

"إن إعتاد الشاعر على قافية موحدة في كل سطرين شعريين... اقتضته هندسته لبناء

القصيدة، التي ينتقل فيها من قافية إلى أخرى على مدى حكايته الشعرية... و هذا التشكيل الهندسي المنتظم إنما يلتزم به الشاعر عن سابق وعي و تصميم، ولم يأتي عفواً الخاطر بأي حال من الأحوال بحيث إرتاحت رؤيته لتحقيق كثافة إقاعية /وزنية تتولد عن توحيد القوافي و تنوعها في آن واحد"⁴

كما اختار بناء بعض القصائد على أساس مقطعي، إذ تأتي القافية متخالفة بين قافيتي الصدرين في البيتين الأول و الثاني مع المقابلة في قافيتي العجزين في البيتين نفسيهما و المثال على ذلك قصيدة "أنشودة الوطن"

تُلْكُمُ رِيَاضُ الْوَطَنِ يَلُ إِخْوَةَ الْعُمُرِ
تُزِيلُ عَنَّا الْحَزْنَ بِالنُّورِ وَ الْعَطْرِ

(1): محمد قرانيا . قصائد الأطفال في سورية . ص 328.
(*): يمكن أن نطلق على هذا النمط اسم المزدوج الذي "...فيه تتميز القافية مع كل بيت، ويراعي الناظم في المزدوج أن تكون الأبيات مصرعة، فقافية الشطر قافة الشط الثاني..."د/إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 300
(2): د/ مصطفى الغماري . ديوان أناشيد . ص 10 .
(3): د/ مصطفى الغماري . ديوان أناشيد . ص 19- 20 .
(4): د/ محمد قرانيا، قصائد الأطفال في سورية، ص 329.

نَهْوَى إِبَاءَ الْخَيْلِ نَهْوَى نَوَاصِيهَا
إِنْرَاحَ دَاعِي اللَّيْلِ بِالْوَيْلِ يُرْدِيهَا
يَاصْحَبَةَ الثَّائِرِ بِالنُّورِ وَ النَّارِ
يَا حُبْنَا الْغَامِرِ بِالنَّصْرِ وَ الْغَارِ¹

كما ورد أيضا في قصيدة "الطبيعة في بلادي" في مقطع واحد يقول فيه:

يَا نَخْلُ يَا بَاسِقَا يَا رَمَزَ أَجْدَادِي
يَا فِرْعَانَ السَّامِقُ غَنَى بِهِ الْحَادِي²

و في قصيدة "أنشودة الوحدة"

نَحْنُ رَجَالُ الْغَدِ فَلْتَشْهَدِي يَا دِيَارُ
إِنَّا عَلَى مَوْعِدٍ فَلَا يَطُولُ إِنْتِظَارُ
كَتَابُنَا فِي الْيَدِ وَفِي الدُّرُوبِ الْمَنَارِ
عَلَى خُطَا أَحْمَدَ يَسْعَى إِلَى الْإِنْتِصَارِ³

واتكأ الغماري على نظام الخمس في قصيدة الجزائر :

صَبَاحُكَ الْوَرْدِي يَا ثَوْرَةَ الْأَحْرَارِ
إِشْرَاقُهُ عِنْدِي أَعْلَى مِنَ الْأَشْعَارِ
أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ
فِي الْقَلْبِ نَجْوَاهَا مَا عَشْتُ أَهْوَاهَا
أُرْعَى سَجَايَاهَا عَيْنَايَا عَيْنَاهَا
مَا كُنْتُ لَوْلَاهَا⁴

الموسيقى الداخلية :

"الموسيقى الداخلية من أبرز العناصر المكونة للشعر ، فهي تعطي لنا الظلال الكامنة في القصيدة ، و تكشف لنا عن الحالة النفسية للشاعر وهذه طبيعة النفس في إدراكها عن طريق حواسها المختلفة ، فإذا رأت العين شكل بلور ، سرت بتساوي جوانبه ، فإذا

(1): د/مصطفى الغماري، حديقة الأشعار، ص 12.

(2): د/مصطفى الغماري، حديقة الأشعار، ص 10.

(3): د/مصطفى الغماري، حديقة الأشعار، ص 14.

(4): د/مصطفى الغماري، الفرحة الخضراء . ص 15.

خاتمة

خاتمة

و ختام هذه الدراسة نورد جملة من النتائج استخلصنا ها من خلال رحلة البحث الشاقة الماتعة :

1/ إن أول ظهور لبوادر أدب الطفل في الجزائر كان في ظل النهضة العلمية و الإصلاحية التي خاضتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين , لكنه لم يؤلف وفق المعايير المتعارف عليها عند المتخصصين في ذلك (من مراعاة للجوانب الفنية والجمالية و كذلك النفسية و التربوية)، بل إننا نجد أشعار تلك الفترة تدور في فلك المدرسة لتحقيق غايات تربوية و دينية .

2/ انتشار الإبداع الأدبي الموجه للطفل و توسع دائرته بشقيه - شعر و نثر(القصة خاصة)- بعد الاستقلال، و ظهور عدد كبير من الكتاب الذين وجهوا أقلامهم لشريحة الأطفال، و قد أسهمت دور النشر في دفع عجلة الإبداع، بتخصيصها لقسم خاص بمنشورات الأطفال (بخاصة المؤسسة الوطنية للكتاب).

3/ من أبرز الذين أبدعوا في مجال أدب الطفل الدكتور: مصطفى محمد الغماري، حيث تعددت الموضوعات (المحاور) بين الدينية و الاجتماعية و الطبيعية و الوطنية و الثورية التي شغلت مساحة واسعة في التأليف - بخاصة ديوان الفرحة الخضراء - وكذلك الأخلاقية - وهذا ما احتوته القصص الخمس - .

4/ القصة التي ألفها الغماري في جانبها الفني حققت كثيرا من العناصر المكونة لها، من لغة فصيحة محكمة، و تسلسل في الأحداث، و تنوع في الشخصيات - بين الإنسانية و الحيوانية الخرافية - فعلى الرغم من ذلك لاحظنا صعوبة بعض التراكيب المضمنة في الأسلوب و رداءة الصور و الرسوم التي لم تكن في مستوى النصوص إطلاقا .

5/ أما الجانب الموسيقي فقد لاحظنا طغيان النمط العروضي الخليلي التقليدي، بنوعيه التام و المجزوء، وسيطرة البحور الصافية على البحور المختلطة، و قد وظف الشاعر البحور التامة للقصائد التي تحمل قيما دينية أو وطنية، و استعمل البحور المجزوءة

للقصائد المتعلقة بالحياة الإجتماعية ووصف الطبيعة، وفي الركن المتعلق بالقافية ألفينا الشاعر ألف أكثر قصائده بنظام القافية الموحدة على حساب القافية المنوعة .

6/ ظاهرة التكرار من الأدوات الأكثر شيوعا في الشعر العربي و هذا ما وجدناه مستعملا في كثير من قصائد الغماري - الموجه للطفل - بغرض إبراز قيمة دينية أو وطنية و الهدف من هذا الإبراز هو غرس القيم الإيجابية في نفس الطفل - و هو الشئ الواضح الجلي الذي يلمسه القارئ بين ثنايا الأبيات .

7/ إن اللغة الشعرية عند الغماري في إبداعاته الموجهة للطفل قد وفقت في رسم فضاءات المحاور، و إضفاء الصبغة الشعرية على كل موضوع (محور)، مع تفاوت في مستوى التوظيف و فالمحاور التي تكلم فيها عن الطبيعة و عن الحيات الإجتماعية و عما تعلق بأمر الدين كالتسبيح، الصلاة، المسجد، وجدناه استعمل الألفاظ والعبارات القريبة من ذهن الطفل، والكثير منها متداول في الأحاديث اليومية، أما ما تعلق بمحور الوطن والثورة و الشهيد فإننا ألفينا الشاعر استخدم المجازات و الرموز و الإنزياحات مما أدى بالأشعار إلى أن تتأى عن ذهن الطفل مع تشكيلها لتطور ملحوظ في بنية الشعر الموجه للطفل.

8/ تعدد أنماط الصور الشعرية الموظفة في الدواوين الموجهة للأطفال و اختلافها من حيث شيوع الاستعمال و إذ لاحظنا أن الشاعر أكثرَ من استخدام الصور الإستعارية على صعوبتها وكثافة دلالتها بخاصة إذا تعلق الأمر بالوطن وما انصوى تحته، ومثل هذا التوظيف يتم عن أصالة فكر الشاعر و تشربه للتراث دون جمود فيه رغم المحاذير التي رسمها المختصون لهذا المجال .

المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

* - القرآن الكريم برواية ورش

أ- المصادر :

- 01/ ابن رشيق القيرواني. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. ج1. ط3 . دار: م، السعادة ، مصر .1963م.
- 02/ سنن ابن ماجة. محمد بن يزيد القزويني (207هـ - 275هـ) . تحقيق فؤاد عبد الباقي . دار الفكر . بيروت. لبنان. جزءان .
- 03/ ابن منظور الإفريقي . لسان العرب. دار صادر. بيروت. لبنان. المجلد 4.
- 04/ سنن أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (202هـ - 275هـ) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. دار الفكر. 4 أجزاء .
- 05/ أبو القاسم الشابي - الأعمال الكاملة - الخيال الشعري عند العرب المجلد 2. النشر مداخلة وتحقيق د/ إميل .أ. كبا - دار الجيل، بيروت - لبنان . ط1 . 1418هـ - 1997م .
- 06/ عبد القاهر الجرجاني . دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي . منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة و الجماعة . دار الكتب العلمية . بيروت - لبنان. ط1. 1422هـ - 2001م.
- 07/ كمال الدين بن موسى الدميري . حياة الحيوان الكبرى. دار التحرير للطبع و النشر . دار الكتاب اللبناني . بيروت - لبنان . 1966 . ج 2 .
- 08/ مستدرک الحاكم على الصحيحين . محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري(321هـ - 405هـ) تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان. 1411هـ - 1990م . ط1. 4 أجزاء .
- 09/ صحيح مسلم . مسلم بن الحجاج النيسابوري (206هـ - 261هـ). تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي . بيروت - لبنان .
- 10/ مصطفى محمد الغماري . ديوان أناشيد . دار الشهاب . باتنة . الجزائر . سلسلة شموع.

11/ الفرحة الخضراء. مديرية قسم منشورات الأطفال.م.و.ك. الجزائر. 1983.
12/ حـدقة الأشعار. دار مدني للطباعة والنشر والتوزيع. 2003.
• سلسلة حكاية وعبرة . (القصص).

13/ حين لا ينفج الندم. دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع. 2004 م.

14/ السلحفاة الحمقاء . دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع. 2004 م.

15/ عاقبة البغي . دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع. 2004 م.

16/ العجوز و القاضي العادل. دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع. 2004 م.

17/ العصفور الأسود . دار مدني للطباعة و النشر و التوزيع. 2004 م.

بـ- المراجع :

18/ إبراهيم أنيس. موسيقى الشعر. مكتبة الأنجلو المصرية. القاهرة . مصر . ط.5.
1981م.

19/ أحمد بسام ساعي . الصورة بين البلاغة و النقد. المنارة للطباعة و النشر و
التوزيع. ط 1404هـ - 1984م .

20/ أحمد زلط. أدب الطفل العربي. دراسة معاصرة في التأصيل و التحليل. دار هبة.
النيل للنشر . القاهرة . 1998م.

21/ أحمد زلط. أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي. دار المعارف.
مصر. 1994م.

22/ أحمد طالب. الالتزام في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة في الفترة ما بين
1931- 1976 . ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر . 1989م.

23/ أحمد نجيب . فن الكتابة للأطفال . دار إقرأ . بيروت . لبنان . ط.3. 1406هـ -
1986م.

24/ إسماعيل عبد الفتاح. أدب الأطفال في العالم المعاصر. مكتبة الدار العربية
للكتاب. القاهرة . مصر . ط.1. رمضان 1420هـ يناير 2000م.

25/ أسعد السحمراني. من اليهودية إلى الصهيونية . الفكر اليهودي في خدمة
المشروع السياسي الصهيوني . دار النفائس. بيروت- لبنان . ط.1. 1413هـ -
1993م.

- 26/ إيمان البقاعي . المتقن في أدب الأطفال و الشباب . دار الراتب الجامعية . بيروت - لبنان .
- 27/ بولا حريقة. موسوعة الطفل و الأسرة، تربوية، اجتماعية، نفسية. نوبليس. بيروت - لبنان. ج.8. 2004م.
- 28/ ثريا عبد الفتاح ملحس. القيم الروحية في الشعر العربي قديمه وحديثه. دار الكتاب اللبناني. بيروت - لبنان.
- 29/ حسين قباني . فن كتابة القصة . دار الجيل .بيروت. لبنان. ط3. 1979م.
- 30/ حنان عبد الحميد العناني. أدب الأطفال. دار الفكر للنشر و التوزيع.عمان. الأردن. ط2. 1996م.
- 31/ د.رجاء عيد. لغة الشعر. قراءة في الشعر العربي المعاصر. منشأة دار المعارف بالإسكندرية. مصر. 2003م.
- 32/ سميح أبو مغلي، مصطفى الفار، عبد الحفيظ سلامة. دراسات في أدب الطفل.
- 33/ سميح المرزوقي، جميل شاكر. مدخل إلى نظرية القصة ، ديوان المطبوعات الجامعية. الدار التونسية .
- 34/ سمر روجي الفيصل. أدب الأطفال وثقافتهم. قراءة نقدية. منشورات اتحاد الكتاب العرب . دمشق - سورية.
- 35/ صالح خرفي. الشعر الجزائري الحديث. ش.و.ن.ت. الجزائر .
- 36/ صالح خرفي. في رحاب المغرب العربي . دار الغرب الإسلامي. بيروت- لبنان. ط1. 1985م.
- 37/ عائدة بومنجل. شعر الأطفال في الجزائر - دراسة - منشورات الجزائر عاصمة للثقافة العربية. 2007م.
- 38/ عاطف جودة نصر. الخيال. مفهوماته ووظائفه. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1984م.
- 39/ عبد الله ركيبي . الأوراس في الشعر العربي و دراسات أخرى. ش.و.ن.ت. الجزائر . 1982م.

- 40/ عبد التواب يوسف. كتب الأطفال في العالم المعاصر. دار الكتاب المصري. القاهرة- مصر. دار الكتاب اللبناني. بيروت- لبنان .
- 41/ عبد الرحمن جبير. ابن خفاجة الأندلسي. منشورات دار الآفاق الجديدة. بيروت- لبنان. ط2. 1401هـ - 1981م.
- 42/ عبد الرزاق جعفر. في أدب الأطفال. منشورات اتحاد الكتاب العرب . دمشق. سورية. 1979م.
- 43/ عبد الرؤوف أبو السعد . الطفل وعالمه الأدبي. دار المعارف. ط1. 1994م.
- 44/ عبد العزيز عتيق. الأدب العربي في الأندلس. دار النهضة العربية للطباعة و النشر. بيروت - لبنان. ط2. 1396هـ - 1976 م.
- 45/ عبد العزيز المقالح. الوجه الضائع. دراسات في أدب الطفل العربي. دار المسيرة. ط1. 1405هـ - 1985م.
- 46/ عبد الفتاح أبو معال. أدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وتثقيفهم. دار الشروق. عمان . الأردن. ط1. 2005م.
- 47/ عزيزة مريدن. القصة الشعرية في العصر الحديث. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر.
- 48/ العيد جلولي. النص الأدبي للأطفال في الجزائر. دراسة تاريخية فنية في فنونه وموضوعاته. مديرية الثقافة . ولاية ورقلة . الجزائر .
- 49/ فايز الداية. جماليات الأسلوب. الصورة الفنية في الأدب العربي. دار الفكر المعاصرة. بيروت - لبنان. دار الفكر. دمشق - سورية. ط2. 1411هـ - 1990م.
- 50/ كمال عجالي. أبو بكر بن رحمون. حياته وشعره. ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر . 1991م.
- 51/ محمد أديب الجاجي. أدب الأطفال في المنظور الإسلامي. دراسة و تقويم. دار عمار للنشر و التوزيع .عمان - الأردن. ط1. 1420هـ - 1999م.
- 52/ محمد حسن بريغيش. أدب الأطفال . أهدافه وسماته. مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع. بيروت - لبنان. ط3. 1998م.

- 53/ محمد غفراني الخراساني . عبد الله بن المقفع. الدار القومية للطباعة و النشر . القاهرة - مصر .
- 54/ محمد غنيمي هلال. النقد الأدبي الحديث. دار الثقافة. دار العودة. بيروت - لبنان.
- 55/ محمد قرانيا . قصائد الأطفال في سورية. دراسة تطبيقية . منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق - سورية. 2003م.
- 56/ محمد قطب . الإنسان بين المادية و الإسلام. دار الشروق. بيروت - لبنان. القاهرة - مصر. ط6. 1403هـ - 1983م.
- 57/ محمد علي الصابوني. صفوة التفاسير. قصر الكتاب. البليدة. شركة الشهاب . باتنة - الجزائر . ج3. ط5. 1411هـ - 1990م.
- 58/ محمد مرتاض. من قضايا أدب الأطفال. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1994م.
- 59/ محمد مرتاض. الموضوعاتية شعر الطفولة الجزائري (عند الغماري). ناصر. حرز الله. مسعودي). ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر .
- 60/ محمد مصايف. النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي. المؤسسة الوطنية للكتاب. ط2. 1984.
- 61/ محمد ناصر . الشعر الجزائري الحديث. إتجاهاته وخصائصه الفنية. 1925م - 1975م. دار الغرب الإسلامي . بيروت - لبنان. ط1. 1985.
- 62/ محمد يوسف نجم. فن القصة. دار الثقافة. بيروت - لبنان. ط5. 1966م.
- 63/ مفتاح محمد نياب. مقدمة في ثقافة وأدب الأطفال. الدار الدولية للنشر و التوزيع. مصر. ط1. 1995م.
- 64/ منير سلطان. الصورة الفنية في شعر المتنبي. منشأة المعارف . الإسكندرية. مصر .
- 65/ موسى الأحمد نويوات. المتوسط الكافي في علمي العروض و القوافي. الجزائر. 1969م.
- 66/ ناصر يوسف أحمد. القصص الفلسطيني الموجه للأطفال. م.ت.ف. دار الثقافة. ط1. 1989م.

67/ نبيل راغب. فنون الأدب العالمي. الشركة المصرية العالمية للنشر. لونجمان. ط1. 1996م.

68/ نجيب الكيلاني. أدب الأطفال في ضوء الإسلام. مؤسسة الإسراء للنشر و التوزيع. قسنطينة - الجزائر . ط1. 1406هـ - 1986. ط2. 1411هـ - 1991م.
69/ نور الدين السد. القضية الجزائرية عند بعض الشعراء العرب. م.و.ك. الجزائر. 1986م.

70/ هادي نعمان الهيتي. أدب الأطفال . فلسفته، فنونه، وسائله. الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر بالاشتراك مع دار الشروق العامة . بغداد - العراق. 1977م.

71/ هادي نعمان الهيتي. ثقافة الأطفال. عالم المعرفة. الكويت.
72/ يحي الشيخ صالح . شعر الثورة عند مفدي زكريا - دراسة فنية تحليلية. دار البعث للطباعة و النشر. قسنطينة. الجزائر. ط1. 1407هـ - 1987م.
ج/ الرسائل :

73/ عبد الرزاق بن السبع. قصص الأطفال في المغرب العربي (دراسة تأصيلية تطبيقية) أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في الآداب . إشراف الدكتور. محمد زغينة. السنة الجامعية 1424هـ / 1425هـ
2003م / 2004م

74/ محمد العيد جلولي. النص الشعري الموجه للأطفال في الجزائر. دراسة تحليلية لاتجاهاته و أنماطه وبنيته الفنية. رسالة الدكتوراه . إشراف الدكتور. أحمد منور. تخصص أدب عربي حديث. السنة الجامعية 2004م / 2005م .
75/ محمد العيد جلولي. القصص المكتوب للأطفال في الجزائر. ماجستير. 1999م / 2000م.

د/ المجلات و الدوريات و الجرائد :

76/ د/أحمد بن مختار الوزير. العاطفة في الأدب العربي. المجلة الزيتونية ج7. مج2. تونس، صفر 1357هـ مارس 1938 ، المطبعة التونسية، نهج سوق البلاط .

- 77/ أحمد قايد. اللغة و الثورة الثقافية. محاضرات الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الإسلامي . وهران من 01 جمادى الثانية إلى 10 جمادى الثانية . 1397هـ .
الموافق لـ : 20 يوليو إلى الفاتح أغسطس 1971 . مجلة الأصالة .
- 78/ عبده عبود. الكتابة للأطفال . حوار مع بيلو بلودار . مجلة المعرفة. وزارة الثقافة و الإرشاد . تونس. عدد 187 سنة 1977م.
- 79/ د. عبد الرزاق قسوم. الذات المتعالية عن واقعنا. جريدة الشروق. الثلاثاء. 18 ذي الحجة 1429هـ . الموافق لـ : 16 ديسمبر 2008. العدد 2481.
- 80/ د/ عبد العزيز سبيل . ثنائية النص. قراءة في مرثية مالك بن الربيع. مجلة عالم الفكر. مج 27 ع1. يوليو / سبتمبر 1998م. الكويت.
- 81/ عبد الفتاح محمد سلامة. حرية الكلمة من المنظور الإسلامي. مجلة الوعي الإسلامي. صفر 1407هـ - أكتوبر 1986م .
- 82/ أ.د. عبد المالك مرتاض. مفهوم الشعريات في الفكر النقدي العربي. مجلة بونة للبحوث و الدراسات. العددان (7-8) محرم 1428هـ / يناير (جانفي) 2007. ذو الحجة 1428هـ/ كانون الأول (ديسمبر) 2007. عنابة . الجزائر .
- 83/ أ. عبد المجيد حنون. أدب الأطفال و الأدب المقارن. مجلة العلوم الإنسانية. عدد خاص. فعاليات ملتقى أدب الطفل. المركز الجامعي. سوق أهراس. أيام 13-14-15 ماي 2003م.
- 84/ فالح فلوح. عندما يغني الصغار. مجلة الموقف الأدبي. ع95. آذار - مارس. دمشق - سورية. 1979م.
- 85/ نواري سعودي. في الطفولة. مراحلها. خصوصيات أديها. مجلة الناص . جامعة جيجل. الجزائر. العددان 02 و 03 (أكتوبر - مارس) 2004 - 2005 م.
- هـ / المواقع الالكترونية :

www.docs.ksu.edu.sa/Doc/Articles10/Article100894.Doc

<http://www.wikipedia.org/wiki>

الفقه دراسة

الفهرس

المقدمة أ

تمهيد (المدخل)

1- مفهوم أدب الطفل 07

2- أدب الأطفال في العالم و الوطن العربي..... 11

3- أدب الأطفال في الجزائر..... 12

- جيل ما قبل الاستقلال 13

- جيل ما بعد الاستقلال 15

4- حياة الشاعر (مصطفى محمد الغماري) 20

الفصل الأول : موضوعات النص القصصي في أدب الأطفال عند الغماري

1- مفهوم النص القصصي

-لغة 25

- اصطلاحا 25

2- الموضوعات

- المكر و الخديعة (جسدته قصة عاقبة البغي) 28

- الغرور (جسدته قصة السلحفاة الحمقاء)..... 30

- الحكم بالعدل (جسدته قصة العجوز و القاضي العادل) 32

- الندم على ما فات (جسدته قصة حين لا ينفع الندم) 34

- الغيرة و الحسد (جسدته قصة العصفور الأسود) 35

الفصل الثاني : موضوعات النص الشعري في أدب الأطفال عند الغماري

- 1- مفهوم النص الشعري 39
- لغة 39
- اصطلاحا 39
- 2- الموضوعات (المحاور) التي تضمنها شعر مصطفى محمد الغماري
- الموجه للطفل 41
- المحور الديني 43
- المحور الاجتماعي 48
- المحور المتعلق بالعربية و الدعوة إلى التمسك بها 50
- محور المتعلق بالطبيعة 53
- المحور الوطني 56
- المحور الثورة و الشهداء 59
- محور القصص الشعري 65
- تعريف اصطلاحى للقصة الشعرية 65
- حكاية الأسد 66
- القبرة 69
- الشاة و الراعي 72
- الحمامة و الحرية 75
- القرد الفيلسوف 78

الفصل الثالث : الخصائص الفنية لأدب الأطفال عند الغماري .

- 1- الخصائص الفنية لعناصر القصة الموجهة للطفل
- الشخصية 86
- الأسلوب 90
- الحوار 94

98.....	- البيئة الزمانية و المكانية
104.....	- الحدث
106.....	- الرسم و الصورة
	-2- الخصائص الفنية في دواوين الغماري الموجهة للطفل
108.....	- الصورة الشعرية
109.....	- الصورة الاستعارية
120.....	- الصورة التشبيهية
124.....	- الصورة الكنائية
128.....	- الصورة الرمزية
128.....	- الرمزية المفردة
131.....	- الرمزية التمثيلية
135.....	-2- الموسيقى
135.....	- الموسيقى الخارجية
136.....	- الوزن
141.....	- القافية
147.....	- الموسيقى الداخلية
156.....	- اللغة الشعرية
171.....	- الخاتمة

قائمة المصادر و المراجع .

فهرس الموضوعات .